إيران ... لماذا؟
نوم الذئاب

بقلم: ممدوح عبد المنعم



إيران... لماذا؟

نوم الذئاب

بقلم : ممدوح عبد المنعم

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

الناشر: مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون : ٢٧٧٠٣٤٤٥ - فاكس : ٢٥٧٨١١٠٣
البريد الالكترونى : actp @ahram.org.eg

إهـــداء

صعد عمر بن الخطاب المنبر وعليه حلة كاملة من ثوبين فانشغل من فى المسجد عنه يتحدث بعضهم إلى بعض!! فقال: أيها الناس إسمعوا وعوا!! ألا تسمعون فوثب سلمان الفارسى فقال: لا نسمع لك! قال عمر: لما يا أبا عبد الله!! قال: يا أمير المؤمنين إنك قسمت علينا ثوبا ثوباً ولكن عليك ثوبين!! قال عمر: لا تعجل يا أبا عبد الله! ثم نادى فى المسجد: أين عبدالله ابن عمر؟ فلما جاءه، قال له عمر: نشدتك الله! أهذا الثوب الذى ائتزرت به ثوبك؟ قال عبد الله: اللهم نعم فقد رأيت ثوب أمير المؤمنين قصر عنه فأعطيته ثوبى قال سلمان الفارسى الآن فقل نسمع لك؟! ودخل عليه بعض الصحابة حين قربت النهاية فقال لهم «اعلموا أنى لم استخلف»؟!.. حتى إذا جاء يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين للهجرة مات فى نحو الستين من عمره بعد أن حكم عشر سنين وخمسة أشهر وأياماً! وجاء على بن أبى طالب فوقف على سرير عمر باكياً ثم كشف الثوب عن وجهه ثم قال: رحمه الله عليك يا أبا حفص! فوالله ما بقى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً أحب إلى أن ألقى الله بصحيفته مثلك! ما مات رسول الله حتى عرفنا أن أفضلنا بعده هو أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى عرفنا أن أفضلنا بعده هو عمر..!! قال ابن عباس «يا أمير المؤمنين والله إن كان إسلامك لنصراً وإن كانت إمامتك لفتحاً والله لقد ملأت إمارتك الأرض عدلاً».. إليك أيها الفاروق أهدى كتابى..

المؤلف

مقدمة

فى دراسة علمية قام عليها باحثان «برتران بادى» الأستاذ بمعهد الدراسات السياسية و «مارى كلود سموتس» مديرة البحث بمركز الدراسات والبحوث الدولية فى باريس حول «سوسيولوجيا المسرح الدولى» أنه يعاد النظر اليوم فى جميع أدوات التحليل فى العلاقات الدولية وفى أدوات التفكير التى تصنع المفاهيم السياسية من حيث أن المفهوم هو رمز والرمز هو أمر يوجب التفكير فى الأشياء التى يشير إليها هذا الرمز وقدرتها على معالجة المشكلات والتطورات الجديدة مما يجعلنا نستطيع الاقتراب من مفهوم الأمة والعالم، الحرب والسلم، القوة والضعف، والرخاء والفقر والثورة والاستقرار وبالتالى السياسة الدولية والمجتمع الدولى وعند الوصول إلى المفهوم والمعنى السليم يمكننا تحديد نوع العلاقة وبالتالى إيجاد صيغة مناسبة حول إمكانية التوافق حول مختلف المفاهيم التى تؤثر بالتالى فى شكل الصراع الدولى ودوافعه ليكون التعايش أقرب فى الإمكانية والتفعيل لمصلحة الشعوب فى المناطق الملتهبة والمتوترة ... وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى وتحول العالم من ثنائى القطبية على القمة إلى إمبراطورية أمريكية وحيدة القطبية على قمة العالم أعادت اكتشاف مزايا منظمة تمارس فيها الزعامة دون منافس وهى الأمم المتحدة وليس تحريك جماعة عالمية كائنة ونشأ عن ذلك معطيات جديدة قد تنبثق عنها اختلالات بقدر ما توحى بإبداعات؟ واستلزم ذلك إعادة النظر فى طبيعة الأنظمة السياسية القائمة والحث على التجديد السياسى بما يخدم الوضع الجديد بل أنه استتبع ذلك أيضاً تدخلات عسكرية أجنبية تحت مظلة الأمم المتحدة أو بدونها كما يتضح من تدخل الولايات المتحدة فى العراق وليبيريا والصومال وتدخل فرنسا وبلجيكا فى زائير وتدخل فرنسا

بمفردها فى الجابـون وفى جزر القمر وفى رواندا وهى تدخلات خطيرة سـواء من حيث إضفاء صفة الشـرعية عليها رغم وضـع قانون للتدخل مريب ومتناقض المعنى أو من حيث تنفيذها نظراً لطبيعة الموقف أو شـكل الصـدام؟! وإزاء تعذر تأطير اللاعبين الفاعلين كمجموعة واحدة وضعف النتائج وكثرة الخسـائر والتكلفة العاليـة التى أدت بالتالى إلى معارضات داخلية أحرجت الأنظمة أمام شـعوبها واستلزم كل هذا بالتبعية والحتمية الحاجة إلى لاعب ثانوى فى الأزمات الصغيرة من خلال جماعات طائفية ومسـاجد وكنائس فيما يطلق عليها جماعات ضغط عبر القومية فالدولة لـم تكن أبداً هى اللاعب الوحيد فى مجال العلاقات الدولية؟! واسـتلزم ذلك ايضـاً وجود لاعب ثانوى بحجـم الدولة بامكانيـات أضخم عندما تكون المشـكلة متعلقة بتقسـيم جديد وتغير فـى المصالح والأهداف بين العديـد من الدول بمـا يخدم المصالح الغربية وبالأولـى الولايات المتحدة الجالسـة على عرش الإمبراطورية ولكون اللاعب الثانوى يجب أن يلائم الواقع بدرجة أكبر من مفهومه الخاص.. مع التسـليم بأنه لم يكن خضوع اللاعبين الثانويين كاملاً وكلياً والأمثلة عديدة : إسرائيل ـ سوريا ـ واليونان ـ تركيا ـ وتشاد انجولا.. حيث أجبرت هذه الدول المدافعين عنها كلاعبين أساسيين على مواءمة سياستهم تبعاً لأوضاع لم تكن فى الحسبان (الحرب الإيرانية ـ العراقية التى اسـتمرت عشرة سـنوات كاملة).. وكل ذلك لأن الخضـوع لم يكن كاملاً كما أوضحت؟ ومن هنا كانت الأهمية فى الاختيار والحاجة الشـديدة للاعب الثانوى ليقوم بالمهـام بالنيابة أو الوكالة ويدار من بعد وتحت السـيطرة.. ووقع الاختيار فى الإقليم الشرق أوسطى على كل مـن إيران فى المقـام الأول والأمثل ثم تركيا بدرجة ثانية ومؤقتة لحين دخول النظام الإيرانى فى الحظيرة الدولية لكونه الأقرب والأمثل لذلك.. وهذا ما يحتويه الكتاب..

المؤلف

الباب الأول

إيران من الداخل



الفصل الأول

الجغرافيا السياسية
فكرة وليس دراسة

لعبت إيران أدواراً كبرى فى ميدان الشرق الأوسط منذ فجر التاريخ بحكم موقعها الجغرافى وما تتميز به عن الدول المجاورة لها فى المنطقة من توفر موارد الثورة المختلفة.. ولصعوبة التغلب عليها عسكريا فى أراضيها لوعورة الأرض مما يجعلها ملائمة للدفاع لكثرة الموانع الطبيعية بها.

وبــرزت فى القرن التاســع عشــر كدولة ذات أهمية خاصة بالنســبة للصراع العالمى بين الدول الاســتعمارية الكبرى التى اتجهت إلى الشــرق الأقصى تســتعمره وتقيم فيه إمبراطوريات واسعة لتنزف موارده وخاماته ولتجعله ميدانا رئيســياً لاســتهلاك الإنتاج الغربى خصوصا بعد التطور الصناعى الكبير الذى حققته الدول الغربية فى ذلك الوقت.

واقتصرت الأهمية الرئيسية لإيران حينئذ على توسط موقعها الجغرافى بالنسبة للمواصلات العالمية فى البر والبحر والتى تربط بين :

الشرق : إلى الهند والشرق الأقصى.

والجنوب : إلى الخليج العربى والجزيرة العربية والمحيط الهندى وإلى إفريقيا.

والغرب : إلى جنوب غرب آسيا وشرق البحر الأبيض المتوسط وأوروبا.

والشمال : إلى روسيا ومنطقة بحر قزوين وشرق أوروبا.

وبدأت المنافســة الدولية علــى إيران بين بريطانيا وروســيا .. باعتبار الأولى كانت قد اســتعمرت الهند وبعض المناطق فى الطريق المؤدى إليها، وباعتبار الثانية مجاورة لإيران ومشــتركة معها فى حدود مباشــرة طويلة

وتربطهما حدود جغرافية ومصالح اقتصادية مشتركة.. وكانت روسيا ترى أنهـا أحق بالتفاهم مـع إيران على أية صورة مـن بريطانيا.. علاوة على شعور روسيا بالاختناق والحرمان من الشواطئ الواقعة على المياه الدافئة وكانـت مياه الخليج العربى أقرب الميادين التى تطمع فى الوصول إليها إذ كانت تركيا تسيطر على كل البحر الأسود وعلى المضايق التى تربطه البحر الأبيض.

وتطلعت فرنسـا «فى عهد نابليون» إلى إيران باعتبارها حلقة رئيسية فـى الطريق المـؤدى إلى الهند.. وكانـت أحلام نابليون تـدور كلها لخلق إمبراطورية فرنسـية على أنقاض الإمبراطورية البريطانية.. ولهذا اتجه إلـى مصر ومنها إلى فلسـطين بأمل الوصول عن طريق المعبر السـورى التاريخـى الذى يعتبر محور الهلال الخصيـب الذى يؤدى فى النهاية إلى منطقة الخليج العربى عن طريق العراق.. ومن هناك يمكن التقدم شـرقا إلى إيران لطرق أبواب الهند واقتلاع السيطرة البريطانية من جذورها.

وكانـت خطة نابليون تسـتهدف الوصول برا إلى إيـران والهند لتعذر اعتماده على قوته البحرية. ولطول المسافة عن طريق رأس الرجاء الصالح لكى يصل إلى مياه الهند.. ولكن لم تطل هذه المنافسـة الفرنسية فى هذا الاتجاه بسبب اندحاره أمام أسوار عكا بفلسطين وضرب أسطوله فى مياه أبى قير المصرية.

ومـا لبث أن امتدت حمى هـذا التنافس إلى باقى الـدول الأوروبية الكبرى التى كانت تطمع فى التوسـع الاسـتعمارى فى الشـرق.. فقامت ألمانيا منذ نهاية القرن التاسع عشر تخطط لنفسها سياسة خاصة للتعامل مع إيران والحد من نشاط بريطانيا فى تلك المنطقة.. وازداد نشاط ألمانيا عام ١٩٠٠ عندما توسعت فى التعامل مع إيران بإرسال خبرائها وعملائها لتهيئة الجو المحلى هناك بقبول المزيد من مضاعفات هذا النشاط.

وكان ذلك سـببا فى أن لمسـت كل من روسـيا وبريطانيا نمو الخطر الألمانـى الذى بدأ يظهر فى هدوء.. مما دفعهـا إلى توحيد خطتهما إزاء

إيران لإيقاف التوغل السياســى الاقتصادى الألمانى.. فتم توقيع اتفاق بين روســيا وبريطانيا عام ١٩٠٧ بخصوص تقســيم إيــران إلى ثلاث مناطق رئيسيا هى :

أ - القسم الشمالى.. ويكون منطقة نفوذ لروسيا.

ب - القسم الجنوبى.. ويكون منطقة نفوذ لبريطانيا.

جـ - المنطقة الوســيط.. تبقى محايــدة كمنطقة عازلة بــين المنطقتين السابقتين.

وكان هــذا الاتفاق بدء تثبيت النفوذ البريطانــى فعليا بإيران وبصورة تســتند إلى مظهر شــبه قانونى يمكن عند الضرورة التمسك به واتخاذه وســيلة تبرر أى إجراء تقوم بــه بريطانيا وفقا لمصالحهــا.. وقد ازدادت هذه العلاقة بين بريطانيا وإيران منذ عام ١٩١٨ عندما تخلت روســيا من ارتباطهــا بتلك الاتفاقية بســبب قيام الثورة الشــيوعية وإعلان الحكومة الروســية الجديدة نقض كل الاتفاقيات التى عقدت قبل قيام الثورة.. فلم يبــق فى الميدان الإيرانى من القوى الكبرى ســوى بريطانيا خصوصا بعد هزيمة ألمانيا وضياع أملها فى تنفيذ مشــروع سكه حديد «برلين - بغداد» كمحور رئيسى لاتجاه التوغل الألمانى صوب إيران والهند.. عن طريق تركيا حليفتها الأولى.. ومعلوم أن هذا المشروع كان بالنسبة لألمانيا أملا كبيرا إذ كان ســيحقق لها أمل الوصول إلى أبواب الهند عن طريق البر دون حاجة إلى التعرض إلى تدخل الأسطول البريطانى الذى كان يسيطر على البحر الأبيض المتوســط فى قواعد جبل طارق ومالطة وقبرص وقناة الســويس وأيضاً فى البحر الأحمر وعدن مما لم يجعل لألمانيا أى أمل مباشر لها فى الوصول إلى الشــرق الأوســط عن طريق البحر. وخاصة لم يكن للطيران فى ذلك الوقت أى أهمية كبيرة فى هذا المضمار.

ومنذ أن انفردت بريطانيا - دون باقى الدول الكبرى - بالبقاء فى إيران.. واصلت خطتها فى التوســع الايجابى لاستغلال موارد البترول التى كانت

قد اكتشفت عام ١٩٠٨ بعد بحث استمر سبع سنوات.. وتصادف أن تطورا كبيرا حدث فى الاستراتيجية البريطانية بتحول الأسطول البريطانى من استخدام الفحم كوقود إلى استخدام البترول على أساس أن استخدام البترول يعطى مظاهر كثيرة للتفوق وللسيادة البحرية.

وبعد ظهور هذه القيمة الاستراتيجية لإيران.. تدخلت الحكومة البريطانية كعضو مساهم بمعظم رأس المال فى شركة البترول الإنجليزية الإيرانية التى بدأت تستثمر موارد البترول.

وهكذا ضمنت الحكومة البريطانية حقا مباشرا للإشراف على البترول الإيرانى.. وبمعنى آخر على مستقبل إيران الاقتصادى والسياسى على السواء.

واستمرت بريطانيا تصول وحدها فى هذا الميدان حتى عام ١٩٣٠ عندما اتجهت الولايات المتحدة تطرق أبواب الشرق الأوسط..فى رفق وهدوء.. لتتلمس فيه موارد جديدة للبترول بعد أن تراءى لها احتمال عجز مواردها فى ذلك الوقت عن تلبية احتياجاتها المقبلة.

وكان ميدان النشاط الأمريكى محصورا فى منطقة الخليج العربى.. فى جزر البحرين.. وفى الشاطئ الشرقى للمملكة العربية.. واستمرت فى محاولاتها بتلك المناطق حتى قامت الحرب العالمية الثانية.. وكان الوضع فى كل تلك المناطق على ما كان عليه من قبل وهو.. انفراد بريطانيا باستغلال جنوب إيران دون أى منافسة جدية من غيرها.

وتصادف فى تلك الفترة التى سبقت قيام الحرب العالمية الثانية أن تولى حكم إيران الشاه رضا خان بهلوى الذى سعى منذ عام ١٩٢٦ لتجديد كيان بلاده والنهوض بها على أساس التوسع فى علاقاته الاقتصادية والسياسية مع كل الدول الكبرى.. وكان اتجاهه سلميا لصالح بلاده فاتفق مع روسيا وتركيا وأفغانستان والعراق.. ووقع ميثاق سعد أباد عام ١٩٣٧ لتقوية مركز بلاده فى المحيط الإقليمى والدولى، وحاول التعامل على

نطاق واسع مع أمريكا لكنها كانت متمسكة بفكرة العزلة، واقتصر نشاطها معه على مساعدته ببعض الخبراء مما دفعه إلى التعامل مع ألمانيا. التى سرعان ما قدمت إلى إيران خبراءها وكثيرا من المساعدات الاقتصادية.. فكان ذلك وسيلة اتخذها هتلر لينافس بها بريطانيا فى تلك المنطقة.. بنفس الغرض وبنفس الأسلوب الذى سلكته ألمانيا فى عهد القيصر غليوم قبل الحرب العالمية الأولى.

وكان هذا التجاوب الايجابى المخلوط بين ألمانيا وإيران سببا فى قلق بريطانيا وخوفها من المضاعفات الحتمية التى كان ينتظر أن تتمخض عنها تلك السياسة.

وبإعلان الحرب العالمية الثانية.. اتخذت إيران موقفا محايدا ولم يتغير موقفها إلا بعد دخول ألمانيا الحرب ضد روسيا عام ١٩٤١ مما دفع إلى إعلان تحالف بريطانيا وروسيا أمام (العدو الألمانى) المشترك.

وكان لابد لبريطانيا أن تسارع إلى إمداد روسيا بما يمكن إرساله من عتاد وامتدادات من الهند واستراليا ونيوزيلندة وجنوب أفريقيا.. وخصوصا وأن ألمانيا حققت لنفسها فى المراحل الأولى من هجومها، كثيرا من التقدم والتفوق وكان لبريطانيا غاية فى سرعة إمداد روسيا بكل ما يمكن من العون المادى لتستطيع الصمود لأطول مدة ممكنة أمام الزحف الألمانى - وبذلك يخف الضغط الألمانى نسبيا على بريطانيا فى الميدان الغربى من جهة.. علاوة على أن نجاح روسيا فى ميدانها ضد ألمانيا إنما يحقق سلامة الشرق الأوسط بما فيه من موارد بترولية غنية تطمع ألمانيا فى الاستيلاء عليها.

ولأجل تحقيق مساعدة روسيا وجدت بريطانيا أن أقرب وأضمن طريقٍ يؤدى إلى وصول الإمدادات البريطانية إلى حليفتها هو طريق إيران بدلاً من إرسال هذا الإمدادات عن طريق الدردنيل حيث يحتمل معارضة تركيا أو تدخل قوات ألمانيا الجوية والبحرية خصوصا بعد احتلال ألمانيا لليونان ودخول ايطاليا معها فى الحرب قبل ذلك.

وحرصت إيران على التمسك بالحياد.. مجاملة لألمانيا التى ساعدتها قبل الحرب بكل سخاء وإخلاص.. ولم يكن أمام بريطانيا وروسيا إلا الضغط الفعلى على إيران.. وإنذارها. ثم احتلال أراضيها بعد رفض الإنذار المشترك وعادت إيران فى أغسطس عام ١٩٤١ إلى الوضع الذى كانت عليه عام ١٩٠٧ بالنسبة لوقوعها تحت السيطرة الروسية البريطانية المشتركة.

وبهذه الصورة من الضغط المسلح.. أصبحت إيران فى حظيرة الخلفاء رغماً عنها وبدأت تنفذ مطالبهم.. وتمادوا فى طلب بعض الامتيازات الاقتصادية الخاصة لا تتصل بحاجيات الحرب وظروفها كامتيازات صيد الأسماك فى بحر قزوين لروسيا واستغلالها لموارد البترول فى شمال إيران أيضاً.

وعارضت إيران بعض هذه المطالب (الخاصة) والتى تقدمت بها روسيا.. وانتهزت بريطانيا هذه الفرصة وأيدت وجهة نظر إيران.. وكان ذلك بدء تجدد المنافسة بين الحليفتين فى إيران منذ عام ١٩١٨.

واستمر ضغط روسيا وبريطانيا على الشاه، وتقرر نفيه إلى جنوب أفريقيا.. وتدخلت الولايات المتحدة فى ذلك الوقت وكانت قد اشتركت فى الحرب بعد الهجوم عليها فى ميناء (بيرل هاربور) وكان تدخل الولايات المتحدة بصفة ضمان لاستقلال إيران بعد الحرب وإخلاء أراضيها من قوات الخلفاء خلال ٦ شهور من انتهاء الحرب وتحقيق وحدة إيران. وكان هذا الضمان.. إجراء وقائيا من جانب الدول الغربية لتمنع تمسك روسيا بالبقاء مستقبلا فى شمال إيران خصوصا بعد أن نجحت فى وقوفها أمام الألمان فى ساست بول بالقرم وفى ستالينجراد.. وبعد بدء تحول العمليات الحربية لصالح روسيا وخوف الخلفاء الغربيين من استغلال الروس لنجاحهم فى تثبيت وجودهم بإيران وأعلنت هذه الاتفاقية التى أشرنا إليها فى طهران عام ١٩٤٣.

وبانتهاء الحرب.. طالبت إيران تحقيق اسـتقلالها بجلاء الخلفاء عن أراضيها.. وبدأ انسـحاب الانجليز تدريجيـا، وماطل الروس الذين تركوا فى طهران خميـرة قوية من عملائهم.. ولقد أرادت روسـيا إنهاء النفوذ الانجليزى كله.. فأثارت فتنة فى أذربيجان شـمال إيران، وأعلنت روسـيا قيـام جمهورية أذربيجـان وانضمامها إلى مجموعـة جمهوريات الاتحاد السوفيتى.. وكان ذلك عام ١٩٤٦، ولكن لم تنل هذه الجمهورية أى اعتراف عالمي، فقضى عليها بالإهمال.

وطالبت روسـيا بامتيازات بترولية خاصـة.. رفضها البرلمان الإيرانى مما سبب الجفاء بين إيران وروسيا، بل وكان ذلك سببا فى مطالبة الشركة الانجليزية بنصيب أكبر من الأرباح.

وتدخلـت الولايات المتحدة إلى جانب إيران.. مما سـاعد على تحقيق استقلال إيران وتحررها من الضغط السوفيتى.. وإن كانت لم تزل مقيدة بالامتيازات الأجنبية الممنوحة لشركة البترول.

وبـدأ تدخل الولايات المتحـدة فى تلك المنطقة بأخـذ مظهراً إيجابياً صريحا بعـد انتهاء الحرب وأصبحت هى القـوة الغربية الأولى فى هذه المنطقة بدلاً من بريطانيا التى خسـرت إمبراطوريتها فى الشرق الأقصى وخاصة بعد أن أقامت روسيا الكتلة الشرقية ووضعتها تحت لوائها.. وبعد أن زالت الأسـباب التى جمعت بينها وبين الكتلـة الغربية فى حلف واحد طول مدة الحرب فقط.

وواجهت إيران قيام هاتين الكتلتين وأضحت من جديد ميدانا للمنافسة والصراع البارد بين القوى الكبرى على حسابها وحساب مثيلاتها من الدول الصغيرة ذات «المفاتن» الاستراتيجية الخاصة.

وأصبحـت أمريكا تجد فى إيـران ميدانا غنيـا بالخصائص والمزايا الآتية:

أ - وفرة موارد البترول بين ربوعه.

ب - ميدان قريب للكتلة الشـرقية يسهل فيه القضاء مبكراً على دعايات الشيوعية.. ويسهل منه توجيه الدعايات المضادة.

جـ - إمكان خلق قـوة حربية فى إيران تسـاعد على إيقـاف أى تهديد شيوعى.

د - السيطرة الاقتصادية على إيران وما حولها بالتدريج كوسيلة لربطها بالكتلة الغربية.

وأعلن ترومان بعد ذلك عام ١٩٤٧ .. مبدأه الخاص: (بحصر الشيوعية فى أماكنها ومنعها من التسرب.. والدفاع عن الدول الصغيرة ضد الاعتداء الشيوعى عليها).

وأرسـلت الولايات المتحدة عونا ماديا لإيران من الفائض من أسـلحة الجيش الأمريكى، كما أرسـلت بعثات عسكرية لتدريب القوات الإيرانية، كما أرسـلت إعانة اقتصادية سريعة - وذلك كله لمنع وقوع إيران فى قبضة الكتلة الشرقية.

وهكذا استمرت الولايات المتحدة فى تقديم معونتها للحكومات الإيرانية كوسـيلة إيجابية ومضادة لنشاط روسيا الذى وجهته إلى حزب تودة وإلى بعض طبقات الشعب لإثارة القلاقل ضد الحكومات المختلفة.

- وكانت أهداف روسيا من السعى للفوز بالسيطرة على إيران.. هى :

أ - الحصول على امتيازات أفضل بالنسـبة لمصائد الأسماك فى بحر قزوين.

ب - حرمان الغرب من بترول إيران.

جـ - فتح المجال للمبادئ الشـيوعية من الـرواج والتدفق صوب باقى الشـرق الأوسـط «الحانق» على اسـتعمار بريطانيا التقليدى فيه وخاصة منطقة الهلال الخصيب وعلى الأخص.. العراق وسوريا.

د - الوصول إلى المياه الدافئة من أقرب الطرق.. والانطلاق من الخليج العربى إلى الشـرق الأقصى الجنوبي، وإلى الشرق الأوسط، وإلى

جنوب أفريقيا حيث ترنو الشيوعية إلى تلك الميادين الغنية بمواردها والتى يسيطر عليها الاستعمار الغربى.

وعلى أساس هذا التشابه حينا بين الأهداف الشرقية فى إيران، وأهداف الغرب فيها، والتعارض حينا آخرا فيما بين الكتلتين.. فيمكن إيجاز الأهمية الاستراتيجية لإيران فى النقط الآتية :

الأهمية الاستراتيجية لإيران فى النقط الآتية :

أ - توسط موقعها الجغرافى بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى.. وبين آسيا وأفريقيا.

ب - إشرافها على الخليج العربى ومدخل المحيط الهندى واعتبارها بذلك.. أقرب الطرق المؤدية إلى المياه الدافئة المفتوحة بالنسبة للاتحاد السوفييتى.

جـ - وقوعها فى ملتقى خطوط الملاحة الجوية «بصفة خاصة» والبحرية بين الشرق والغرب.

د - مناعة أرضها وقلة وجود المعابر الأرضية فى جبالها التى تؤدى إلى التسلل السريع إلى الجنوب الغربى لآسيا، إذ لا يوجد بها سوى ٣ معابر، ومع ذلك فهى على ارتفاع يتراوح بين ١٠,٠٠٠ ، ١٢,٠٠٠ قدم، لا يسهل تدميرها، وفى ذلك ميزة دفاعية كبرى للدولة، ولمن يتحالف معها فى سياستها الوقائية والدفاعية ضد أى هجوم من الشمال حيث يوجد الاتحاد السوفييتى الذى يشترك معها فى حدود يبلغ طولها ٩٦٥ ميل.

هـ - وفرة الموارد الزراعية والحيوانية والمعدنية خصوصا النحاس والذهب والفحم والحديد والرصاص والمنجنيز والنيكل والكوبلت مع امكان التوسع فى استغلالها كلما زادت الإمكانيات المادية والفنية.

و - وجود البترول بنسبة كبيرة فى الجنوب الغربى ويقدر الاحتياطى الموجود بها نحو ٩٣٠ مليون طن.

ز - اعتبار إيران منطقة استهلاكية كبيرة.

ح - إمكان خلق قوة عسكرية كبيرة بالنسبة لتفوق إيران فى القوى البشرية عما حولها من دول الشرق الأوسط.

ط - هى أقرب المعابر الأرضية من آسيا إلى الجزيرة العربية وبالتالى إلى أفريقيا. واعتبارها بمثابة عمق أمامى لدفاعات أمريكا فى شرق البحر الأبيض وفى الظهران وفى إثيوبيا.

ك - ميدان مباشر مفتوح للصراع المذهبى بين الغرب والمذهب الشيوعى.

ل - اتساع رقعتها لمساحة ٦٢٨,٠٠٠ ميل مربع مما يتيح للدول المتعاونة معها تحقيق عمق دفاعى كبير فيها يساعد على الصمود أمام أى غزو.

ومن أجل هذه الخصائص الإستراتيجية التى تتميز بها إيران.. نشطت المناورات السياسية بين القوى الكبرى على حساب استقرار الدولة وأمنها.

الفصل الثانى

نظم الحكم

أعلى هيئة تشريعية إيرانية :

مجلس صيانة الدستور :

مجلس صيانة الدستور أو مجلس الرقابة على القوانين (شوراى نكهبان) هو أعلى هيئة تحكيم فى إيران ويتكون من ١٢ عضوا، ٦ أعضاء فقهاء دينيون يعينهم المرشـــد الأعلى للثورة، أما الســـتة الباقون فيكونون من الحقوقيين الوضعيين ويعينهم مجلس الشـــورى بتوصية من رئيس الســـلطة القضائية، وتتبع للمجلس لجان مراقبة تشرف على تطبيق وتنفيذ صلاحياته.

مهام المجلس :

تنـــاط بأعضاء مجلس صيانة الدســـتور مهمة مزدوجـــة هى: مرة عند الترشـــيح لعضوية المجالس التشريعية، ومرة عند إصدار المجالس للقوانين واللوائح، فهو يشرف على جميع الاستفتاءات التى تجرى بدولة إيران، سواء تعلقت بالبلديات أم التشـــريعيات أم الرئاســـيات أم اختيار أعضاء مجلس الخبراء، فلمجلس صيانة الدستور تقييم المرشحين وإعلان رأيه بشأن أهليتهم للترشـــح. ومن معايير المجلس فى تقييم المترشـــح صحة العقيدة الإسلامية والولاء للنظام، وكثيرا ما ألغى المجلس ترشح الشيوعيين والقوميين والأكراد وأعضاء حركة حرية إيران أو كل من لا يؤمن بمبدأ ولاية الفقيه.

ثم إن لمجلس صيانة الدســـتور أيضا الحق فى تفسير الدستور وتحديد مدى توافق القوانين التى يجيزها مجلس الشورى (البرلمان) مع مقتضيات الشريعة الإسلامية، وله حق النقض تجاه تلك القوانين.

رئاسة مجلس صيانة الدستور :

يترأس آية الله أحمد جنتى مجلس صيانة الدستور وهو أحد فقهاء الحوزة العلمية بمدينة قم، وفضلا عن كونه مرجعا تقليديا للشيعة الإمامية فهو أيضاً خطيب الجمعة المناوب فى طهران. وجنتى وجه من وجوه المحافظين المساندين لخط المرشد الأعلى سيد على خامنئى من أجل المحافظة على نقاء واستمرار نظام ولاية الفقيه أمام تيار الإصلاحيين الداعى إلى التخفيف من هيمنة الولى الفقيه المطلقة.

ويرى المراقبون أن أحمد جنتى جعل من مجلس صيانة الدستور قلعة تتحكم فى ثغور النظام وتحرسها ورقيبا على القوانين والقرارات. وقد عرفت فترة رئاسته تأزما شديدا بين مجلس صيانة الدستور والبرلمان صراع مجلس صيانة الدستور والبرلمان كثيرا ما ألغى مجلس صيانة الدستور قرارات مجلس الشورى بحكم صلاحياته مما حد من قدرة البرلمان على إصدار تشريعات حتى مع وجود أغلبية من الإصلاحيين داخل مجلس الشورى نفسه. وقد سبب إشراف مجلس صيانة الدستور على لوائح الترشيحات حدوث أزمة مع البرلمان بداية العام ٢٠٠٤ حين رفض المجلس ٣٦٠٥ مرشحين للانتخابات من أصل ٨١٥٧، وكان أغلب من رفض من الإصلاحيين وبينهم ٨٠ نائبا تقدموا لتجديد ولايتهم. وكما رفض مجلس صيانة الدستور الكثير من تشريعات البرلمان ومن أهمها قانون زيادة صلاحيات رئيس الجمهورية وتعديل شروط الترشيح والانتخابات، فقد رفض البرلمان بدوره تشريع زيادة ميزانية مجلس صيانة الدستور وتشريع مراكز أبحاث ومكاتب معلومات تابعة للمجلس.

هيئة تعيين وعزل المرشد الأعلى :

مجلس الخبراء :

أنشئ مجلس الخبراء عام ١٩٧٩، وكان آية الله الخمينى قد اقترح أن يشكل لمراجعة مسودة الدستور لتعرض فى استفتاء شعبى عام.

مهام المجلس :

يقوم المجلس حسب المادة ١٠٧ من دستور ١٩٧٩ بانتخاب المرشد الأعلى للثورة، ويحق للمجلس حسب المادة ١١١ من نفس الدستور خلعه إذا ثبت عجزه عن أداء واجباته أو فقد مؤهلا من مؤهلات اختياره.

ولا يجوز التصويت فى البرلمان على أى نوع من التعديلات الدستورية قبل أن تصدر توصية من مجلس الخبراء بذلك الشأن، وتلزم توصياته وقراراته سائر أجهزة الدولة.

العضوية والمدة :

عين أول مجلس خبراء عام ١٩٧٩ من ٧٠ عضوا قاموا بمراجعة مسودات الدستور وطرحوه فى استفتاء شعبى عام، يوم ٢ ديسمبر ١٩٧٩. وفى العام ١٩٨٢ ارتفع عدد أعضاء مجلس الخبراء إلى ٨٣ عضوا بسبب التناسب الطردى بين زيادة عدد سكان إيران وعدد أعضاء المجلس، ويتألف مجلس الخبراء الآن من ٨٦ عضوا ليس فيهم امرأة، وغالبية هؤلاء الأعضاء من رجال الدين. وتقوم كل محافظة من محافظات إيران الـ٢٨ باختيار ممثل لها فى مجلس الخبراء، فإذا زاد عدد سكانها على المليون يحق لها انتخاب ممثل إضافى عن كل ٥٠٠ ألف شخص. لذلك يوجد لطهران مثلا ١٦ ممثلا فى مجلس الخبراء ولخراسان ٨ ممثلين ولخوزستان ٦ ولفارس ٥. ويتم انتخابهم بواسطة اقتراع شعبى عام ويجتمعون فى دورة عادية كل سنة، ومقر اجتماعات مجلس الخبراء السنوية هو مدينة قم، إلا أن كل اجتماعات المجلس عقدت فى العاصمة طهران. وتبلغ مدة مجلس الخبراء ثمانى سنوات. وأعضاؤه غير ممنوعين من تولى المناصب الحكومية المختلفة.

شروط اختيار أعضاء المجلس :

يتحتم - حسب القانون المنشئ لمجلس الخبراء والصادر عام ١٩٨٠ - أن يكون العضو:

- مخلصا وأمينا وحسن الخلق.

- ملما بالفقه لمعرفة الشـــروط الواجب اســـتيفاؤها لتولى منصب المرشد الأعلى.
- متمتعا بمهارات اجتماعية وسياسية وعارفا بالأوضاع العامة.
- معروفا بولائه لنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

رئاسة مجلس الخبراء :

يغلـب على أعضاء المجلس التيـار المحافظ ويترأسـه منذ ١٩٩٠ آية الله على مشـكينى إمام وخطيب الجمعة بمدينة قم المقدسـة، وهو مرجع تقليد مقرب من المرشد الأعلى سيد على خامنئي. وكان آخر انتخاب لهذا المجلس بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٩٩٨.

قانون انتخاب مجلس الشورى الإيرانى :

تعقد انتخابات مجلس الشـورى الإيرانى كل أربع سـنوات، ومن المقرر أن تعقـد الجولة الأولى للبرلمـان القادم فى ٢٠ فبراير ٢٠٠٤. وتكون هذه الانتخابات هى السـابعة فى تاريخ المجلس منذ ثورة ١٩٧٩. ويبلغ مجموع المقاعد المتنافس عليها فى المجلس ٢٩٠ مقعدا.

ويشكل الإصلاحيون أغلبية فى البرلمان الحالى فيما يسيطر المحافظون على السلطة القضائية والقوات المسلحة ومجالس الرقابة الدستورية مثل مجلس صيانة الدستور.

نظام الترشيح :

يبلغ عـدد الناخبين المؤهلـين للتصويت ٤٦ مليون ناخـب. ويجب أن يكون المرشـح مسـجلا لدى وزارة الداخليـة، وتقوم المجالـس التنفيذية بوزارة الداخلية بدورها فى الوقوف على الشـروط المطلوب توافرها لدى المرشـحين، وهذه تشـمل الشـروط العامة التى يجب توفرها لدى جميع المرشـحين مثل العمر والمستوى التعليمى والشروط الأخرى الأكثر تحديدا مثل تمسك والتزام المرشح بالإسلام ونظام الحكم ومرشد الجمهورية.

ويتعين على المرشـــحين التقيد بجملة شـــروط، منها الإيمان والالتزام بالإســـلام والنظـــام «المقدس» للجمهورية الإســـلامية، وأن يكـــون إيرانى الجنســـية، وحاصلا على درجة جامعية أو ما يعادلها وله سمعة طيبة فى دائرته الانتخابية، وخاليا من العيوب والتشوهات الجسدية.

ويعفى المرشـــحون للمقاعـــد المخصصة للأقليات الدينية من شـــرط الالتزام بالإسلام ويتعين عليهم التقيد التام باعتقادهم الدينى الذى ينتمون إليه. ويعفى نواب المجلس السابقون من هذه الشروط.

ترفـــع نتائج التصفية التى قامت بها المجالـــس التنفيذية إلى المجالس الاستشـــارية التابعة لمجلس صيانة الدستور، وأى مرشح تستبعده المجالس التنفيذية يستطيع الاستئناف أمام المجالس الاستشارية، ومنها إلى المجلس الاستشـــارى المركزى ومجلس صيانة الدســـتور نفسه. وأخيرا، بعد عملية التصفية المتعددة المراحل التى تســـتغرق ما يقارب الشهرين، يرفع مجلس صيانة الدستور القائمة النهائية بالمرشحين المؤهلين إلى وزارة الداخلية.

يســـتطيع المرشح التســـجيل فى التصويت دون التعريف بالحزب التابع له، ولكن يمكن مســـاندته من قبل أى من المجموعات السياسية القانونية. وإذا لم يتم له ذلك، فإنه يترشح كمستقل.

وتقـــوم المجموعات السياســـية بإصدار قوائمها الخاصة بمرشـــحيها المتميزيـــن. وطوال الأســـابيع الســـابقة ليوم الاقتراع تحـــاول المجموعات المتجانســـة وضع قوائم مشتركة للحيلولة دون تجزئة أصواتهم فى الجولة الأولى.

المشاركة النسائية :

منحت النســـاء حق التصويت ودخول الانتخابات عام ١٩٦٢. وقد ضم المجلس الســـابق ١١ امرأة. وتضم الانتخابات الحالية ٨٠٦ نســـوة و٧٣٣٨ رجـــلا. وهذا العدد من المنتظـــر أن يتم تصفيته من قبـــل مجلس صيانة الدستور.

الحملة الانتخابية :

تستغرق الحملة الرسمية لانتخابات المجلس أسبوعاً واحداً وتنتهى قبل ٢٤ ساعة من الانتخابات، وهذه الحملة تشمل جملة قواعد منها: عدم استخدام اللافتات أو الملصقات أو مكبرات الصوت فى الأماكن غير المسموح بها، وحظر سوء استخدام الوسائل والمرافق والأموال العامة أو التشهير بالمرشحين الآخرين.

نسبة الترشيح :

تعقد الانتخابات فى جولتين ويتم انتخاب المرشحين فى الجولة الأولى إذا حصلوا على ٢٥٪ من مجموع الأصوات. وهناك عدد محدد من المقاعد لكل دائرة انتخابية، على سبيل المثال طهران لها ٣٠ مقعدا، وإصفهان لها ٥ مقاعد. وهناك أيضا ٥ مقاعد مخصصة للأقليات الدينية مثل: الزرادشتيون (مقعد واحد)، واليهود (مقعد واحد)، والأشوريون والمسيحيون الكلدانيون (مقعد واحد)، والأرمن (مقعدان). ويجب أن يكون سن الترشيح بين ٣٠ و٧٥ سنة.

وإذا لم تكتمل مقاعد دائرة ما فى الجولة الأولى، يصبح أمام المرشحين الحاصلين على أعلى عدد من الأصوات فرصة التنافس فى الجولة الثانية وفق الطريقة التالية:

عدد المرشحين المسموح لهم بخوض الجولة الثانية يكون ضعف عدد المقاعد المتنافس عليها. على سبيل المثال، فى إصفهان التى لها خمسة مقاعد، إذا تجاوز أحد المرشحين عتبة الـ ٢٥٪ وانتخب فى الجولة الأولى، فإن المرشحين الثمانية التاليين الحاصلين على معظم الأصوات سيخوضون الجولة الثانية للتنافس على المقاعد الأربعة الباقية.

الولى الفقيه.. الدور والصلاحيات :

يتميز النظام السياسى الإيرانى عن سائر النظم السياسية العالمية بميزة دستورية فريدة، وهى وجود مؤسسة اسمها «الولى الفقيه» أو

«المرشـــد الأعلى» تتربع على قمة هرم السلطة ويخولها الدستور الإيرانى صلاحيات واسعة.

من هو الولى الفقيه :

«الولى الفقيه» أو «المرشد الأعلى» لفظان مترادفان مرتبطان بالنظرية السياســية الدينيــة التى قال بها الإمــام الخمينى وهى «ولايــة الفقيه». وقد نشــأت نظرية «ولاية الفقيه» على يد الشــيخ أحمــد النراقى مؤلف كتــاب «عوائد الأيام» فى أصول الفقه والمتوفى عام ١٨٢٩، وطبقها الإمام الخمينى لأول مرة عام ١٩٧٩.

وقد شــكلت النظرية تطوراً كبيراً فى نظام المرجعية الدينية الذى نشأ عند الشــيعة الإمامية فى عصر غيبة الإمام الثانى عشر وطيلة مقاطعتهم للأنظمة السياسية الإسلامية المختلفة. وتقوم النظرية على النيابة العامة للفقهاء عن المهدى المنتظر الذى - إن عاد حســب الشيعة - سيملأ الأرض عــدلا بعدما ملئت جورا. وبموجب ولاية الفقيــه صارت المرجعية الدينية مصدر الإفتاء والأحكام وتطورت من مهمة الإرشــاد الروحى إلى شــكلها المعاصر المتمثل فى المرشــد الأعلى للثورة الإسلامية الذى يهيمن بسلطاته الجمة على مؤسسات الدولة الإيرانية كلها.

سلطات الولى الفقيه ومؤهلاته :

نصت المادة الخامسة من الدستور الإيرانى على أن ولاية الأمة فى ظل اســتتار الإمام تؤول إلى أعدل وأعلم وأتقى رجل فى الأمة، ليدير شــؤون البلاد وفق ما جاء فى المادة (١٠٧) من الدستور، ونصت المادة نفسها على تساوى المرشد مع عامة الشعب أمام القانون.

ومؤهلات المرشــد هى: العلم والعدالة والمروءة والفقه الواســع بظروف العصر والشجاعة والفطنة والذكاء والقدرة على إدارة الأمور.

ويفوض الدســتور المرشــد الأعلى الاضطلاع بمســؤولية القائد العام للقوات المسلحة وإعلان الحرب وتعيين وعزل الأفراد التاليين :

١ - نصف أعضاء مجلس صيانة الدستور البالغ عدده ١٢ عضوا.
٢ - رئيس السلطة القضائية.
٣ - رئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون
٤ - القائد الأعلى لقوات الحرس الثورى.
٥ - القيادات العليا للقوات المسلحة وقوى الأمن.

ورغم هذه الصلاحيات الجمة فإن الإمام الخميني، أول مرشد أعلى فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لم يكتف بها بل فرض هيمنته على مجلس الشورى وعلى رئاسة الجمهورية، فأقال أبو الحسن بنى صدر رئيس الجمهورية الأول عام ١٩٨١ عندما تمرد على تعليماته، ووجه رسالة شديدة اللهجة إلى الرئيس على خامنئى عام ١٩٨٨ عندما اعترض على بعض ممارساته حين أجاز قانون العمل بعد أن عارضه مجلس المحافظة على الدستور.

واعتبر الخمينى فى تلك الرسالة ولاية الفقيه كولاية الرسول ﷺ، فالولى الفقيه، بالنسبة للخمينى، معين من قبل الإمام المهدى الغائب، ولذلك لا يجوز الاعتراض على قراراته بناء على الحديث المنسوب إلى المهدى الذى يقول «إن الراد على الفقهاء كالراد علينا وكالراد على الله».

انتخابه والهيئات التابعة له :

يتم انتخاب المرشد الأعلى من طرف مجلس الخبراء (المنتخب من قبل الشعب)، وكان الإمام الخمينى أول من أنيطت به ولاية الفقيه إلى أن توفى عام ١٩٨٩ فتولى المرشد الحالى السيد على خامنئى هذا المنصب. وكان من المفترض أن يكون آية الله العظمى حسين على منتظرى خليفة الخمينى، إلا أن انتقاداته للإعدامات التى قامت بها الحكومة الإيرانية ١٩٨٨ و١٩٨٩ جعلت الخمينى يدفعه إلى الاستقالة فى مارس ١٩٨٩.

وينسق «مكتب المرشد الأعلى» نشاط الولى الفقيه وظهوره أمام الناس، وهو مكون من أربعة أعضاء يشترط أن يكون كل منهم «حجة الإسلام» أو «آية الله».

وللمرشد الأعلى أكثر من ٢٠٠٠ ممثل أغلبهم برتبة حجة الإسلام منتشرين فى كل الوزارات وفى مؤسسـات الدولـة وفى المراكز الثقافية داخل إيران وخارجها وفى محافظات إيران الثمانى والعشـرين. وقد أسـس خامنئى عام ١٩٩٠ المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسـلامية وكذلك المجمع العالمى لأهل البيت.

عزل المرشد الأعلى :

يمكن لمجلس الخبراء ـ نظريا ـ أن يعزل المرشد فى حالتين هما :

- عجز المرشد عن أداء واجباته الدستورية :

فقدانـه صفة من صفات الأهلية التى نصت عليها المادتان (٥) و (١٠٩) من الدستور، أو إذا تبين أنه لا يملك تلك الصفة من الأساس

الولى الفقيه وصراع المحافظين والإصلاحيين :

منذ فوز الرئيس الإيرانى محمد خاتمى بانتخابات رئاسـة الجمهورية عام ١٩٩٧ تغيرت صورة المشـهد السياسـى، فظهر معسـكران محافظ وإصلاحى. ومع تحول المحافظين آلى أقلية من حيث التعاطف الجماهيرى فإن المرشد على خامنئى، بصلاحياته الدستورية الواسعة، ظل سندا لهذا المعسـكر، ما كرس الأزمة السياسـية بين تيار لا شـعبية له ويمتلك صنع القرار (المحافظون) وتيار جماهيرى يسـيطر على البرلمان ولا صلاحيات كبيرة بحوزته (الإصلاحيون). وبعد ذلك أصبحت مسألة الولى الفقيه أهم عنصر فى الصراع بين التيارين الإصلاحى والمحافظ.

ومـع أن الإصلاحيـين يؤمنون بالإطـار النظرى لدسـتور الجمهورية الإسلامية، الذى يعتبر أن الالتزام العملى بمقولة ولاية الفقيه، كما وصفها الإمـام الخمينـى هو معيار أى عمل سياسـى، فإن قطاعات واسـعة من مثقفين وطلاب ونسـاء محسوبة على الإصلاحيين طالبت بمنح مزيد من الصلاحيات الدستورية لمنصب رئاسة الجمهورية حتى تخف قبضة الولى الفقيه على مقاليد الحكم.

فالإصلاحيون يرون أن سلطات الولى الفقيه تتجاوز كثيرا تلك السلطات التى كان دستور ١٩٠٦ يمنحها لشاه إيران، وهم فى مطالبتهم بإعادة النظر فى ولاية الفقيه يسعون - حسب المراقبين - إلى مراجعة أسس الحكومة فى إيران، هل تقوم على أســاس تفويض من الشعب الإيرانى للحكم باسمه أم على تفويض إلهى باسم الإمام الغائب.

ويبدو أن هذا الإشــكال ســيظل محوريا بالنسبة للنظام السياسى فى إيــران إلى أن يحدث تــوازن بين منصب رئيس الحكومــة ومنصب الولى الفقيه.

مقارنة بين الولى الفقيه ورئيس الجمهورية :

يذهــب بعض المتابعين للشــأن الإيرانى إلى وصف الجهــاز التنفيذى الإيرانى بكونه حكومة «ذات رأسين» (الولى الفقيه ورئيس الجمهورية) لكن تجب الإشــارة إلى أن هنالك فروقا بين المؤسســتين كما يوضحه الجدول التالى:

	الولى الفقيه	رئيس الجمهورية
مدة الحكم	مدى الحياة	٤ سنوات
جهة الانتخاب	مجلس الخبراء	انتخاب شعبى عام
طبيعة الصلاحيات	مطلقة وفوق جميع السلطات	تنفيذية ومقيدة

الحكم بين البرلمان ومجلس صيانة الدستور :

مجمع تشخيص مصلحة النظام :

مجمع تشــخيص مصلحة النظام أو مجلس تشــخيص مصلحة النظام هيئة استشارية أنشئت استجابة لتوجيهات مرشد الثورة روح الله الموسوى الخمينى فى ٦ فبراير١٩٨٨.

مهام المجمع :

تناط بمجمع تشخيص مصلحة النظام ثلاث مهمات:

- أن يكون حكما بين مجلس الشورى (البرلمان) ومجلس صيانة الدستور فى حال نشوب أزمة بينهما، وتصبح قراراته بشأن خصومة الهيئتين نافذة بعد مصادقة المرشد عليها.
- أن يقدم إلى المرشد الأعلى للثورة (الولى الفقيه) النصح عندما تستعصى على الحل مشكلة ما تتعلق بسياسات الدولة العامة.
- أن يختار فى حالة موت المرشد، أو عجزه عن القيام بمهامه بقرار من مجلس الخبراء، عضوا من مجلس القيادة يتولى مهام المرشد حتى انتخاب مرشد جديد.

عضوية المجمع :

يتكون المجمع من ٣١ عضوا يمثلون مختلف التيارات السياسية الإيرانية. ويعين المرشد الأعلى للثورة أعضاء المجمع الدائمين والمتغيرين ما عدا رؤساء السلطات الثلاث فإنهم ينضمون إلى المجمع بشكل آلى بعد التعديل الجديد الخاص بقانون المجمع.

ومدة المجمع ٥ سنوات، ويلتحق بعض الأعضاء بشكل غير دائم إذا كانت المسائل المطروحة تتعلق بصلاحياتهم كبعض الوزراء، ومنذ ١٨ مارس ١٩٩٧ يترأس المجمع الرئيس السابق هاشمى رفسنجانى.

وتتبع للمجمع لجان خاصة تعمل فى مجال السياسة والأمن والثقافة والاقتصاد وغير ذلك.

المجمع وصراع المحافظين والإصلاحيين :

اعتبر البعض أن على أكبر هاشمى رفسنجانى - رئيس المجمع - من المقربين من المرشد الأعلى للثورة سيد على خامنئى لذلك ظل يعكس المجمع الذى يترأسه رأى المرشد، فيما يرى آخرون أنه على مسافة واحدة من الجميع.

وعلى اعتبار أن المجمع يقوم بدور الحكم الفيصل فى نزاعات البرلمان ومجلس صيانة الدستور، ومنذ آخر انتخابات برلمانية فى إيران عام ٢٠٠٠، فإن مجمع تشخيص مصلحة النظام قد تدخل ١٢ مرة لفض الصراع بين المؤسستين ولم يقف فيها إلى جانب البرلمان سوى مرة واحدة.

ويعتبر الإصلاحيون مجمع تشخيص مصلحة النظام حكم وخصم فى نفس الوقت، وأنه يشكل إلى جانب مجلس صيانة الدستور هيئتين تعرقلان نشاط البرلمان لما للمحافظين من هيمنة عليهما.

البرلمان الإيرانى :

مجلس الشورى الإسلامى :

تنقسم السلطة التشريعية فى إيران إلى عدة هيئات منها مجلس الشورى أو البرلمان ومجلس صيانة الدستور ومجلس الخبراء ومجلس تشخيص مصلحة النظام والمجلس الأعلى لثقافة الثورة وكان آية الله الخمينى قد أضاف سنة ١٩٨٨ المؤسستين الأخيرتين.

انتخاب مجلس الشورى :

ينتخب أعضاء مجلس الشورى الـ٢٩٠ فى اقتراع مباشر كل أربع سنوات. وينص الدستور على أن يكون أعضاء المجلس مسلمين عميقى الإيمان بالإسلام. غير أن الأقليات الدينية لها تمثيلها فى مجلس الشورى حسب كثافتهم العددية، فهناك ممثل واحد لأتباع كل من الديانة الزرادشتية واليهودية والنصرانية الآشورية، فى حين أصبح عدد ممثلى نصارى الأرمن اثنين بسبب الزيادة فى تعدادهم السكانى.

انتخب أول مجلس بعد الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٨٠ وتتالى تجديد انتخابه كل ٤ سنوات فتم تجديده ست مرات كان آخرها عام ٢٠٠٠.

ولا توجد حصانة قانونية من القضاء لأعضاء المجلس إلا ما استثنى فى المادة رقم (٨٩) من الدستور من حيث حرية النائب فى إبداء الرأى فى كل قضية تطرح فى المجلس دون أن يتعرض للمساءلة القانونية من القضاء أو أى جهة أخرى.

سلطات مجلس الشورى :

لمجلس الشورى عدة سلطات هى :

١ - مناقشة خطط وجداول أعمال الحكومة للمصادقة عليها، ومناقشة أى جدول أعمال مقدم من ١٥ عضوا على الأقل.

٢ - المناقشة والمساءلة فى كل الشؤون القومية.

٣ - المصادقة على كل المعاهدات والبروتوكولات والعقود والاتفاقيات.

٤ - إحداث تغييرات طفيفة فى الخط الحدودى للبلاد بشرط اعتبار المصالح القومية وموافقة أربعة أخماس الأعضاء.

٥ - الموافقة أو الرفض على طلب الحكومة بإعلان أحكام الطوارئ لمدة لا تزيد عن ٣٠ يوما.

٦ - التصويت على منح أو سحب الثقة من الوزراء أو أى موظف حكومي، والتصويت على سحب الثقة من الرئيس.

٧ - توزيع مقاعد المجلس.

بعد آخر انتخابات تشريعية كانت قد تمت عام ٢٠٠٠ أصبح توزيع مقاعد المجلس على مختلف التشكيلات كالتالى:

التشكيلة السياسية	عدد المقاعد
الإصلاحيون	١٨٩
المحافظون	٥٤
المستقلون	٤٢
الأقليات الدينية	٥

المجلس وصراع المحافظين والإصلاحيين :

إذا كان للإصلاحيين نسبة ٦٥,١٧٪ من مقاعد مجلس الشورى مقابل ١٨,٦٢٪ للمحافظين فإن سيطرة الأخيرين على مجلس صيانة الدستور مكنتهم من الإشراف على مجلس الشورى والتحكم فى الداخل إليه والخارج

منه، بحكم كون مجلس صيانة الدستور يشكل قانونيا «حارس البوابة» بالنسبة لجميع العابرين إلى ساحة العمل السياسى. فهو المانح والمانع لحقوق المشاركة فى المنافسة السياسية. وهو فاحص أوراق المرشحين وواضع معايير تقييمهم ومن حقه مراقبة أعمال البرلمان والموافقة على مشروعات القوانين التى تقدم من خلال البرلمان أو رفضها.

وقد أعلن مجلس صيانة الدستور فى يناير ٢٠٠٤ رفض أكثر من ٣٦٠٥ من مجموع ٨١٥٧ مرشحا من المرشحين بينهم ٨٤ نائبا إصلاحيا فى مجلس الشورى. ومن الأسماء التى استبعدت النائب محمد رضا خاتمى شقيق الرئيس الإيرانى محمد خاتمى، ورئيس جبهة المشاركة فى إيران الإسلامية أكبر حزب إصلاحى إيرانى كما رفض بهزاد نبوى نائب رئيس البرلمان ومحسن ميردامادى رئيس لجنة الشؤون الخارجية والأمن القومى فى المجلس والنائبة فاطمة حقيقتجو. ولا يستبعد المراقبون فوز المحافظين فى انتخابات ٢٠ فبراير ٢٠٠٤ لمقاطعة العديد من الأحزاب الإصلاحية الكبرى للانتخابات.

الفصل الثالث

شخصيات إيرانية

آية الله الخمينى :

هو السيد روح الله الموسوى الخمينى (١٩٠٢ - ١٩٨٩)، قائد الثورة الدينية الشعبية من المنفى، التى أسقطت شاه إيران محمد رضا شاه بهلوى عام ١٩٧٩.

توفى والده سيد مصطفى العالم الدينى بعد ولادته بستة أشهر. وتوفيت أمه وخالته وهو فى الخامسة عشرة من عمره، وتربى مع أخيه الأكبر فحفظا القرآن وتعلما مبادئ المذهب الشيعى معاً.

سافر الخمينى إلى آراك لدراسة القانون الإسلامى. وفى بدايات العشرينيات تبع أستاذه راحلا إلى قم. حيث نبغ بين أقرانه وحصل على مرتبة آيه الله.

لم يرض الخمينى على تدخل القوات الأجنبية فى إيران، وكتب عام ١٩٤١ ضد نظام محمد رضا بهلوى «كل الأوامر التى صدرت عن النظام الدكتاتورى ليس لها أى قيمة على الإطلاق».

فى بداية الستينيات أعلن الشاه ثورة بيضاء، نادى فيها بحقوق المرأة والتعليم اللادينى، فشن الخميني هجوما شديدا على سياسة الشاه، الأمر الذى أدى إلى سجنه عام ١٩٦٣ ثم نفيه عام ١٩٦٤ خارج إيران، فذهب إلى تركيا أولاً ثم إلى مدينة النجف المدينة المقدسة عند الشيعة جنوبى العراق، حيث مكث هناك ١٣ عاما وكون مبادئه حول حكم الولى الفقيه والتى تنادى بأن يتولى رجال الدين الحكم، وقام الخمينى بنشر معتقداته بين طلابه.

فى السبعينيات غادر النجف إلى باريس، ومن هناك بدآ الخمينى يحث الإيرانيين على إسقاط الشاه وحليفته أميركا، وكانت رسائله تسجل وتستنسخ على أشرطة موسيقية وتهرب إلى داخل البلاد، وتوزع سريعا

بين الناس، كما كان لرسائله التى تبث عبر المذياع أثر كبير فى حث الناس على العصيان، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى سقوط الشاه وفراره من إيران فى يناير ١٩٧٩.

عاد الخمينى إلى إيران، وفى ديسمبر ١٩٧٩ آجيز الدستور الجديد وأعلنت إيران جمهورية إسلامية، وسمى الخمينى إماما وقائداً أعلى للجمهورية. فى أول سنتين من توليه الحكم أزيلت كل الآثار الغربية.

وفى عام ١٩٨٢ أعلن الخمينى أن تطرف بعض القيادات الدينية والاختلافات العنيفة بينهم تهدد وحدة الدولة الإسلامية، ودعاهم فى أكثر من مناسبة إلى العودة إلى «وظائفهم الحقيقية» وترك السياسة والأمور الإدارية للحكومة.

خطفت الحرب بين إيران والعراق ـ التى استمرت من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨ ـ الأنظار عن الخلافات الداخلية فى إيران. وبعد انتهاء الحرب بقبول الطرفين هدنة توسطت فيها الأمم المتحدة، عاد الخلاف من جديد بين القيادات الدينية، وبدأت صحة الخمينى تتراجع، وللحفاظ على الثورة أصدر الخمينى عدة مراسيم تقوى من سلطة الرئيس والبرلمان ومؤسسات الدولة الأخرى. وتوفى الخمينى فى يونيو ١٩٨٩، وخرجت الملايين فى جنازته.

محمد مصدق :

محمد مصدق (١٨٨٠ - ١٩٦٧) هو أحد قادة إيران السياسيين الذى أمم عددا كبيرا من شركات النفط البريطانية فى إيران، ونجح إلى حد ما فى خلع الشاه عندما كان رئيسا للوزراء فى الفترة (١٩٥١ - ١٩٥٣).

نشأ محمد مصدق كأحد أفراد الصفوة الإيرانية الحاكمة باعتباره ابن أحد موظفى الدولة الإيرانية. حصل على درجة الدكتوراه فى القانون من جامعة لوسان فى سويسرا، وعاد إلى إيران عام ١٩١٤ حيث عين رئيسا لحكومة مقاطعة فارس. وبقى فى الحكومة متتبعا لتنامى قوة رضا خان، فى عام ١٩٢١ عين وزيرا للاقتصاد وبعدها وزيرا

للشـؤون الخارجية لفتـرة وجيزة. كمـا انتخب عضوا فـى البرلمان عام ١٩٢٣. عارض انتخاب رضا خان «شاه» لإيران، فأجبره الشاه على اعتزال الحياة السياسية عام ١٩٤١.

عاد مصدق إلى الحياة العامة عام ١٩٤٤، عندما انتخب مجددا للبرلمان، دافع مصدق بـكل جرأة عن القومية، ولعـب دورا هاما فى معارضة منح الاتحاد السوفياتى ترخيص العمل فى حقول النفط شمال إيران كتلك المنح المعطـاة لبريطانيا فى جنوب إيران. وبنى مصدق قوة سياسـية ذات ثقل كبير، أساسها دعواته إلى تأميم شركات النفط.

فى عام ١٩٥١ أجـاز البرلمان الإيرانى تأميم النفط، فزادت قوة مصدق وشـهرته، الأمر الذى أجبر الشـاه على تعيينه رئيسـا للوزراء. واستمراراً لمسـيرة الصراع على تطويـر الحكومة الإيرانية بين الرجلين حاول الشـاه صرف مصـدق من عمله رئيسـا للوزراء عـام ١٩٥٣، فخرجت الجماهير المؤيدة لمصدق إلى الشوارع مدافعة عنه، ومجبرة الشاه على مغادرة البلاد.

بعد أيام قليلة، وبدعـم من الولايات المتحدة، نحى مصدق عن الحكم، وعاد الشـاه إلى البلاد وحكم على مصدق بالسـجن ثلاث سنوات بتهمة الخيانـة، وبعد انتهاء المدة فرضت الإقامة الجبريـة عليه فى منزله بقية حياته إلى أن توفى عام ١٩٦٧. ولكن ثمرة كفاح مصدق فى تأميم شركات النفط وخضوعها لسيطرة الحكومة الإيرانية ظلت مستمرة.

محمد رضا شاه بهلوى :

محمد رضا شـاه بهلوى (١٩١٩ - ١٩٨٠)، شاه (ملك) إيران فى الفترة مـن (١٩٤١ - ١٩٧٩). الذى أدى به منهجه التغريبـى الانفتاحى وحكمة الدكتاتورى إلى سقوطه فى الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩.

ولد محمد شـاه فى طهران، وهو الابن الأكبـر لرضا خان الذى حكم إيـران فـى الفترة ما بين (١٩٢٥ - ١٩٤١)، وقد نودى بمحمد شـاه وريثا للعرش عام ١٩٢٦. تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى سويسرا، وعاد فى

١٩٣٥ ليخدم فى الأكاديمية العسكرية فى طهران. تزوج ابنة الملك المصرى فاروق الأول فى عام ١٩٣٩، وانفصل عنها فى ١٩٤٩، وتزوج بعدها مرتين فى ١٩٥٠ و ١٩٥٩.

فـــى عام ١٩٤١ تخوف كل من الاتحاد الســـوفياتى وبريطانيا العظمى من تعاون محمد شـــاه مع النازية الألمانية، ممـــا دفعهما إلى احتلال جزء كبير من إيران وإكراه رضا شـــاه على التنازل عن مســـؤولياته ونفيه خارج البلاد، واستدعوا ابنه محمد شاه لتولى الحكم.

بدأ محمد رضا شـــاه حقبـــة جديدة من الحكـــم وكان عليه أن يواجه فوضى عارمة فى السياســـة والاقتصاد. ونجا فى عام ١٩٤٩ من محاولة اغتيال محققة من قبل أحد أعضاء حزب توده (Tudeh) اليسارى.

وفى بداية الخمســـينيات تطور خلاف بينـــه وبين محمد مصدق أحد المتحمســـين القوميين. مما اضطره إلى الهـــرب لفترة وجيزة عاد بعدها ليبدأ برنامجـــه الإصلاحى عام ١٩٦٣ بالتعاون مع الولايات المتحدة أطلق عليـــه «الثورة البيضـــاء»، يتضمن إعـــادة توزيع الأراضى بـــين المواطنين، وعمليات بناء واســـعة، والقضاء على الأميـــة وتحرير المرأة. ولكن التنفيذ العملـــى للبرنامج أدى إلى مزيد من التمييز الاقتصادى بين الناس، وتوزيع عوائد النفط بشكل عادل، مما عرضه لمزيد من موجات الانتقاد الواسعة لا سيما من علماء الدين الذين غضبوا من سياسته المتعاونه مع الغرب.

ومـــع تعالـــى أصـــوات الغضب الشـــعبية، خصوصـــا فـــى بدايـــة السبعينيات شـــدد محمد شاه من سياسته القمعية، وانتهج سياسة سرية وحشـــية (ســـافاك) لمحاولة قمع النزاعات الداخلية. أثارت تلك السياسة شغبا واسعا فى إيرن، وفى عام ١٩٧٨ تنامى التأييد الواسع للقائد الدينى فى المنفى روح الله الخمينى.

فـــى ١٦ يناير ١٩٧٩، هـرب شـــاه بهلوى خارج البـــلاد، وعاد الخمينى وتســـلم القيادة. وفى يناير من العام نفســـه هاجم مجموعة من الإيرانيين

السفارة الأميركية فى طهران، وطالبوا بالشاه مقابل إطلاق سراح الرهائن المحتجزين فى السفارة. بقى الشاه خارج إيران وتوفى فى مصر عام ١٩٨٠.

أبو الحسن بنى صدر :

أبو الحسن بنى صدر أول رئيس للجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد اندلاع ثورة ١٩٧٩، اصطدمت توجهاته الليبرالية مع التوجهات الدينية لآيات الله الذين قادوا الثورة، وحاول التعايش معهم على مدى ١٧ شهرا تولى فيها منصب رئيس الجمهورية لكن محاولاته باءت بالفشل، وكانت الحرب العراقية الإيرانية التى اندلعت عام ١٩٨٠ بداية النهاية لفترة حكمه القصيرة، حيث اتهم فيها بالخيانة وتعطيل المجهود الحربى، وأصدر مرشد الثورة الإسلامية آية الله الخمينى قرارا بعزله، وأصبحت حياته مهددة فى الأيام القليلة التى تلت ذلك فاختفى عن الأنظار، إلى أن استطاع الهرب إلى منفاه الاختيارى فى فرنسا.

كانت اختيار آية الله الخمينى للسياسى الليبرالى أبو الحسن بنى صدر أول رئيس للجمهورية الإسلامية وسيلة لطمأنة الرأى العام العالمى بشأن نظام الحكم الجديد الذى قام فى إيران عام ١٩٧٩.

لكن أبو الحسن كان رئيسا دون سلطات أو بالأحرى بسلطات مقيدة برضا آيات الله ومجلس الثورة الذى كان يسيطر على مؤسسة الدولة الحيوية، مثل الجيش والشرطة والقضاء والإذاعة والتلفزيون والبنك المركزى.. إلخ.

حاول بنى صدر فى بداية حكمه وبعد أن حلف اليمين الدستورية أمام آية الله الخمينى فى يناير ١٩٨٠ أن يقوم ببعض الإصلاحات السياسية والاقتصادية لكن الجو الثورى الذى كانت تعيشه إيران لم يكن مهيئا لقبول ذلك على الأقل فى ذلك الوقت.

كان أبو الحسن بنى صدر يرى احتواء تلك الأزمة التى نشبت بين العراق وإيران حتى لا تتسبب فى اندلاع حرب تأكل الأخضر واليابس، إلا أن الأمور سارت بسرعة مريبة حيث اجتاحت القوات المسلحة العراقية الحدود الإيرانية واحتلت مساحات من الأراضى الإيرانية.

وكانت العلاقات بين الرئيس الإيرانى ومرشد الثورة قد وصلت إلى مرحلة خطرة واتسعت شقة الخلاف بينهما وتعالت أصوات كثيرة داخل مجلس الثورة مطالبة بعزله.

ومثلت الرسالة التى بعث بها أبو الحسن إلى آية الله الخومينى والتى يطالبه فيها بحل مجلس الثورة ومجلس القضاء الأعلى وتشكيل حكومة جديدة كوسيلة لإنقاذ البلاد من التدهور السياسى والاقتصادى الذى وصلت إليه كانت القشة التى قصمت ظهر البعير.

فلم يكد يمر على تلك الرسالة أيام قليلة حتى توصل الخومينى إلى اقتناع مفاده أن بقاء أبو الحسن بنى صدر أصبح يمثل بالنسبة له مصدر إزعاج وقلق داخلى، فقرر فى ٢٧ مايو ١٩٨١ عزله بعد أن اتهمه بالخيانة، وبرر تلك التهمة الخطيرة بمسؤوليته عن إعاقة عمل القوات المسلحة لصد الهجوم العراقى على الأراضى الإيرانية.

عزل بنى صدر من جميع مناصبه، وأصبح مدانا لدى آية الله الخومينى بما له من سلطة روحية كبيرة على ملايين عدة من الشعب الإيرانى، كل هذا وسط جو ثورى مشحون، فخشى بنى صدر على حياته التى أصبحت مهددة.

اختفى عن الأنظار عدة أيام إلى أن تمكن من الهرب فى نهاية يوليو ١٩٨١ إلى منفاه فى باريس، وهناك بدأ حياة جديدة كرسها لمعارضة حكم آيات الله فى إيران ومحاولة إسقاط ذلك النظام

على خامنئى :

ولد آية الله على خامنئى عام ١٩٣٩ بمدينة مشهد، والده آية الله الحج السيد جواد من أبرز علماء مشهد، كان واعظا وإماما معروفا. والدته ابنة

سيد هاشم نجف آبادى، أحد علماء مشهد المعروفين. وكانت عالمة بمبادئ القضاء الدينى والمبادئ الأخلاقية. عاش خامنئى فى كنف والده، الذى لم يأل جهدا فى تربيته وتعليمه رغم الفقر.

عندما بلغ الخامسة من العمر ذهب خامنئى مع أخيه الأكبر إلى «مكتب خانه» لدراسة القرآن الكريم، ثم التحق فى مدرسة «دار تعليم الديانات» الابتدائية. كما التحق بعدة مدارس حكومية ودينية بمشهد والنجف وقم، تعلم فيها قواعد اللغة العربية والفقه وعلوم الدين والفلسفة الإسلامية والتاريخ والتراث ومقارنة التقاليد وعلم الفلك والتفسير. تلقى تعليمه على يد نخبة مميزة من علماء الدين والفقه.

بدأ خامنئى بالتدريس بعد تخرجه من المدرسة الابتدائية مباشرة واستمر فى التدريس أثناء تلقيه العلم فى مراحل حياته اللاحقة. ولم يترك البحث والتعليم حتى بعد الثورة الإسلامية.

كرس خامنئى جزءاً كبيراً من حياته فى النضال بالكلمة والسلاح، لا سيما بعد أن دعا الإمام الخمينى إلى الثورة الإسلامية فى ١٩٦٢، فأخذ علماء وطلاب معهد قم الدينى على عاتقهم مهمة نشر رسائل الخمينى فى كل أنحاء إيران. وكان لخامنئى دور هام فى هذا النشاط، الذى نجح فى تحريك وحشد طلاب وعلماء الدين فى كل من قم ومشهد وخراسان. مما عرضه للاعتقال والسجن والتهديد بالقتل والتعامل الوحشى والإهانة من قبل حكومة بهلوى.

بعد إطلاق سراحه آثر خامنئى المكوث فى مشهد بدلاً من طهران وقم. وكان التدريس أكثر ما يشغله ويهمه، فبدأ بإعطاء دروس فى تفسير القرآن الكريم للشباب وطلبة العلوم الدينية فى الجامعة.

شكلت محاضراته قاعدة أساسية لبناء وترسيخ ونشر مبادئ الثورة الإسلامية، وتحولت محاضراته إلى خطابات شعبية ومركزا للمعارضة السياسية. واشتهر خامنئى فى أنحاء البلاد وأصبح بؤرة للجهاد فى مشهد وتأتيه الدعوات لإلقاء خطبه من كل مكان.

وبعـد رحيل آية الله العظمى بروجاردى عـام ١٩٧٠ عمل خامنئى فى تدريب كوادر الثورة وتجنيد بعض العناصر الموثوق فيها، استطاع خامنئى، مسـتفيدا من تنامى قوة الثورة الإسـلامية، المزاوجة بين مهمة التدريس وتأسيس خلايا إسلامية يقودها العلماء والفقهاء.

ظهـرت جماعـة العلمـاء المجاهدين ـ التـى كان لخامنئـى دور بالغ الأهمية فى تأسيسها ـ من أجل حشد وتنظيم ملايين الناس فى مسيرات ومظاهرات عامى ١٩٧٧ و ١٩٧٨. وكانت الجماعة مقدمة لتأسيس الحزب الجمهورى الإسلامى بعد الثورة.

تولى خامنئى عدة مسـؤوليات أثناء الثورة وبعدها منها: عضو مجلس قيادة الثورة، وعضو مجلس استقبال الخمينى. وممثل الإمام الخمينى فى مجلس الثورة فى وزارة الدفاع، وقائد الحرس الثورى، وإمام صلاة الجمعة فـى طهران، وعضو فى الدورة الأولى للمجلس الاستشـارى الإسـلامى، ومستشـار الإمام الخمينى فى المجلس الأعلى للدفاع، ورئيس للجمهورية الإيرانية الإسلامية لفترتين متعاقبتين (١٩٨١ - ١٩٨٩).

بعد وفاة الإمام الخمينى انتخب مجلس الثورة بالإجماع خامنئى لتولى منصب مرشد الثورة الإسلامية، ونجح خامنئى فى مسؤوليته فى الحفاظ على روح الثورة على نهج سلفه الإمام الخمينى.

آية الله شريعة مدارى :

مرجعيـة دينية ايرانية من طراز مختلف، كان يدعو إلى إجراء تعديلات جوهرية على النظام الملكى دون اللجوء إلى الثورة المسـلحة، فالحل الأفضل فى نظره قيام ملكية دستورية. وأيد الجمهورية الإسلامية بعد قيامها ولكنه ظل يدعو إلى قيام نظام ديمقراطى. وتميز دائما بمواقفه المعتدلة وربما كان هذا هو السبب فى إبعاده عن دائرة الضوء رغم شعبيته الدينية الواسعة.

وبعد قيام الجمهورية الإسـلامية ظل آية الله شريعة مدارى يدعو إلى عودة آيات الله إلى حوزاتهم العلمية ويتركوا شـؤون السياسية والاقتصاد

لأهل الاختصاص، مع إعطائهم نوعا من مراقبة الحكم عن بعد لمعرفة قدر امتثاله للمبادئ الإسلامية.

وتعمقت هوة الخلاف بين شريعة مدارى والإمام الخمينى عندما أسس الحزب الجمهورى للشعب الإسلامى المعارض للحزب الجمهورى الإسلامى الذى أسسه آية الله بهشتى بمناصرة الإمام الخمينى، فأبعد شريعة مدارى عن المسرح السياسى الإيرانى لكن شعبيته ظلت حتى وفاته كما هى لم تتأثر وبخاصة فى أذربيجان والبازار فى طهران.

هاشمى رفسنجانى :

على أكبر هاشمى رفسنجانى قائد دينى وسياسي، ورئيس جمهورية إيران فى الفترة من (١٩٨٩ - ١٩٩٧). ولد فى رفسنجان بمقاطعة كرمان، وتعلم فى مدرسة دينية محلية، ثم أكمل تعليمه فى معهد قم الدينى، وتتلمذ على يد روح الله الخمينى. تخرج فى نهاية الخمسينيات برتبة «حجة الإسلام» وهو مستوى أقل من «آية الله» بدرجة واحدة. وسار على خطى أستاذه فى معارضة محمد رضا شاه بهلوى، واعتقل رفسنجانى أكثر من مرة لتوليه إدارة القوى المؤيدة للخمينى فى إيران، وقضى حوالى ثلاث سنوات فى السجن (١٩٧٥ - ١٩٧٧) بسبب نشاطه السياسى.

بعد سقوط الشاه وتولى الخمينى للحكم عين رفسنجانى فى مجلس الثورة، وشارك فى تأسيس الحزب الجمهورى الإسلامى، وأسس لنفسه قاعدة سياسية متحدثا فى البرلمان الإيرانى فى الفترة من (١٩٨٠ - ١٩٨٩)، وتولى مهمة رئاسة القوات المسلحة فى الفترة من (١٩٨٨ - ١٩٨٩).

تعرض رفسنجانى لموجة واسعة من الانتقادات لاتفاق السلاح مقابل الرهائن الذى أبرمه مع أعضاء من إدارة رئيس الولايات المتحدة الأميركية رونالد ريغان (١٩٨١ - ١٩٨٩).

بعد وفاة الخمينى فى ١٩٨٩ كانت خبرة رفسنجانى السياسية فى الداخل والخارج وانتهاجه مبدأ الوسطية وراء فوزه بانتخابات

الرئاسة بنسبة ٩٥٪ من الأصوات، وعمل رفسنجانى على تخليص إيران من مشاكلها الاقتصادية بالانفتاح على العالم والاعتماد على مبادئ السوق الحرة، وفتح الباب أمام الاستثمارات الأجنبية.

أدان كلا من الولايات المتحدة الأميركية والعراق فى حرب الخليج عام ١٩٩١، وأبقى بلاده بعيدة عن التدخل المباشر فى الصراع الدائر فى المنطقة. وبعد الحرب استمر فى شق طريق وسط وازن فيه بين الضغط الذى تمارسه الأطراف المحافظة ورغبته فى الحداثة والانفتاح، وعمل على تجديد علاقاته مع الغرب، وتعاون مع الصين فى تطوير برنامج التسلح النووى.

أعيد انتخاب رفسنجانى لفترة رئاسية ثانية عام ١٩٩٣ وانتهت عام ١٩٩٧، ولم يتمكن من ترشيح نفسه للمرة الثالثة حيث يمنع الدستور الإيرانى ذلك.

آية الله منتظرى :

آية الله حسين على منتظرى كان قاب قوسين أو أدنى من خلافة آية الله الخومينى، خاصة وأن آية الله مطهرى رئيس مجلس قيادة الثورة اغتيل فى الأسابيع الأولى من انتصار الثورة على يد المتشددين الدينيين فى أبريل ١٩٧٩، لكن انتقاداته لولاية الفقيه التى يستمد منها النظام الحاكم فى إيران شرعيته، وموقفه الذى وصفه المحافظون باللين فيما يتعلق بمسألة حقوق الإنسان، كانت مبرراً لأن يجرده آية الله الخومينى من مناصبه ثم يعزله عام ١٩٨٨، وقد اضطهد أتباعه وأقاربه وتعرض العديد منهم للاغتيالات.

يعيش آية الله منتظرى تحت الإقامة الجبرية فى منزله بمدينة قم العلمية، وأصبح مجرد ذكر اسمه ضمن مقالة أو صحيفة مدعاة للعقوبة، ويقوم آية الله منتظرى بنشر مذكراته التى تتضمن كشفا للاتصالات السرية بين رموز المحافظين الإيرانيين وكل من إسرائيل

والولايات المتحدة الأميركية بغرض شــراء الأسلحة فى حربهم مع العراق، ويوجه انتقاداته لنظام الحكم فى إيران وبالأخص لمسألة حقوق الإنسان.

صدر حكم بالإعدام على آية الله منتظرى عام ١٩٧٥ لكنه لم ينفذ، بل وأطلق سراحه بعد ذلك بثلاثة أعوام، وأصبح عضوا فى المجلس الثورى.

يعتبر آية الله منتظرى واحداً من أكبر المرجعيات الدينية للشيعة وقد أكسبته مواقفه السياسية المستقلة مزيدا من الصلابة والشعبية فى آن واحد.

توفى منتظرى فى مدينة قم يوم الســبت ١٩ ديســمبر ٢٠٠٩ عن عمر ناهز ٨٧ عاما بســبب أزمة قلبيــة، بعد أن ظل يعانى طوال ســنوات من مرض السكرى ويستخدم الأنسولين إضافة إلى معاناته من الربو ومشاكل فى الرئة.

شهبور بختيار:

درس شهبور بختيار القانون فى السوربون وتطوع فى الجيش الفرنسى أثنــاء الحــرب العالمية الثانية، وانخــرط فى الحياة السياســية الإيرانية ببهرجتها وسجونها ووصل إلى منصب رئيس وزراء إيران فى الحكومة التى شكلها الشــاه محمد رضا بهلوى عام ١٩٧٩ قبيل عودة آية الله الخمينى، وفر بعد قيــام الثورة إلى منفاه الاختيارى فى فرنســا، وتعرض لمحاولتى اغتيال نجا منهما بأعجوبة لكنه فى الثالثة ســقط قتيلا بعدة طعنات فى الصدر أودت بحياته.

ولد بختيار فى إيران عام ١٩١٤ فى أسرة غنية تنتمى إلى قبائل بختيار المعروفة بولائها التقليدى للشــاه، وأكمل دراســاته الثانوية والجامعية فى لبنــان ثم حصــل على درجة الدكتــوراه فى العلوم السياســية من جامعة السوربون فى باريس.

تطوع للقتال مع الجيش الفرنسي فى الحرب العالمية الثانية ضد الألمان، وبعــد الحرب عاد إلى إيران عــام ١٩٤٦ حيث انتخب نائبا لرئيس جمعية

الصداقة الفرنسية الإيرانية، ثم عضوا قياديا فى مجموعة الكفاح القومى التابعة للجبهة الوطنية التى شكلها السياسى الإيرانى محمد مصدق.

وفـــى الحكومة القصيرة التى شـــكلها رئيس الوزراء الإيرانى الأســبق محمد مصدق (١٩٥١ - ١٩٥٣) شـــغل بختيار منصب وكيل وزارة العمل. وعندما عاد الشـــاه محمد رضا بهلوى بالقوة إلى إيران فتح بخيتار مكتبا خاصا وعمل بالمحاماة.

وفى الســـنوات اللاحقة اعتقل بختيار بســـبب نشـــاطاته السياســـية المعارضة لحكم الشـــاه، وظل داخل السجن ست سنوات، أفرج عنه بعدها ورقى إلى منصب نائب رئيس الجبهة القومية وكلف بإعادة تنظيمها .

كان بختيار عضوا قياديا فى حزب إيران ورفض المشاركة فى المظاهرات التى كان العلماء الشيعة ينظمونها ضد حكم الشاه.

حاول الشـــاه فـــى يناير ١٩٧٩ احتـــواء ثورة الإســـلاميين داخل إيران فعين بختيار رئيســـا للـــوزراء، فانتزعت منه عضوية حـــزب إيران. وأثناء توليه منصبه الجديد حـــاول أن يقوم ببعض الإصلاحات الداخلية ففكك «السافاك» (البوليس الســـرى) وأطلق سراح المعتقلين السياسيين وأعطى ترخيصا للعديد من الصحـــف المعارضة، لكن كل تلك الجهود توقفت بعد عودة آية الله روح الله الخمينى من منفاه فى فرنســـا فى الأول من فبراير ١٩٧٩، وبالرغم من الشعبية الكبيرة التى كانت للإمام الخمينى فإن بختيار ظـــل على موقفه المعارض لتلـــك الثورة التى يعتبرهـــا مناهضة للمفاهيم الليبرالية والعلمانية الغربية التى كان يؤمن بها .

انهارت حكومة بختيار بســـرعة بســـبب الخلافات التى دبت بينه وبين قادة الثورة الإســـلامية، فاختفى عن الأنظار إلى أن اســـتطاع الفرار إلى فرنســـا فى أبريل/ نيسان من العام نفســـه، وهناك أسس حركة المقاومة الوطنية فى المنفى.

نجا بختيار من محاولتين لاغتياله لكنه قتل فى الثالثة، حيث وجد مقتولا بعـــدة طعنات فى الصـــدر فى بيته بباريس عـــام ١٩٩١ وحملت المنظمات الدولية لحقوق الإنسان النظام السياسى الإيرانى المسؤولية.

عبد الله نورى :

يعتبر وزير الداخلية السابق عبد الله نورى واحدا من أكثر الشخصيات الإيرانية شهرة فى الأوساط الطلابية بعد الرئيسى محمد خاتمى، وترجع شـــهرته إلى معارضته القوية والصريحة لرمـــوز المحافظين واتهام بعض المرجعيات الدينية فى قمة الهرم السياسى بالفساد المالى والسياسى.

اســتقال عبد الله نورى الذى يعيش أواسط الخمسينيات من عمره من رئاسة مجلس مدينة طهران ليتفرغ للمعركة الانتخابية لكن إحدى المحاكم الإيرانيـــة اتهمتـــه بالخيانة فى نوفمبـــر ١٩٩٩ وأصـــدرت حكما بإغلاق صحيفته «خرداد» التى كان يصدرها وســـجنه خمسة أعوام بتهمة معاداة خط الثورة ونهج الإمام الراحل آية الله روح الله الخمينى.

انتهز عبد الله نورى فرصة مثوله أمام المحكمة لينادى بالإصلاح مذكراً من يتهمونه من المحافظين بأنهم لا يســـتطيعون فرض تفسيرهم للإسلام، وطعن كذلك فى السلطة الدينية والقانونية للمحكمة مشبهاً إياها بمحاكم التفتيـــش، واحتوت كلمات عبد الله نورى على نصوص كاملة من انتقادات آية الله منتظرى لمبدأ ولاية الفقيه.

وقد وصف أنصاره القضية التى أدين فيها بأنها قضية سياسية، فى نطاق تصفية حسابات بين جناحى الحياة السياسية الإيرانية الإصلاح والمحافظين.

طه هاشمى :

الدكتور طه هاشـــمى واحد من المقربين لآية الله على خامنئي، اكتسب شـــهرته السياســـية بعد انتخابه نائبا فى البرلمان الإيرانى عن منطقة قم

الدينية، ويشغل حاليا منصب رئيس لجنة الرقابة على الإذاعة والتلفزيون الإيرانى.

ولد الدكتور طه هاشمى عام ١٩٥٨، وبدأ حياته السياسية عام ١٩٧٤ من خلال الاشتراك فى الجمعيات السياسية المناهضة لنظام شاه إيران السابق، واستمر يعمل داخل تلك الجمعيات حتى اندلاع الثورة وقيام الجمهورية الإسلامية عام ١٩٧٩.

درس الدكتور هاشمى الطب، ثم درس العلوم الشرعية فى حوزة قم الدينية، وفى عام ١٩٩٩ عين مسؤولا عن مركز الكمبيوتر للعلوم الإسلامية، ثم انتخب نائبا عن مدينة قم فى الانتخابات البرلمانية الماضية. وهو الآن أحد أعضاء الهيئة الرئاسية للبرلمان أى مجلس الشورى الإيرانى، ورئيس لجنة الرقابة على الإذاعة والتلفزيون فى إيران، وناطق رسمى باسم الاجتماع التأسيسى لمنظمة مجالس الدول الأعضاء فى منظمة الدول الإسلامية.

يصدر الدكتور طه هاشمى صحيفة «انتخاب»، وهو من الشخصيات السياسية البارزة فى السياسة الداخلية الإيرانية.

يصنف الدكتور هاشمى باليمينى المستقل المعتدل، حيث يرى أنه إذا حافظت الثورة الإسلامية على خصوصياتها ومبادئها فإن دور علماء الدين سيستمر بارزا ومؤثرا، ومن المستبعد جدا أن يتمكن تيار علمانى من قيادة الساحة الإيرانية فى ظل التزام الشعب بالدين، ويقول إن التجارب التاريخية أكدت أن أى تيار قومى أو علمانى سيصاب بنكسة فى السلطة أو النظام إذا ما همش الرموز الدينية.

على أكبر ناطق نورى :

بدأ على أكبر ناطق نورى حياته السياسية عام ١٩٦٣ معارضا لنظام حكم الشاه أثناء دراسته على يد آية الله منتظرى فى مدينة قم الإيرانية، ثم لمع

اسمه فى عالم السياســية أثناء حكم الإمام الخمينى، وأصبح رقما مهما يصعب إغفاله فى أى انتخابات تجرى فى إيران.

تعــرض آية الله ناطق نورى للاعتقال عدة مرات فى عهد الشــاه، مما اضطــره للهجرة إلى لبنان وســوريا، وهنــاك زادت معارضته لنظام حكم الشــاه، وزادت قدرته على الحركة وســط الشــيعة فى أماكن مختلفة من العالم.

بعد نجاح الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ وعودة آية الله روح الله الخمينى مــن منفاه فــى باريس تهيأ الجو لعودة آية الله علــى أكبر ناطق نورى من لبنان.

شــغل آية الله نورى منصب وزيــر الداخلية فى إيــران فى الفترة من ١٩٨١ - ١٩٨٥ . ثم اختاره المحافظون ناطقا رسميا لهم فى البرلمان، حيث أعتبر واحدا من أقوى المعارضين لسياســيات الرئيس الإصلاحى محمد خاتمى.

أهلته شــعبيته فى أوســاط التيار المحافظ فى إيران لأن يرشح نفسه فــى انتخابات عام ١٩٩٧ ضــد الرئيس خاتمى، لكن كانــت الغلبة للتيار الإصلاحى فى تلك الجولة.

لا يزال على أكبر ناطق نورى يمثل رقما مهما فى السياســية الداخلية الإيرانية وفى أى انتخابات قادمة

على شمخانى :

هو وزير الدفاع الإيرانى وقائد القوات البحرية سابقاً، كان له دور بارز فى القضاء على الحركات المعارضة للثورة الإسلامية سنة ١٩٧٩ .

ولد على شمخانى بمدينة الأهواز فى إقليم خوزستان لأسرة ذات أصول عربية. ودرس الزراعة ثم نال شــهادة ماجســتير فى الشــؤون العسكرية وأخرى فى الإدارة.

تولى إبان الحرب الإيرانية العراقية العديد من المناصب العسكرية مثل قائد القوات العسكرية فى إقليم خوزستان، وقائد بالإنابة للقوات الإيرانية المشــرفة على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم (٥٩٨) المتعلق بإنهاء الحرب بين إيران والعراق. كما تولى منصب قائد القوات البحرية.

يعتبــر على شــمخانى مــن الشــخصيات الإصلاحية حســب المصادر الغربية، ونشط على الصعيد السياسى والدينى فى الشارع الإيرانى، وقد رشح نفسه للانتخابات الرئاسية التى تعقد فى الثامن من يونيو ٢٠٠١.

محمود أحمدى نجاد :

سياسى إيرانى تدرج من ضابط بحرس الثورة إلى رئيس لبلدية العاصمة طهران قبل أن يتولى رئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

المولـد والنشـأة : ولد محمود أحمدى نجاد فــى ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ فى قرية أردان الواقعة على بعد ٩٠ كلم من العاصمة طهران لأسرة متواضعة، وقــد عمل والده حرفيا فى عــدة مهن أبرزها البقالــة والحلاقة قبل أن يمتهن الحدادة.

الدراســة والتكوين : أنهى أحمدى نجاد دراســته بمراحلها الابتدائية والمتوســطة والثانوية فــى العاصمة طهران التى انتقلت إليها أســرته، ثم التحق بجامعة العلم والصناعة حيث درس الهندســة المدنية قبل أن يتولى التدريس بالجامعة نفسها ويحصل عام ١٩٩٧ على الدكتوراه فى الهندسة والتخطيط فى مجال النقل.

التوجهات الفكرية : يحســب أحمدى نجاد على تيار المحافظين بينما يذهب منتقدوه إلى وصفه بالمحافظ المتشدد.

الوظائف والمسؤوليات : تولى أحمدى نجاد عدة مهام من أبرزها ضابط فى حرس الثورة (الباســدران) وحاكم لمدينــة ماكو ثم مدينة خوى ورئيس لبلدية طهران ومدرس بالجامعة ومدير لصحيفة همشهرى.

التجربة السياسية : لم يكن أحمدى نجاد معروفا فى الأوساط العامة قبل أن يصبح رئيسا لبلدية طهران فى مايو ٢٠٠٣ التى مهدت لتقدمه لرئاسيات ٢٠٠٥ منافسا لهاشمى رفسنجانى.

وهو من مؤسسى رابطة الطلبة الإسلامية بالجامعة التى تعد أول دخول له إلى عالم السياسة خصوصا وأنه يقول فى مدونته أنه أعجب منذ صغره بالفكر الخمينى.

شارك فى الحرب العراقية الإيرانية متطوعا فى مجال الهندسة القتالية حتى نهاية الحرب، بينما اتهمته بعض الأوساط بالضلوع فى قضية احتجاز الرهائن بالسفارة الأميركية فى طهران خلال ١٩٧٩.

الانتخابات الرئاسية : استفاد أحمدى نجاد من فترة رئاسته بلدية طهران ليكون قاعدة جماهيرية وانتخابية واسعة من الطبقات الفقيرة المتدينة عبر توظيف هذه الفئات أهلته للفوز بانتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٥ أمام هاشمى رفسنجانى.

سياسته الخارجية : لم تشهد العلاقات الإيرانية الأميركية المقطوعة منذ ١٩٧٩ أى تطور فى عهد أحمدى نجاد الذى يرفض أى تدخل خارجى لمنع إيران من «حقها» فى تطوير برنامجها النووى.

فى المقابل سعى إلى توطيد العلاقات مع روسيا أمام السعى الغربى المحموم لمنع إيران من امتلاك السلاح النووى.

وفى أكتوبر ٢٠٠٥ قال أحمدى نجاد فى إحدى خطبه إنه «يجب إزالة إسرائيل التى تحتل القدس» وهو ما أثار موجة من الاحتجاجات فى الدول الغربية، وقد تضايقت أيضا بعض الدول العربية والإسلامية على غرار مصر وتركيا وحتى السلطة الفلسطينية.

فترة رئاسية جديدة : أعيد انتخاب أحمدى نجاد رئيسا للبلاد مرة ثانية فى ١٢ يونيو ٢٠٠٩ أمام الإصلاحى مير حسين موسوى وسط اتهامات بالتزوير من أنصار موسوى الذين تظاهروا منددين بما وصفوه بالتجاوزات، بينما شككت معظم الدول الغربية فى هذه الانتخابات

مير حسين موسوى :

سياسى إيرانى شغل منصب رئيس الوزراء خلال فترة الحرب العراقية الإيرانية قبل إلغاء المنصب فى نهاية ثمانينيات القرن الماضى.

المولد والنشأة : ولد مير حسين موسوى يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٤٢ بخامنه قرب تبريز عاصمة إقليم أذربيجان فى الشمال الشرقى لإيران.

الدراسة والتكوين : حصل موسوى على شهادة فى الهندسة المعمارية وتخطيط المدن من جامعة طهران التى تخرج منها عام ١٩٧٠.

التوجهات الفكرية : يصنف موسوى ضمن التيار الإصلاحى وله ميول اشتراكية فيما يتعلق بالقضايا الاقتصادية.

الوظائف والمسؤوليات : بعد تخرجه تولى موسوى التدريس بكلية الهندسة فى جامعة طهران التى تخرج منها، ثم ترأس تحرير صحيفة «جمهورى إسلامى» الناطقة باسم حزب الجمهورية الإسلامية. كما يتولى حاليا الإشراف على الاكاديمية الإيرانية للفنون.

التجربة السياسية : انخرط خلال دراسته الجامعية فى الحركة الطلابية المناهضة للشاه، وبعيد تخرجه أسس حركة الإيرانيين الإسلامية.

وإثر ثورة الخمينى عام ١٩٧٩ انخرط فى الثورة الجديدة، وتولى وزارة الخارجية فى زمن الرئيسين أبو الحسن بنى صدر ومحمد على رجائى. كما تقلد منصب مدير المكتب السياسى لحزب الجمهورية الإسلامية الذى انضم إليه.

وفى أكتوبر ١٩٨١ أصبح موسوى رئيسا للوزراء ليظل فى هذا المنصب حتى إلغائه إثر تحوير دستورى عام ١٩٨٨، ليكون بذلك رئيس وزراء إيران طيلة فترة الحرب العراقية الإيرانية.

ورغم عمله مستشارا للرئيس محمد خاتمى بين عامى ١٩٩٧ و٢٠٠٥ فقد ابتعد موسوى عن عالم السياسية ليعود إلى الأضواء بعد قراره الترشح لمواجهة محمود أحمدى نجاد فى انتخابات الرئاسة الإيرانية.

الفصل الرابع

إيران..... لماذا ؟!

إن أهمية اللاعب الثانوى لا تقل ابداً عن أهمية اللاعب الأساسى فى الصراع الدولى ويدرك هذا تماماً أصحاب الإستراتيجية الدولية وواضعوها فى مراكز البحث والدراسـات لأنه عامل غير مكلـف ويبعد رجال الدول العظمى (الأساسـية) عـن المخاطر بعيداً عـن أرض الوطن ويوفر مرونة وحرية الحركة فى المحافل الدولية (للاعب الأساسـى بالطبع) تمكنه من المناورة والمساندة والمساعدة بالقدر المطلوب دون تعرض مصالحه لأخطار مباشـرة وكذلك يمكن تلافى المعارضة الداخلية لدى الدول العظمى عند الزج بجيوشـها فى صراعات مباشـرة لابد أن تمـر بدهاليز وتصديقات بيروقراطية تضع أصحاب القرار فى مأزق الإجابة عن بعض التفسـيرات المحرجة أو تعرضهم للمسـائلة البرلمانية أو السياسـية وكل شـىء ممكن بعيداً عن أرض الوطن ؟!.

ونظراً لأهمية الشرق الأوسـط الجغرافية والسياسية والإستراتيجية والاقتصاديـة أيضاً لصاحبه القمة العالميـة (الولايات المتحدة الأمريكية) بشـكل خاص وللدول الغربية بشـكل عام ومباشـر أيضـاً ولهذا توضع الخرائـط وفقاً للمصالح المتغيـرة والمتجددة للتقسـيم والتفتيت والجمع بحيث يكون متناسـباً مـع المصالح الجديدة ووفقاً لقواعد لعبه سياسـية تتطـور مع تطـور الأحداث فى المنطقة والدول العظمـى أيضاً وذلك بعد نجاح تجربة التقسـيم الأولى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (سـايكس ـ بيكو) وكان لابد من تقسـيم تالى تقتضيه الظـروف الحالية بعد انهيار الاتحاد السـوفيتى وجلوس أمريكا وحدها على قمة العالم وسماح أوروبا بالكامل (الاتحاد الأوروبـى) وأصحاب الإمبراطوريات الغربية السـابقة (فرنسـا ـ انجلتـرا) بالوقوف خلف أمريكا بخطوة إلـى الخلف طالما كان

ذلـــك وفقاً لمصالحها الخاصة وبالطبع الواقع العملى الطبيعى الآن والذى لا يســـمح لها بأكثر من ذلك وكذلك التوافق مع الإســـتراتيجية الأمريكية وحـــدود أمنها القومى والذى أعلنته مراراً وتكـــراراً بأنه يجب على الدول المتطلعـــة إلى القمة أن تدرك أن مصالحها يمكن أن تتحقق خلف الولايات المتحدة وفى مساندتها وليس فى الصراع معها؟! وأستدعى كل ذلك وضع التقاســـيم والخرائط الجديدة لتتناســـب مع الوضع الحالى فيما يســـمى بالشرق الأوســـط الجديد وبعيداً عن أصحاب الأرض الأصليين أو النظر إلى مصالحهم بالطمع ولإمكانية وضعهم فى موضع المجبر والمستجيب بل والملبـــى للنداء دون النظر إلى ثواب وخوفاً من الجزاء والذى يعنى بالطبع الإطاحة بالنظام فى شـــكل متســـامح أو الاغتيال (صـــدام ـ القذافى) إذا دعت الضرورة إلى ذلك ولاســـتكمال الخطط ولزوم التنفيذ بالتالى يكون البحث والتجهيز للاعب الثانوى.

وبالتالـــى تظهر هنا أيضاً أهميته فى الصـــراع الدولى بالوكالة أو من الباطن إذا دعت الضرورة إلى ذلك؟!.

ولابد هنا مـــن توافر صفات متلازمة وهامة فـــى هذا اللاعب تعطيه الياقـــة اللازمة ليكون متناغم ومتوافق مع معطيـــات الخطة والدور الذى يمكن أن يلعبه؟! ووفقا لدراسات كل المراكز الغربية بشكل عام والأمريكية (صاحبة القرار الأول) بشـــكل خاص فإنه تتوافـــر كل المميزات والصفات المطلوبـــة فى دولة نموذجية للقيام بالـــدور الثانوى (بالوكالة ـ الباطن) فى الشـــرق الأوســـط وهى إيران؟!! وذلك لأســـباب عديدة وكثيرة تتوافق مع الرغبة والمصالح الغربية وهى :

أولاً : إن إيران ليست دولة عربية (فى الموقع الأعم والأغلب) فى الشرق الأوسط وهى بالتالى ليست مرتبطة بمشروع القومية العربية الذى يخفت ويلمع ويختفى أحياناً ويظهر بقوة فى أحيان أخرى؟! ولكنه موجود لم يقتلع بعد من منبته رغم كل المحاولات بقوى لينه وخشـــنه وبوسائل متعددة لأنها

لزمة من اللوازم الشخصية وعضو هام وأساسى فى جسد هذا الوطن بكل صفاته ومقوماته.. وهذا يعنى أنها سـوف تتصرف بحرية أكثر وبعيداً عن قيود وثوابت هذا المشروع.

ثانياً : وهى دولة لها خلافات على الأرض لم تحل ويمكن بها التصعيد أو خلق الأسباب عند الضرورة (طنب الصغرى ـ طنب الكبرى ـ البحرين)..

ثالثـاً : ولها جـذور تاريخية فى العمق (غير مرضيـة) تعنى أن نهاية الفارسـية (الإمبراطوريـة) كانت على أيـدى هؤلاء العـرب الذين انهوا إمبراطورية قوية وكبيرة على عرش العالم يحسـب لها الحساب والخشية من العقاب..

رابعـاً : وهى دولة نفطية لن يكون لها أطماع فى بترول الخليج العربى الذى هو محور الارتـكاز فى المال والحاجة إلى النفط والذى يعنى الكثير أيضاً من الأموال والاسـتثمارات فى نواتج الطاقـة والعائد المادى الكبير والهام أيضاً.

خامسـاً : وهـى دولة تتمتع وإلى حد كبير بموقـع جغرافى مثالى فى الجانب الشرقى من العالم العربى يمكنه من إحداث كل ما يمكن طلبه من أدوار فعالـه وهامه وملاصق وملامس للأرض العربية التى لا تحتاج معها إلى تجهيزات ضخمه للعب دور فعال عندما يطلب منها.

سادسـاً : وكونهـا دولة نفطية بقـدر عالى من الدخل المـادى وبالتالى العائد الاقتصادى فلن يكون هذا عبء على اللاعبين الأساسـيين فى توفير المستلزمات المادية لما تقوم به من أدوار ووضعها المادى أيضاً يسمح لها بشراء الأسلحة التقليدية اللازمة (والمستغنى عنها بطبيعة الحال) لتوفر المال اللازم لتطوير السلاح الجديد للغرب وأمريكا وهى نقطة هامة أيضاً؟!

سـابعاً : وهـى تتمتع بعـدد وافر من القوى البشـرية التى تمكنها من الحشـد والتجهيز لمواجهـة متطلبات الدور الجديد والهـام وتتمتع بوفرة بشريه عالية أيضاً؟؟..

ثامناً : وهى دولة فى خلاف مذهبى (شيعة) مع الطبيعة العامة والسنية الأغلب والأعم فى الشرق الأوسط وإن كان هو خلاف مذهبى بين الشيعة والسـنة يمكن أن يكون بسيط ومتوافق مع الإطار العام للديانة الإسلامية ويتعايش معه أيضاً فى هدف واحد هو التوحيد والإيمان والأسـس ولكنه موجـود أيضاً ويمكن تزكيته إذا دعت الضـرورة إلى ذلك ؟! ويمكن تقويه روافـده فى العمـق العربى أيضاً وصولاً للهدف وتعميقاً للقسـمة وتقويه للفرقة؟!

تاسعاً : وهى دولة صاحبة طموح وتبحث عن العودة وبالتالى ليس على القمة (لن يسـمح لها بذلك) ولكن أيضاً قريباً من القمة وربما فى مصاف الـدول الكبرى الذى يعنى لها الكثير وربما تعويضاً عما فات (ومن العرب أيضـاً).. وهى مكانه لابد من الوصول إليهـا انتظاراً لأحداث جديدة قد تغير الأوضاع أو تأتى سفن السياسة الدولية بما يتواكب مع طموحها قريباً جداً من القمة؟!...

عاشراً : وهى دولة ليست فى صراعات تاريخيه سابقة مع دول آوروبية (فى الاتحاد الأوروبى) ومتبقية من الحرب الباردة (مثل الصراع بين تركيا واليونان حول قبرص).

الحادى عشـر: وهى دولة أيضاً يمكن التضحية بها والتخلى عنها دون مشاكل أو أزمات مستحيلة إن اقتدت الضرورة ذلك دون دفع أثمان باهظة أو تكلفة عالية؟!

ومـن هنا كانت فى الواقع كل الإغـراءات والميزات التى دفعت أوروبا والولايات المتحدة إلى التعامل مع إيران وبرنامجها النووى (المتواضع بطبيعة الحـال) بكل حذر وجعل الباب مواربـاً (وأحياناً مفتوح) وبصدر رحب فى التعامل مـع إيران لدفعها نحو الدخول فى الحظيـرة الأمريكية والغربية لتقبـل الوظيفة الجديدة والملائمة لها (كمـا يراها الغرب) ولحاجة العمل والخطط إليها فى إطار الشـرق الأوسـط الجديد وإن لزم ذلك التصعيد

الإعلامى لزيادة سرعه التفاعل وإسراع الخطى (تارة باللين وتارة بالعنف) وفى نفس الوقت إظهار العين الحمراء لبعض الأنظمة المشاغبة فى الشرق الأوسـط أو بدافع الاطمئنان للدول الخائفة من القادم الجديد ليخرج ما لديه فائض الأموال وشراء السلاح والذى يحتاجه الغرب للدعم الاقتصادى وتطوير وعمل ترسانة السلاح التى يهدد توقفها النمو التكنولوجى والعمالة الزائدة التى قد تأتى بمشاكل هم فى حاجة إلى تلافيها داخلياً فى كل من أمريكا وأوروبا!؟...

ولكن أيضاً :

ليست كل الطرق مفتوحة أو سـهله المنال والورود على الطرق لا تعنى البهجة فقط ولكن يوجد على الساق أشواك أيضاً ويوجد تداخل ومصالح ينتظر لاعبون أساسـيون أيضاً النتائج التى ستسفر عنها وبترقب وتوعد أيضاً والمصالح متضاربة (الصين - روسـيا - شـرق آسـيا) وعلى المستوى الإقليمى لابد من مفاتيح هامة وصعبة جداً وهى أشبه بمغارة فى أساطير الشـرق الأوسـط وهى أنه لابد لإيران أن تدخل إلى الشرق الأوسط عبر إسـرائيل (وهو مفتاح) لازم وجازم وعقبة لابد منها وهى تعنى أيضاً خطاً أحمر (بلون الدماء) بالنسبة لأمريكا والغرب وهذا ما يدفع أمريكا والغرب إلى الاعتماد على الجار التركى (لاعب ثانوى هام أيضاً) ولكنه سنى المذهب وارتفعت راياته بالعرب والإسلام ولا يمكن أن ينسى هذا والتاريخ لا يمكن اقتلاعه ولكن حتميـة الظروف والأزمات وتداخـل الأحداث فى الداخل التركـى ذاته وفى الداخـل العربى أيضاً (الربيع العربـى) أجلت وأخرت الاعتمـاد على إيـران (بضيق أمريكى وغربى) وزادت مـن الاعتماد على الجانب التركى الغير موائم مع الخطط الجديدة بالشكل المرضى والمقبول ولكنه يعنى وفقاً لمصالح أخرى (شىء أفضل من لا شىء) انتظاراً لاقتراب إيـران أو بحثاً عـن حلول جديدة أو مفتاح بديل لها للدخول إلى الشـرق الأوسـط بعيداً عن إسرائيل وإن كان تخويف أو تطويع أو تخدير الأنظمة

العربية حتى تتقبل الوضع الجديد أو التقسـيم الجديد أو الشرق الأوسط الجديد فكلها أسـماء متعددة لهدف واحد هـو خدمة المصالح الأمريكية والغربية فى المنطقة الشرق أوسطية الهامة والغالية وموقعها المميز والذى سـبب لها كل هذا .. ولكن أيضاً تبقى مشـيئة الأقدار والمطلق الوحيد هو الله (دائماً ما أقول هذا) ولا تكفى كل مسـتحضرات التخدير الكيميائية فـى العالم لتخدير كل هذه الشـعوب إلا إذا أرادت هى ذلك.. وهنا يكون هنـاك رأى أخر أو ربما خطط أخـرى.. وهذا هو الأهم والأجدر بالبحث فى باقى فصول الكتاب.. وأخيرا تبقى إيران ايضاً المرغوبة والمطلوبة فهل ستقبل بالدور أو تجبر عليه وذلك شأن آخر؟!..

الفصل الخامس

إيران...... تقول لا؟!

إن ما ذكرته فى الفصل الســابق لا يعنى بالضرورة وجهة نظرى ولكنه رؤية من منظور غربى وآمريكى أيضاً وفى هذا الفصل أيضاً لا يعنى وجهة نظرى كمحلل سياسى ولكنها أيضاً وجهة نظر من منظور إيرانى حيث أرى أنها تختلف بالضرورة عما واجهه الغرب وأمريكا فى إخضاع أو تســييس دولــة يراها الغرب مارقة يدعوها للدخول فى حظيرة المصالح الغربية فى الصراع الدولى لأسباب عديدة ومتغيرة تحتاج بالضرورة إلى أدوات مغايره وغير تقليدية إن كان الغرب جاداً فى هذا الهدف...

أولاً : حيــث أنها دوله ليســت فى حاجة إلــى معونة أو دعم اقتصادى يكون دافعاً لها للتنازل أو للدفاع عن مصالح الغير (المثل التركى).

ثانيـاً : وهى ليســت فى حاجــة إلى نفايات الأســلحة الهيكلية والتى يقدمهــا الغرب والتــى لا تصلح لما توليه إيران من مهــام أو أغراض فقد حصلت على ما يكفيها بقدر الحاجة والإمكانيات وبأسعار معقولة وشروط مناســبة ومتقدمه أيضاً بقدر المتاح والممكــن ومن جهات عديدة وصاحبة مصلحة ورغبه أيضاً فى ذلك وفى ميزان التوازن فى الصراع الدولى..

ثالثـاً : وليس بها نظام مكبل بالفســاد الذى يمكــن اقتياد النظام من خلاله بالإفشاء والفضائح للذهاب إلى الحظيرة؟!

رابعاً : وليس بها نظام فردى يجهل قواعد اللعبة كاملة والإلمام بجوانبها ووفقــاً للنظام الداخلى فى تداول الســلطة وبحكمها لا يحصل على صفة الدوام ليهدد بمنع الدعم أو المساندة أو حتى السعى إلى الخلع من عرشه الوثيــر.. وهذا ما يصعب الســيطرة علــى النظام فى أساســه وروافده أيضاً؟!

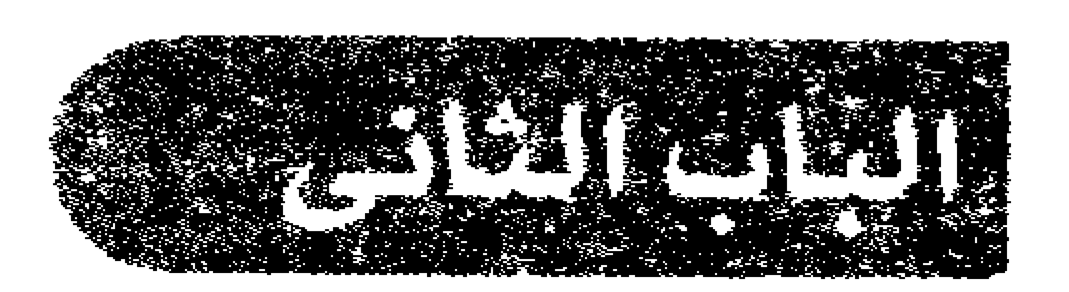
خامساً : كمــا أنه لا يوجد لديها الدافع لتتدفــع نحو الصراع وإراقة الدمــاء مــن أجل الآخرين فى طــرق يصعب العودة منهــا إن أرادت ذلك وأزمة الحرب العراقية مازالت قريبة ومؤثرة حتى الآن.. ومسرح العمليات فى الشــرق الأوسط غير مجهز وغير ممهد للدخول بالأذن الغربى والذى ســرعان ما ينســحب ويتنصل إذا مــا دعت الضــرورة والمصلحة أيضاً؟! والحقيقة التى لاشــك فيها لمن يمارس اللعبة فى الصراع الشرق أوسطى أن المفتاح يجب وحتمى أن يكون من الشرق الأوسط ذاته وهو يملكه وحده مهما كانــت التداعيات والتصدعات بداخله لأنها تعــى تماماً أنها تعطى الوجود ذاته وهو أمر ليس بالهين أو المتاح فى الظروف الحالية على الأقل (الربيع العربى).

سادساً : لا يمكنهــا عداء كافة الجيران حولها من أجل عيون الآخرين حتــى وإن كان الزعامة من الباطن أو العمل بالوكالة وليس لديها من الثقة فى الغرب للتعاون أو الممارسة من الباطن ولها تجربة ذاتيه بين شاه إيران وأمريكا ســنفرد لها فى فصل قادم؟! وإن وافقت على الشروط الأمريكية والغربيــة جدلاً ؟! فهذا لا يتوافق مع الأهــداف الإيرانية ذاتها وما عانت من أجله فترة طويلة من العزلة والتهديد والعقوبات والحصار بكل أشكاله وبشــكل متصاعد وكل ذلك تعيه وتفهمه جيداً بــل وتعانى منه أيضاً وكل ذلــك من أجل أن يكــون لها حرية الحركة والمبادلــة والمقايضة بين الأخذ والعطــاء وفقاً للمصالح الإيرانية نفســها وقد تدفع فى المســتقبل أثمان باهظة وهــى تنظر إلى الخليــج العربى بكل الترقــب والاعتبار ؟! وذلك أيضاً لأنها قطعت الشــوط الكبير والخطوات الأساسية فى سبيل ذلك.. وأخيــراً فإن الطموح الأيديولوجى قــد يغرى الآخرين بالانضمام طمعاً أو خشــية أو ضيقاً مما يدفعه من أثمان باهظة ويكــون بذلك خطراً داهماً علــى الجيران وأولهم بالطبع والضرورة وخاصة فرنســا وألمانيا وإنجلترا أصحاب المصالح الأساسية والتى تقتات على ما تخلفه المصالح الأمريكية صاحبة الإمبراطورية وحيــدة القطبية وخاصة وأن الجانب الإيرانى يرى

فــى ذلك عدم وجود تهديد حقيقى غرباً من الجانب العربى خاصة بعدما ضاعت العراق فى دهاليز التقسيم والتفكيك والانهيار وباقى المنطقة

سـابعاً : وتــرى إيــران أن الخلافــات الأيديولوجية يمكــن تجاوزها والتعايش معها مع الخليج العربى طالما بعدت عن الأساسيات وإذا تقاربت الأفكار ورغبت كافة الأطراف فى ذلك (رؤية إيرانية أيضاً)؟! والغرب يرى الهواجــس قريبه والخطر قريب إلى حد كبير لقربــه من مخازن الإمداد الخليجيــة وإمكانيات الصرف والدفع النقــدى (وهو المنطقة الوحيدة فى العالــم التى يمكنها أن تدفع حتى الآن) - ومــن أجل كل هذا يكون الدافع إلى القلق والتشــدد الغربى وقرب نفاد الصبر وهذا أيضاً ولكل الأســباب السابقة تقول إيران لا..؟! ولكن إلى متى يمكنها ذلك؟! هذا فى علم الغيب ولو ملك الساحرون البنوره المسحورة لا يمكنهم معرفة ذلك..؟!.

ثامنــاً : وتــرى إيران أن ما يــوكل إليها لا يتوائم مــع دولة لطالما كان التفــوق الاقليمى العادة بدلاً من أن يكون الاســتثناء بالنســبة إليها طوال تاريخها الذى يمتد ثلاثــة آلاف عام فأثناء الفترة الواقعة بين عامى ٥٥٠ قبــل الميلاد و ٦٣٠ بعد الميلاد كانت فارس إحدى القوى البارزة فى العالم فهزمت جيوش البابليين والأشــوريين والمصريين واليونانيين والرومانيين وكان الفرس أول من بنى إمبراطوريه فى العالم بحيث امتدت من ليبيا فى الغرب إلى أثيوبيا فى الجنوب وإلى بلغاريا فى الشــمال والهند فى الشرق ووجدت روما فى الإمبراطورية الفارســية فى عهد الســلالتين الحاكمتين البارثيه والساســانيه ندا لها وبعد كل هذا هــل يمكنها إلا أن تقول لا... ولا تجد غيرهــا وإن راوغت وداهنت وتلاعبــت فالهدف واضح وترى أن الوصول إليه ممكن؟؟



استهداف إيران

الفصل الأول

ذكريات ومواقف

إن العلاقات السياسية بين الدول لا تقف تحت الأضواء بكاملها ليراها الجميع ويقف المشـاهدون يتأملون وربما يسـتغلون أو يتدخلون وهى فى الأعم الأغلب إما لتسريع التفاعل نحو إنهاء أزمة ما أو إيقاف مسار يعكر أو يضاد مصالح عليا.. والمواقف عادة ما تكون خشنة وأحياناً حمراء بلون الدمـاء وهـى لا تقف عند نهايتها بل يمتد الأثر إلـى ابعد من ذلك بكثير وتظل ثابتة فى الوجدان نائمة عادة ومتيقظة فى أحيان أخرى كلما تغيرت الظـروف أو لاحت فى الأفق أحداث جديـدة فى منحنى هذه العلاقات؟! والعلاقـات الخلفية والخشـنة تجعل كل دولة تضع نصـب أعينها النتائج السابقة بالسـلبيات والايجابيات كلما لاحت فى الأفق حتمية اتخاذ قرار بموقف جديـد والعلاقات الأمريكية الإيرانية تحـوى العديد من المواقف وجب الإشارة إليها لكون آثارها تمتد إلى أكثر من نهايتها بمدى بعيد.

مصدق وتأميم البترول الإيرانى :

وفى إشارة سريعة عن بطل هذه الأزمة وجب التعريف بالدكتور محمد مصدق (١٨٨١ - ١٩٦٧) وهو سياسـى ومحام إيرانى أصبح رئيساً لوزراء إيـران (١٩٥١ - ١٩٥٣) وهى فتره الأزمة وحصل على دكتوراه فى العلوم السياسـية من جامعة باريس ونيوشاتل بسويسرا وكان عضواً فى البرلمان الإيرانـى فتـرات عديـدة (١٩١٥ - ١٩١٧ و ١٩٣١ - ١٩٢٨ و ١٩٤٤ - ١٩٥٣) وكان وزيراً للعدل فى سـنه ١٩٢١ وحاكـم أذربيجان فى ١٩٢٢ - ١٩٢٣) ووزيراً للخارجية فى سنه ١٩٢٤ وشكل فى عام ١٩٤٤ جبهة وطنيه لمناصره تأميم النفط الإيرانى وفى عام سـنه ١٩٥١ أصبح رئيس للوزراء بعد اغتيال سلفه رازمار..

ضربة البداية :

حيث يرد بها «مايلز كوبلاند» الضابط فى المخابرات المركزية الأمريكية شــارحاً دوره ودور المخابرات المركزية فى أحــداث تلك الأزمة أو الموقف الخشن خلف الأبواب المغلقة حيث كان يعمل ضمن فريق المخابرات المركزية فى الشرق الأوسط ضمن فريق يضم «كيم روزفلت» «وفرانك وزنر» و «آلن دالاس» ووفق معلومات بــأن محمد مصدق رئيس الوزراء الإيرانى بصدد عمل انقلاب لإسقاط شاه إيران وتأميم شركة النفط الأنجلو - إيرانية مما يمثــل عقبه أمام خطط الوزير دالاس (شــقيق آلن دالاس) لإقامة الجدار الشمالى لإعاقة خطط السوفيت التوسعية..

واســتدعى كيم روزفلت مايلز كوبلان قائلاً : آنا آســف لتأخير ذهابك إلـــى مصر ومطلوب منك القيام باســتطلاع والذهاب إلى إيران للحصول علـــى أجوبة أربعــة تتمحور حول قــرار واحد هو هل يمكننــا وهل علينا أن نتخذ إجراء سياســى لدعم شــاه إيران وإضعاف الثقة بمصدق ومنع أنصاره من القيام بما تخشــى وزارتا الخارجية البريطانية والأمريكية من أن يفعلوه؟!.

وأحضــر مايرلز كوبلانــد الأجوبة فى تقرير أولى ســريع بعد وصوله مباشــره مســتندات إلى موظفون معظمهم عملوا فى إيــران لفترة طويلة ويعرفون البلاد جيداً وأغلبهم ويعملون فى قسم إيران فى كل من المخابرات المركزية ووزارة الخارجية وشــمل التقرير بأن على أمريكا القيام بنشــاط سياسى اســتثنائى لحماية المصالح الأمريكية والبريطانية ويجب أن تكون الغاية من النشــاط هى تنحية مصدق عــن الحكم وجعله أضحوكة وإلقاء كبار أنصاره فى السجن وتقديم أى دعم قد يحتاجه الشاه لإطلاق برنامج علاقات عامه بينه وبين الشعب الإيرانى..

بداية العمل :

كانت الملاحظة الأولى لكوبلاند أنه فى إيران يحتل المناصب الرئيســية فى السفارة وفى محطة المخابرات خبراء أكفاء وليس موظفين دبلوماسيين

يعدون الأيام لمعرفة متى تنتهى رحلاتهم هذه لكى ينتقلوا بعدها إلى أوروبا الغربية وهناك أيضاً السفير هندرسون وهو صديق حميم لألن دالاس وكيم روزفلت والأب الروحى لجميع العاملين القدامى فى الشرق الأوسط ومن بين كادر العاملين بالسفارة هناك على الأقل أربعه موظفين يتحدثون الفارسية بطلاقه وبخلاف معظم الدبلوماسيين الذين يعملون فى المواقع الساخنة والمتفجرة سياسياً لم يكونوا يخشون الخروج إلى الشوارع ليروا بأم أعينهم كيف ترى شرائح المجتمع المختلفة الأمور.. وكان نائب رئيس المحطة هو جون ولر الذى ارتقى سلم المناصب فى المخابرات المركزية وأصبح قبل تقاعده المفتش العام بها فى وقت كانت فيه بأمس الحاجة إلى مفتش عام.. وأعطانى كل هؤلاء كل المعلومات التى أحتاجها لإجابة سؤال كيم الأخير وهو «إذا دعمنا انقلاباً فى إيران مشابه لما فعلناه فى سوريا ماذا ستكون النتيجة ؟!» وبعبارة أخرى هل ستكون العملية مقبولة وماذا ستكون العواقب؟ وكان جوابى نعم أنها ستكون مقبولة وستكون العاقبة خيراً علينا نحن الأمريكيين وعلى البريطانيين شريطة أن يكون الشاه حكيماً وجذراً فى تعزيز وضعه الجديد وألا ينجرف وراء تفاؤله الذى استعاده..؟! وأردف كيم روزفلت أى مشورة يمكن تقديمها حول كيفية تنفيذ الانقلاب؟! وكان المصدر الأكثر عوناً لى فى الإجابة هو ما يدعوه كادر المحطة بالمخابرات المركزية الحقيقية أو المخابرات المركزية داخل المخابرات المركزية وهى وحدة صغيرة ترأسها زوجة موظف الشفرة ومشغل أجهزة الاتصال اللاسلكى وتدعى (السيدة القطة) وأعتقد أننى أول من يكتب عنها وعن وحدتها ليس فقط لأن هناك القليل داخل أو خارج المخابرات المركزية من يعرفها بل لأن لها وسائلها الخاصة (وربما حتى الآن) فى التعامل مع الأشخاص الذين يتلصصون عليها.. ولقد سألت صديقى الجسور فنسنت ماركينى كيف كان يستطيع مقاومة تضمين ذكرها فى كشفه الفضائحى الذى كتبه فضحك وقال : لن - يتجرأ حتى فيل أكى (يعنى نفسه) على الاقتراب إلى المكان غير المناسب من تلك القطة المتوحشة وعندما غادرت

إلى طهران قال لى كيم إن السـيدة القطة موجـودة هناك إلا أنه حذرنى بـأن أبتعـد عنها وقد غير رأيه عندما تذكر أن شـأنها شـأن الكثير من الأمريكيين من أصل إيرانى (إما فارسـى أو بلوشى أو كردى أو تركمانى) الذين جاءوا إلـى إيران للحصول على أعمال مـع المقاولين الأمريكيين و «عمالقة ذركانه» سيئ الصيت وهم جماعة من رافعى الأثقال الذين يمكن الاسـتفادة منهم (بلطجية) فى السيطرة وتوجيه حشود عامه ـ على سبل المثال ـ ويقومون فى لحظة مناسـبة وفى محل تحشـد الجماهير بالإيعاز إلى الجماهير الهاتفة بأن عليها أن تغير صيحاتها من الموت للشاه ويعيش مصدق (يسقط الشـاه) إلى يسقط مصدق ويعيش الشاه؟!! وقد أخبرنى كيـم أن مواهبها الشـخصية تكمن فى أنها تتظاهـر بأنها ثملة بينما هى فـى قمة العقل وتتظاهـر بأنها لا تتحدث الفارسـية ولا اللغات الإيرانية الأخرى رغم أنها نشـأت فـى تبريز وتتحدث بهـا باعتبارها لغتها الأم.. وكان منظرها عندمـا وقعت عيناى عليها لأول مرة لا يدل عليها فهى فى الأربعـين من العمر بينما تبدو كفتاة فى العشـرين.. وهى جذابة بطريقة غريبـة إلا أنها مع ذلك امرأة من أهل البلاد وتعرف أن النسـاء فى إيران اللواتـى يتمتعن بفتنه جنسـيه يفترض أنهن حمقاوات لذلك فهى تسـرح شـعرها الأسود الطويل على شـكل كعكة وترتدى نظارات سميكة الإطار وتتشح بالسـواد وبالطبع ترتدى العباءة الوطنية (الشادور) لتخفى وجهها إذا خرجـت ومنظرها العام هو منظر المرآة الإيرانية المتحررة التى أمضت عاماً فى كلية الاقتصاد فى لندن.. وجرى اللقاء فى اليوم الثالث لوصولى إلى طهران وبعد أن عثرت هى على وهى شـىء جميل فعلته حيث لم يكن هناك أى شـخص فى السفارة يريد الاعتراف بمعرفه أى شىء عنها حتى جـون ولر الذى أعرف أنه حلقه الاتصال فـى المحطة للأغراض المالية و الاداريه ورفض أن يخبرنى كيف لى أن أجدها ، ولكنه أوصل حديثه إليها عن طريق زوجها موظف الشفرة فى المحطة ولهذا أرسلت لى سيارة الأسرة «الليموزين» وهى سـيارة فولكس واجن متداعية يسـوقها خادمها لينقلنى

إليها عندما كنت على وشـك مغادره الفنـدق.. وتقابلنا بعد حديث طويل تناولنا خلاله شاى بالنعناع وبعد ذلك ذهبنا فى جولة داخل المدينة وكانت تعرف كل طريق فرعى وكل محل وكل تجمع سياسى وكل ركن وزاوية.

التنفيـذ :

بمسـاعدتها الضروريـة أمضيت صبـاح أحد الأيـام أولاً فى تحديد الأهـداف التى يجـب على كل من يدبـر انقلابا أن يسـيطر عليها (مثل محطة الإذاعة ومحطات الطاقة الكهربائية ونقاط السـيطرة الرئيسـية لشبكة الهواتف ومنازل رئيس الوزراء ومصدق والآخرين الواردة أسماؤهم فى قائمة الاعتقال ورسـم الطرق التى تسلكها الحشود المتظاهرة ونقاط الاختنـاق المـرورى وطرق الخروج التـى يفكر بها الشـرطة عندما يحين الوقت للسـيطرة على حشود الجماهير.. واسـتغرق ذلك صباحاً كاملاً.. وفى حوالى السـاعة الواحدة قالت كاثى (أو كاثرين) وهو الاسم الحقيقى للسيدة القطة حان وقت الغداء وأخذنا سائقها إلى نسخة فارسية من أحد المطاعم التى يتردد عليها سـواقى الشـاحنات فى الولايات المتحدة وكان مكتظاً بذلك النوع من القطط البشـرية المتوحشـة والتى سبق أن تحدثت عنها (البلطجية) وقالت «إن هؤلاء الرجال مهنيون وليسـوا سياسيين على الإطلاق وأنتم بحاجة إليهم مهما كان نوع الانقلاب الذى تفكرون فيه ومن خلال دردشـتنا مع عينة منهم أصبحت على قناعة بأن تنظيم قوى بشرية لصالح انقلاب مؤيد للشـاه سـوف لن يعتبر مشـكلة وأن المراقبة المكثفة «للقوى الوطنية» سـوف لن تشـكل عقبه فى التنفيذ.وأخذت فكرة جيدة قدر الإمكان عن كيفية نظر عينه من الشـعب الإيرانى إلى الشاه ومصدق وشركات النفط المملوكة للأجانب وكيفية التعامل معها والنفاذ داخلها وكان التقريـر الذى أعطيته لكيم روزفلت هـو كل ما يحتاجه ليس فقط لإقناع الأخوين دالاس بل عليه مواصله عملية «أجاكسـى» وهو الاسـم الحركى للانقلاب بـل زوده بدليل حيوى مهـم حول كيفية تنفيـذ العملية.. وقاد

الانقلاب كما هو مخطط ومتفق عليه بمعرفة الجنرال زاهدى بمســاعدة المخابرات المركزية وأفادت بعض الشخصيات الهامة (حجب ذكرها) داخل البلاد وأحجبت العواطف الوطنية للشعب كما هو مخطط أيضاً وتضمنت العملية اســتلام السلطة واســتعادة الســيطرة على الجيش وكانت متقنة وفاعلــة أكثر مــن أى عمل أخر قمت به وقد وازنت بين القوة العســكرية والدعم الشعبى بطريقة بارعة وتم تنفيذ الخطوات المتفق عليها (السيطرة علــى محطة الإذاعة وغلق الاتصالات الهاتفيــة.. إلخ) وقد كلفت العملية دافع الضرائــب الأمريكى أقل من مليون دولار على أيه حال أقل من مبلغ الثلاثة ملايين دولار الذى خصص لها.. والقى القبض على محمد مصدق رئيس الوزراء ومعاونوه وأحيل للمحاكمة وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات وبعد إطلاق ســراحه ترك العمل السياسى وأمضى حياته فى مزرعته إلى أن وافتــه المنية وتوفى عام ١٩٦٧ ولكن فى النهاية وبعد العملية بعده أيام وفى قصره شرب شاه إيران نخب كيم روزفلت وقال له «أننى مدين بعرشى لله ولشــعبى ولجيشــى ولك وبالطبع إلى مساعدك السرى» يقصد مايلز كوبلاند» وقال لن اســميه... وبعد ذلك وعندما منح الرئيس إيزنهاور نوط الأمــن القومى إلى كيم، نكس كيم رأســه بتواضع وقــال بطريقته المميزة «إننى لا أســتحقه فى الواقع.. إننا مدينون بالجميل إلى أحد مســاعدى الذى يفضل أن يكون اسمه مجهولاً» ولكنه فى النهاية حصل على النوط!!؟؟ ودارت الأيام لتقضى المصالح الأمريكية والغربية أيضاً بوجوب التخلى عن شــاه إيران الذى لم تعد المصلحة الأمريكيــة بحاجة إليه وضاقت الأرض عليــه بما رحبت بحثاً عن مأوى للعلاج ثــم مأوى لمثواه الأخير ليجده بعد مشــقه بالغة الصعوبة فى رحــاب القاهرة.. وأعود فأقول ليســت هناك صداقة دائمة فى السياسة الأمريكية ولكن هناك مصلحة أمريكية دائمة.. ولابد وأن يعى أصحاب المصالح الشــرق أوسطية أو فى أى ركن من أرجاء المعمورة (الكرة الأرضية) هذه الحكمة الأمريكية الواضحة وضوح الشمس فى الصيف ولابد أن تضعها الدول فى حســاباتها فى العلاقات السياسية

وبالأخص وبالطبع فى إيران لأن الأحداث الخلفية كما اعتقد وكما أقول لا تنتهى عند نهايتها العملية ولكن تبقى مؤثراتها فى أغوار النفس لمن حدثت معه ولمن يسمعها ويشاهدها أيضاً.. فهل من مستمع؟! لست أدرى!!.

نتائج وتوابع : كان من نتائج تثبيت الشاه على العرش إنشاء يد بطش قوية وقمعية فى إطار سـرى وهى السافاك «جهاز الاستخبارات الإيرانى» بعـد اعتصام الدكتور محمد مصدق بالبيجاما فى مبنى البرلمان هرباً من اغتياله وقبل اعتقاله وحكم الشاه بهذه اليد القمعية إيران بالحديد والنار وطارد المعارضين بالداخل والخارج وأباد عشـرات الآلاف فى سـراديب السـجون وتحت وطـأة التعذيب وكان رئيـس السـافاك الثالث والأخير «نعمت الله نصيرى» يلقب بالمكروه الأول السـادى المتوحش وكانت ميزانيه السافاك تتعدى المليار دولار وبعد ثورة الخومينى ظهرت حقائق بشعة عن السافاك وأعتقل رئيسـه «نصيرى» وحكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص ونفذ فيه الحكم فوق سـطح المبنى الذى كان يشـغله الإمام الخومينى فى مدينة «قم».

الفصل الثانى

محاولات للاستقطاب

تم التخطيط لأول مرة لفكرة تنفيذ عملية «المخلص» بهدف إعادة إيران مع أيه اللــه الخمينى أو بدونه «نظام إعلامى» إلــى أحضان الغرب أثناء اجتماع عقد فى هامبورج فى أواخر عام ١٩٨٤ بين كيمشــى و«ال شويمر» وهو تاجر ســلاح إســرائيلى خدم كمستشــار مقرب لــدى رئيس الوزراء الإســرائيلى شــمعون بيريز وياكوف نمرودى الذى خدم كملحق عسكرى إسرائيلى لدى إيران فى الســتينيات والسبعينيات و «فنوشهر جوبانيفار» وكان قريباً من فصيل هاشمى رفسنجانى الرئيس القوى للبرلمان الإيرانى وكان كيمشــى قد دخل قبل شهور قليلة ماضية فى حوار مع عناصر داخل النظام الإيرانى كانت تســعى إلى تقريب السياسة الخارجية الإيرانية أكثر مــن الموقف الغربى.. وفى ١٤ يونيو ســنه ١٩٨٥ قام حــزب الله بخطف طائــرة «تى دبليــو أى» فى رحلتها رقم ٨٤٧ التى كانــت متوجهة من أثينا إلــى روما وطالــب الخاطفون بتحرير الســجناء الشــيعة المحتجزين فى الكويت وإســرائيل وأســبانيا فى مقابل إطلاق سراح الرهائن والذين كان فى عدادهم بعض الأمريكيين وعلى أمل الفوز بود واشــنطن تدخلت إيران لإنهاء العملية وبعثت برسالة إلى مجلس الأمن القومى الأمريكى قالت فيها «إنهــا تريد بذل قصار الجهد لإنهاء أزمة» تى دبلو أى» وكان رفســنجانى فى طريق العودة من تونس عندما اعترضت الاســتخبارات الإســرائيلية الســرية محادثة جرت بينه وبين الســفير الإيرانى لدى ســوريا على اكبر «محتشــميبور» وهو شــخصيه هامه تقف خلف روابط إيران بحزب الله - وأعطى رفســنجانى توجيهاته إلى السفير بان يضغط على حزب الله لكى يطلــق الرهائن وقام وزير الخارجية الإيرانى على أكبر ولايتى بعمل مماثل ومع أنه تم إطلاق ســراح المحتجزين فى النهايــة نتيجة التدخل الإيرانى

رفضــت واشــنطن التعامل مع إيــران.. وهنا تدخل عدنان «خاشــقجى» لجوربانيفــار المذهول بأن الطريقة الوحيدة للاتصال بواشــنطن تمر عبر إسرائيل؟! واســتعان جوربانيفار بالخاشــقجى للاتصال بتل أبيب واعداً الإســرائيليين بأنه «فى حال انتصرت فى هذه الحرب فلن ننســى شــكر أولئك الذين ساعدونا.. وســوف تشهدون تغيراً جذرياً فى موقف طهران مع إســرائيل».. ولم يكن الإســرائيليون بحاجة إلى مــن يقنعهم بذلك..؟ وأوجد هذا الوضع علاقة مثلثيه متوازنة على نحو مثالى فواشنطن أرادت تحرير الرهائن وإسرائيل أرادت بناء روابط أوثق مع إيران وطهران أرادت الحصول على أســلحة؟! وإن كان الهدف الإسرائيلى الاستراتيجى الأوسع يتمثــل فى الفوز بإيران مجدداً أكثر أهمية من احتجاز حزب الله للرهائن فى لبنان أو الحاجات العســكرية لإيران؟! وطلب من الخاشــقجى وجور بانيفــار الاتصال بمجلــس الأمن القومى الأمريكى ولكن مستشــار الأمن القومى «روبرت باد» «ماكفرلاين» لم تعجبه الفكرة وكان على وشــك رفض طلبهما للحصول على أســلحة والدخول فى حوار لولا تدخل شيمون بيريز واستفســاره عن امكانيه الدخول فى تعاون ســرى مع إيران ؟ وكان تدخله مثمــراً فقد قــرر «ماكفرلاين» اختيار الاتصــال الإيرانى عبر طرف ثالث يمكنه تحمل المسؤولية الكاملة «وكان إسرائيل؟!» وبعد تدخل بيريز أعطى ريجان موافقته على إجراء تحقق ســرى فى الخطوة المقترحة وأوكل هذه المهمة «لمايكل ليدين» وهو بروفسور فى الجامعة الأمريكية وصفه نمرودى بأنه يشــتهر بأنه صهيونى حقيقى ومخلص وطلب «ماكفرلاين» مستشــار الأمــن القومى الأمريكى من «ليدين» عدم اطــلاع وزارة الخارجية ووكالة الاســتخبارات على الأمر وعقد لقاء مع شيمون بيريز فى تل أبيب واقترح شيمون بيريز رئيس الوزراء بأنه ربما يكون من المفيد إرسال بالون اختبارى إلى طهران بشــحنة أسلحة واحدة لاختبار نوايا الإيرانيين ومع أنه لم يجر اطــلاع المخابرات الأمريكية بأبعاد الصفقــة فقد أيدت الفكرة؟! وأوصت ببيع أســلحة إلى طهران بحد بلد ثالث لتعزيز موقف المعتدلين الإيرانيين

وتحســين مســتوى المعلومات الاســتخباراتيه الأمريكية المتعلقة بإيران.. وواصل كيمشــى وماكفرلاين التخطيط للعملية شــخصياً وبعد أن اطمأن ماكفرلاين إلى أن رابين وشــامير موافقان على العملية مضى كيمشى إلى حد القول بأن الإيرانيين واثقون بأنه يمكنهم تأمين أطلاق ســراح الرهائن الأمريكية فى لبنان ولم يرق لواشنطن طلب إيران الحصول على ما قدرته بمائه صاروخ تاو نتيجة معارضة الأعضاء الرئيسيون فى الإدارة الأمريكية لإتمام إبرام الصفقة ولكن الفوز بإطلاق سراح الرهائن كان شديد الإغواء لريجان وفى أغســطس سنة ١٩٨٥ أعطى الرئيس الضوء الأخضر للخطة وتم شــحن تلك الصواريــخ وتواصلت عمليات الأســلحة بلا انقطاع ففى ســبتمبر وبدقة فى الخامس عشر منه فى نفس العام وصلت شحنه ثانية من الصواريخ إلى إيران وبعد بضع ساعات أطلق سراح «بنيامين وير» وكان أحد المحتجزين فى لبنان وحققت أمريكا هدفها بمناوره تكتيكيه بســيطة حددت خطواتها بدقة وحققت إيران هدفها أيضاً وبأثمان تكتيكية بسيطة ولكن على ما يبدو أن إسرائيل لم تحقق هدفها الاستراتيجى الأكبر والأهم لها نحو اســتقطاب النظام الإيرانى ودخولــه الحظيرة الغربية كما أرادت واشــتهت؟! وأعلن بيريز «كانت مبيعات الأسلحة لإيران فكرة أمريكية ولم نشــارك فيها إلا بناء على طلب من واشنطن» ثم عاد للقول فى عام ١٩٨٧ مدافعاً عن أعمال إسرائيل بالقول «بأنها كانت تستكشف الفرص لتلطيف حدة خطاب إيران؟! ثم أضاف للمراســلين الصحفيين «لماذا لا نملك الحق فــى إلقاء نظرة فاحصة لمعرفة أن كان يوجد نافذة فرص وإن كانت توجد إمكانية لمســتقبل أخر بإيران» وانتهــى تقرير «ابا ايبان» الذى ترأس لجنه إسرائيلية للتحقيق فى تورط البلاد فى قضيه الأسلحة لإيران بالقول «من حقنا أن نبيع الأسلحة لإيران ؟!» وحث شامير ريجان فى مقابلة بعد ذلك فى واشــنطن على اســتئناف الاتصالات مع إيران ورفض.. وعلى الجانب الإيرانى أنكر الإيرانيون بشده إجراء أيه مفاوضات مع الإسرائيليين وأعلن رفســنجانى «بأننا لم نفاوض إسرائيل أبدا من أجل شراء أسلحة؟!! وفى

حال تبين لنا أن الأسلحة التى وصلتنا جاءت عبر إسرائيل فلن نستخدمها فى جبهات القتال؟!!؟ وسبحان علام الغيوب ودائما ما يكون جراب الساسة أوسع بكثير من جراب الحاوى وتلك أيضا سمه العصر الحديث؟!... وعلق على ذلك دبلوماسى إيرانى سابق عمل فى إسرائيل «كان فى مقدورنا الاستفادة من صداقة إسرائيل ولكننا لم نكن أصدقاء حقيقيين» وهى حكمه ليست مقولة ولكنها دقيقة أيضاً؟!

وفى مارس عام ١٩٩٥ قال وران كريستوفر «انظر إلى حيث تشاء وستجد يد إيران الشريرة فى هذه المنطقة؟! وهو رأى أمريكى لم يغيب عنها نحو إيران؟!.. وفى محاولة لخاتمى للمراوغة من جديد قال «بما أن الدول العربية لا تحبذ الدخول فى حرب بأى قوة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية وتريد أن تحارب إسرائيل؟ فما الذى يجنيه الإيرانيون من هذا الموقف باستثناء تحمل اللوم على دعمهم للإرهاب؟ فيوجد لدى الفلسطينيين اليوم حكومة ونحن نعترف بها وهى مكلفه باتخاذ القرارات نيابة عن شعبها وصحيح أن الوضع الحالى ليس مثالياً ولكن يتعين علينا التكيف مع الحقائق وألا نكون وعاء أشد سخونة من الحساء؟!!»... ولا تعليق.

الفصل الثالث

أزمة البحارة بين إيران وبريطانيا ثم السفارة

حيرنى هذا الشعب الإيرانى وربما أعجبنى أيضاً، ولكن سرعان ما أعود إلى حيرتى مرة أخرى أيضاً.. فمنذ عدة سنوات وقبل الثورة الإسلامية الخومينية قرأت حديثا عجيباً عن الترف الإيرانى من عوائد النفط.. ثم قول الشاه السابق محمد رضا بهلوى والذى كان قابعاً على عرش الطاووس عندما تحدث عن ثبات قواعد الحكم فى إيران « قبل أن يأتى أحد إلى فى هذا القصر.. فلابد أن يمر على ثلاثمائة ألف مقاتل بأحدث أنواع الأسلحة.. ويدين لى بالولاء الكامل، فقد حصل على أفضل مما كان يريد أن يحلم فى حياته « .. ثم تحدث عن القوات الجوية الإيرانية وما تتمتع به من تفوق فى المنطقة الشرق أوسطية الإقليمية.. ثم كانت الثورة الخومينية وإنهاء هذا النظام وكأنه قصر من رمال على شاطئ الخليج العربى أو كما يسمونه بالخليج الفارسى.. وبعد فترة بدأت الحرب العراقية الإيرانية ثمانى سنوات كاملة.. ومن رؤيتها البعيدة كانت حرباً مختلفة بعيدة كل البعد عما كنا نسمعه أو نشاهده.. مما أصابنى بالحيرة والتعجب!

ثم سرعان ما بدأت الثورة وبسرعة فائقة فى إعادة البناء والتسليح من جديد للقوات المسلحة الإيرانية وبشكل منظم ومدروس ومكثف وفى وقت قصير نسبيا بدأت علامات الصحة الموفورة والقوة تظهر على القوات التقليدية الإيرانية .. ثم ظهرت ملامح التطورات التكنولوجية على الملف والقوة غير التقليدية (الذرية) مما أصابنى بالحيرة والتأمل مرة أخرى! ثم زادت الحيرة وتعمق التأمل فى طريقة إدارة الأزمات الإيرانية مع الغرب بهدوء يثير الإعجاب « دون ضجيج الجماهير الهادرة.. و نداء الموت والنضال والفداء بالروح والدم أيضاً!».

وتلاحـظ هنا عزيزى القارئ أن التعامل السياسـى الإيرانى هو تعامل فاهم لقواعد اللعبة السياسية وملم بمشتملاتها ودارس لقوانينها ومستوعب للخبرات السـابقة وكأنها لعبة شطرنج لم يتعود الغرب على التعامل معها وبها.. فالضغوط السياسـية ثم المحاور الاقتصادية كفيلة بإيقاع أى نظام منـاوئ للقطبيـة الواحدة أو العولمة الجديدة! ومن هنـا فإن الغرب بوجه العمـوم كان يجرب الهالـة الإعلامية والسـيناريوهات المؤلمة لما يمكن أن تتعرض له إيران وهو مؤمن بالنجاح من تجاربه السـابقة والعديدة بالدفع نحـو حافة الهاوية.. ولكن ظل النظام الإيرانى متعاملا بهدوء بين الشـد والجذب بمهارة تثير الحيرة أيضاً! وسـوف يكون لنا التشـريح والتحليل للفهـم والإدراك والرؤية أيضاً من خلال مشـكلة أسـر البحارة الانجليز الذين دخلوا المياه الإقليمية الإيرانية وعذراً عزيزى القارئ فسـوف يكون التحليـل فـى العمق أو من العمق هذه المرة وليس مـن البداية كما تعودنا معاً.. حيث ينتظر كل طرف من الأطراف مع تعدد وسائل الضغط والرهبة أن يتراجع الطرف الآخر ولو بمؤشر نحو التراجع فيتم استمرار الضغط. والخطوة الأولى فى التراجع سوف تكون البداية أو بداية النهاية.

فبدأت الخطوة الأولى كما أسـلفنا بالسـيناريوهات ولم تفلح فانتقلت إلى الخطوة التالية وهى المناورات واسـتعراض القـوة فقوبلت بمناورات مماثلة.. فكان الانتقال إلى مسرح العمليات السياسى فى الأمم المتحدة.. فتعاملـت إيران معهـا بقدر الممكن والمتاح وكان التأثيـر إعلاميا أكثر من عمليـا أو مؤثراً.. فبـدأت رحلة المخابرات أو كما يقـال حرب المخابرات وخلف الأبواب المغلقة وما تعنيه من مسـاحة تجـاوزات أو أعمال رمادية أو حتى سـوداء وذلـك باختفاء نائب وزير الدفـاع الإيرانى «مصغرى» ثم الإعلان عن كم هائل من المعلومات اسـتفادت منه أمريكا وبريطانيا.. ومع ذلك لـم يظهر تأثير مؤلم أو نية تراجع.. وإن كانت تشـبه هروب الفريق حسـين كامل زوج ابنه صدام حسـين قبل المواجهة إلى الأردن.. والإعلان وبنفـس الصورة عن كم المعلومات التى تم الحصول عليها فى فترة تواجده

بالأردن! ومع ذلك لم يظهر النظام الإيرانى نوايا أو بادرة تراجع بل انتقال إلى الخطوة المضادة بأسـر خمسـة عشـر جنديا من واجهة درة البحرية البريطانية!

وهنـا كانت الحيرة والتعجب أشـد وأعتقد حتى من الطرف الأمريكى أو البريطانـى نفسـه ! فقد كان مـن المتوقع أن تتجـاوز وتقترب القوات الأقـوى والأعنف (والمقصود هنا.. البريطانية والأمريكية) من الشـواطئ الإيرانيـة.. وليس بغرض عسـكرى كما قد يفهم ولكن أيضـاً ليس بحثاً عن معلومة أو حتى سـعيا لها.. ولكن لمراقبة التصرف السياسى وأمل فى نيـة التراجع الإيرانى خطوة على الأقـل! وكان من المتوقع وكما حدث فى الماضى وفى تجارب سـابقة بأن يغض النظام بصره سـعيا لعدم التصعيد أمـام الغرب حتى وإن اقتربت الدورية إلى حافة الشـاطئ نفسـه وبذلك يكون الصمت هنا هو بداية التراجع أو على الأقل النية فى التراجع يتبعها التراجع نفسه.. ومرة أخرى كان المحير أيضاً أن الرد الإيرانى على خطف أو هـروب (ولا اعتقد ذلك) لنائب وزير الدفـاع الإيرانى فى تركيا أن تم أسـر قارب الاسـتطلاع الانجليزى فى الخليج وعدم تركـه حتى الآن إلا بعد اعتذار رسـمى انجليزى وبعد تحقيقات رسمية واعترافات علنية عبر شاشات التليفزيون الإيرانى.

الملعب الغربى :

ومـن هنا عزيزى القارئ نجد أن النظام الإيرانى نقل الكرة إلى الملعب الانجليزى والغربـى انتظاراً للتراجع أو نية التراجع على أقل تقدير، وبدأ يضغط فى الاتجاه العكسـى أو المضاد منتظرا هـو الآخر كما قلنا نقطة التراجـع..! وإن حاولت انجلتـرا حتى الآن تفاديها وبالبـرود الانجليزى المعهود طالبة الوسـاطة السـعودية فى إقناع إيران بإطلاق سراح الأسرى وإن كنت أتوقع أن يتم ذلك عبر مفاوضات سـرية وبحزمة حوافز سياسية يمكن التراجع عن جزء كبير منها بعد إطلاق سراح الرهائن! وبدأ التحرك أيضاً من خلال عدة محاور.

١ - بعد مفاوضات استغرقت أربع ساعات متصلة فى سابقة أولى نحو استخراج بيان من مجلس الأمن بالإعراب عن القلق من خطف البحارة البريطانيين والمطالبة بإطلاق سراحهم.

٢ - إعلان بيان السكرتير العام للأمم المتحدة «كى مون» عن قلقه من تطور المشكلة ورغبته فى التدخل لحلها بصورة ودية..

٣ - إعلان بعض الدول الأوروبية وبالذات ألمانيا صاحبة الرياسة فى هذه الدورة وجوب إطلاق سراح الرهائن الانجليز بلا قيد ولا شرط كنوع من توزيع الأدوار، وردت إيران بلهجة تحذيرية بعدم التدخل وجعل المشكلة فى إطار ثنائى إيرانى إنجليزى فقط.

٤ - إعلان خافيير سولانا منسق السياسة الخارجية الأوروبية الأسبق عن إمكانية التفاوض والتفاهم مع النظام الإيرانى..!

٥ - إعلان روسيا وعلى لسان وزير الخارجية الروسى سيرجى لافروف أن بلاده لن تؤيد فرض عقوبات مشددة على إيران فى أى ظرف من الظروف.

٦ - قيام قطر وأندونيسيا وجنوب أفريقيا بمحاولة إدخال تعديلات على مشروع قرار فى مجلس الأمن بخصوص العقوبات على البرنامج النووى الإيرانى.. مما يعنى السماح لهم بمساحة من التفاوض السرى ومن خلف الأبواب!.

ومن هنا نرى أيضاً إظهار مهارة التلاعب بالورقة السياسية من جانب الإيرانيين عندما أرجأت إيران الإفراج عن المرأة الموجودة بين البحارة بسبب التصرفات البريطانية الخاطئة! ألم أقل لك عزيز القارئ إن النظام الإيرانى يتحرك ويتصرف بطريقة هادئة ومحيرة وحتى الآن ناجحة؟!.

قيمة البحارة :

كما نعرف فإن البحريــة البريطانية هى درة التاج البريطانى وصاحبة الفضل فى مد الإمبراطورية إلى آفاق الأرض حتى لا تغيب عنها الشمس! ومن خلالها تلك القوات الخاصــة ROYAL Marines-Special Boat Squadron

ويضــم ســلاح البحرية الملكى عــدداً كبيراً من المجموعــات الصغرى والمنتقاة بعناية وإحدى أفضل هذه المجموعات من حيث التدريب والشهرة هى وحدة الزوارق الخاصة اختصاراً للتعبير الســابق (S.B.S) والتى يعود تاريخها إلــى الحرب العالمية الثانية بأهداف اســتطلاعية وللإغارة على الشــواطئ الأوروبية (البر الرئيســى) الأمر الذى اكســبها خبرة وتقنيات خاصة وتم الحفاظ عليها فى أوقات الســلم بالرغم من إجراء العديد من التعديلات..

ويطلــق عليها أيضــاً « جناح الغــارات الصغيرة » وهى تتبع دراســيا المدرســة البرمائيــة التابعة لســلاح البحرية الملكى فــى (EASTNEY) ومركزها الحالى هو Poole فى (Dorset) وبدأت الاسم الجديد فى عام ١٩٧٧ وهى تعمل وفق ما تــراه القيادة العملياتية لوحدات الكوماندوز مع العلم بأنه بإمكانها التصرف باســتقلالية فى مهمات خاصة مثل عمليات التخريــب والتفجير كمــا أنها تدربت على حماية حقول النفط ومنشــآت الغاز.. وهى تعمل أحياناً من خلال الغواصة التقليدية (H.M.S ONYX) ويتم تنســيق خاص بين القوات الجوية الخاصة (S.A.S) ووحدة الزوارق الخاصــة (S.B.S) ويتــم اختيارهــم من بــين صفوف المتطوعــين الذين يخدمــون فى الكومانــدوز البحرى الملكى ويخضع الجميع ســواء ضباطاً أو جنوداً فحوصات جســدية ونفســية لمدة ثلاثة أسابيع ويتم على أساسه اختيار الناجحين.. ويتسلح الأفراد بالبندقية الأمريكية «آرمليت» «إم ١٦» وقاذفات قنابل طراز (M.٢٠٣) كما يســتخدم نموذج خاص من الرشاش

البريطانى القصير «سـتـرلينج» (L.٣٤) المزود بكاتم صوت وكاشف لأشعة الليزر وأجهزة للتفجير عن بعد وعدة نجاة عند الطوارئ.

حرص شديد :

وأخيـراً عزيزى القـارئ فمازلت فى الحيـرة والاندهاش من المعالجة الإيرانية الناجحة حتـى الآن ومع ذلك فإننى أرى التحالف الغربى بكامله يتعامل مع النظام الإيرانى بحرص شـديد وبخطوات بسـيطة ومدروسة وذات معـان أيضاً لكى تعطى المؤشـر والدليل على الاتجـاه الذى تريده والمعنى الذى تريد توصيلـه.. فهل معنى ذلك أن تلك الحوادث ربما تكون مقدمات لاحتكاك أو تصادم مسـتقبلى؟! لا أعتقد ذلك أو على الأقل لن تكون هى السبب المباشر أو الرئيسى وإن حدث ذلك فسوف تكون العواقب وخيمـة على من يبدأ بذلك ثم تكون الخسـارة جماعية وليس على طرف واحـد وحتى إن كان الطرف الأمريكـى أو الإنجليزى حيث إن الصعوبات المتوقعـة أو المحتملة علـى أرض العمليات فى ظروف قـرار الكونجرس الأمريكى باشـتراط موعد للانسحاب من العراق للتصديق على الاعتماد الإضافى للحكومة الأمريكية لتغطية تكاليف القوات الأمريكية فى العراق بالإضافـة إلى رحيل مجموعة بوش دون تقديم تقرير أو كشـف حسـاب معتاد عن فترة الحكم وأهداف الاحتلال للعراق وهل تحققت وفق النظرية الأمريكية أم لا؟! كل ذلك يجعل الحركة الأمريكية محسـوبة ومقيدة بألف قيـد إذا ما فكرت فى عمل إضافى وذلـك بالإضافة الى رحيل تونى بلير أيضاً من رئاسـة الوزراء البريطانية.. كل ذلك أدركته السياسـة الإيرانية مما جعل «على رضا أفشـر» العضو فى هيئة الأركان فى الجيش الإيرانى يطالب بريطانيا بتقديم اعتذار رسمى والتعهد بعدم انتهاك المياه الإقليمية الإيرانية لتسوية الأزمة وعدم تقديم الأسرى إلى المحاكمة ألا يعد ذلك شد إذن لبريطانيا؟! وهل سـتقبل بذلك؟ لقد رفض «تونى بلير» رئيس الوزراء البريطانى الأسـبق حتى مجرد تقديم اعتذار أو حتى التفاوض مع النظام

الإيرانى وفى الحقيقة الجميع يدرك أن كل ما يتم فى هذه المشكلة هو ذو أبعاد سياسية بحتة وليست عسكرية كما تبدو.

وطبقا للنظرية الولسونيه وعقدة الاستعمار فان احتلال الدولة المستعمرة لدولة ما احتلتها واستقلت عنها يجعلها تبقى دائما على الخيوط موصولة بحكم التخصص وتكون دائما هى الأقرب للتداخل كلما سمحت الظروف بذلك و مثال ذلك (إيطاليا ـ ليبيا) و (بريطانيا ـ السودان) و(فرنسا ـ الجزائر) والأمثلة عديدة لا تكاد تحصى فى أحداث التاريخ الحديث... وتقوم بريطانيا من آن لآخر بمناوشات سياسيه أقرب من غيرها مع إيران ولم تنتهى عند أزمة البحارة بل تكررت وسوف تستمر انتظارا لمؤشر الحركة ذى القطبية الواحدة حيث قامت بتصعيد الحصار على البنك المركزى الإيرانى ورد الطلبة الإيرانيين بمهاجمه السفارة البريطانية فى طهران وردت بريطانيا بغلق سفارتها فى طهران وطرد الدبلوماسيين الإيرانيين من بريطانيا فى تحذير «نحن هنا»؟؟ ولكنها أيضاً لم تقطع العلاقات فصرح وزير الخارجية البريطانى «وليام هيج» بأن إغلاق السفارتين يقلص علاقتنا مع إيران إلى أدنى مستوى مع الإبقاء على العلاقات الدبلوماسية ولسان حالها يقول «أخاصمك آه... أسيبك لا؟؟ وفى انتظار أمريكا؟؟؟

الباب الثالث

إيران وإسرائيل

الفصل الأول

العلاقات السرية بين إيران وإسرائيل

الدلائل .. والمفهوم .. والممكن :

ليس من طبيعتى فى الفهم أو العرض أن آتى بالنتائج التى من تسلسلها الطبيعــى فهى تأتى بعد فهم المعطيات و الخلفيات ثم يأتى بطبيعة الحال الاســتنتاج فى المرتبــة الثانية ملحاً ومؤكداً مكانته ثــم النتائج التى تكون محصلة للفهم والإعمال الفكرى فيها، ولكننى أجد نفســى هنا أمام حالة فريدة مضطراً فيها إلى تغيير الأولويات وتسلســلها الطبيعى لأن البداية بالدلائــل والمفهوم والممكــن أزاح الترتيب المنطقــى للموضوع حتى لا يتوه القــارئ أو المتلقى للمعلومة بين تفاصيل الواقع و توقيت الوثيقة تاركا ما تدل عليه ومتحيرا بين المفهوم والممكن.. فالبداية بالدلائل والمفهوم والممكن يجعل للوثيقة القيمة المرجوة منها ... وللحد الذى يجعل منها إضافة للعقل والإدراك لمــا يــدور حولنا أو بالقرب منا.. وتلك طبيعــة الوثيقة التى هى الرحلة الذهنية بين الشك واليقين.

المدلول الأول : إن هذه الوثيقة تأتى عن ثورة شعبية ضد حكم دكتاتورى فــى دولة كان لها فى الماضى جذور وحركة مؤثرة فى العالم بأســره كقوة ثانية (الإمبراطورية الفارسية) بعد الإمبراطورية الرومانية فلها عمق ولغة و إدراك وإن كان طــلاؤه باللون الإســلامى لم يصل إلــى العمق والجذور والطمــوح... لذا فمن الطبيعى أن تكون لهذه الثــورة أيديولوجية معروفة وثابتــة لا تحيد عنهــا وإلا لما كتب لها النجاح حتــى الآن... فكل ما يقال الآن عن إســرائيل وعلى لســان قادتها أكبر بكثير مــن الاعتراف أو عدم الاعتراف... بل يصل إلى حد نكران الوجود ومســبباته فهى وصول لأبعد غاية وأغلى أمنية فى قلب فلســطينى إذا سرح بخياله وبعد عن الواقع أو مســبباته وهذه الوثيقــة لا تدل على مصداقية هذه الأقــوال... فالتعاون

العســكرى هو أعمق وأكثـر تأثيراً فى العلاقة بين طرفين وذلك بشـقيه التسليح والتدريب وكلاهما كان موجوداً بين إيران وإسرائيل..

المدلـول الثانـى : إن أطـراف هــذه الوثيقة ما زالـوا يلعبون بالأوراق السياســية ســواء منهم بالأثر مثل خومينى أو وارثــاً .. أو كان فى الصف الثانــى وقتها والآن أصبح فى الصــف الأول... والفرق بين الثانى والأول ليــس ببعيد وخاصة فى الأيديولوجيــة الثورية بالذات... ومثال ذلك على أكبر هاشــمى ورافسنجانى أو أدار عملية التنفيذ العملى وقتها مثل أحمد نجاد والآن أصبح فى الصف الأول وبقى شــئ محير وهو يشبه اللغز يليه لغز أخر..

اللغز الأول : إن الطرف الإيرانى كان يتعامل مع الطرف الإســرائيلى بالشــك والريبة وهى جينات مشــتركة ولكن مع ذلــك كان التعاون بلهفة مشتركة ومكر لم يطفئ شهوة اللقاء الأول.. وكما قلت كل شئ ممكن ومباح ولكن بحذر وويل لمن لم يحذر فى السياسة ودروبها الوعرة....

اللغـز الثانـى : فى أثناء هــذا التعاون العســكرى العميق كما قلت... وبشــقيه التســليح والتدريب... كانت هناك خطط تدور فى خلف الخلفى للأبواب الخلفية وتحت التحتى من الأســرار للإطاحة بتلك الثورة أو ذلك النظام الجديد فى طهــران.. والوثائق موجودة وأطرافها على قيد الحياة أيضاً .. والكل يعلم.. والكل يتعاون ولكن خلف الأبواب لذلك أرى أن توقيت الوثيقــة لم يعد ملحا طالما أبطالها هم نفس الأبطال ســواء بالجســد أو بالوراثــة أو بالمكان والفكر... ومن هنا نجــد بعد الدلائل لابد من المفهوم وأنه لا يدخل العقل إلى دروب المنطق ومستلزماته أن تغيير الثورة الإيرانية للهــدف والغرض بهذه الســرعة غير الواجبة... وإنمــا المفهوم أن هناك هدفاً أخر... لا يحيد... وربما عودة الإمبراطورية الفارسية بعد استيعاب المتغيــرات الحديثة وبطلاء إســلامى جيد وبألــوان زاهية وباهرة تجذب الانتباه والانتماء.

وإذا انتقلنـــا بالتالى إلى الممكن فهـــو واضح... لا يفيد معه التطويل أو التعريف فكل شـــئ ممكن وممكـــن جدا فى العالم الخلفـــى أو الاتفاقات التحتيـــة.. يعنى باختصار شـــديد هى وثيقة تعاون واتفاقـــات بين الثورة الإسلامية الشـــيعية والحكومة الإسرائيلية وبإشراف ومصلحة أمريكية.. وتعالـــوا نغوص فى الوثيقة.. وحتى لا نتوه فيها عزيزى القارى. فهى تدور حول ثلاثة رهائن أمريكيين فى لبنان وفى متناول يد حزب الله بالإضافة إلى مدير مركز CIA فى بيروت.. وقامت القائمة فى أمريكا ولم تقعد... نريد الإفراج عن الرهائن.. ولم تســـتبعد الباب الخلفى والمستباح فيه كل شئ.. ودارت عجلة الاتصالات لتشـــمل بوش الأب وكان نائب الرئيس الأمريكى ريجان ومنع ســـؤاله طبقا للدستور أو القانون الأمريكى بعد كشف العملية وبعد تعيينه أو انتخابه رئيساً للولايات المتحدة بثلاثة أسابيع.. قتل الشاهد الوحيـــد وهو عميل إســـرائيلى ثم بقى من أطراف الوثيقة شـــيمون بيريز ورموز الثورة الإيرانية وبعض عملاء الموســـاد ووكالـــة المخابرات المركزية وبوش الأب... وفى الوثيقة.

أولاً : كان صـــوت رئيس الوزراء الإيرانى مير حســـين موســـوى يمكن ســـماعه وهو يصرخ من طهران فى رئيس مخابراته محسن كانجرلو عند اتصالـــه به بالتليفون بالفندق السويســـرى وبالأدق فندق نوجا هيلتون فى جينيف وكان الجالس معه مانوشـــر جور بانيفار وهو تاجر أسلحة وعميل غيـــر متفرغ للمخابرات الإيرانية والطرف الثالث ياكوف نيمردى وكان فى الواقع رجل مخابرات إسرائيليا سابقا ومن المزعج من وجهة نظر المخابرات الإسرائيلية أن الموساد لم تكن قد عرفت شيئاً عما يجرى بعد..

ثانيـــاً : كان نيمـــرودى مكلفا بتفويض من «شـــيمون بيريز» لينضم إلى إســـرائيليين آخرين فى التعاون على نحو وثيق مع المســـئولين الأمريكيين على مســـتوى عال جداً لمقايضة أســـلحة أمريكية لإيـــران مقابل الإفراج عن الرهائن.. وبالنســـبة لإســـرائيل وأمريكا كان من الحيوى أن تظل هذه الاتصالات سراً مع إيران وإلى هنا فالمخدوعون كثيرون وهم:

١ – أصدقاء الولايات المتحدة فى المنطقة.

٢ – الشعب الأمريكى والذى ملأته العظمة فلم يعد يعترف بالأبواب الخلفية..!! فكيف ذلك وأمريكا سيدة العالم.

٣ – الموساد الإسرائيلى ووكالة المخابرات المركزية فقد تم العمل خلف ظهورهما.

٤ – رئيس الوزراء الإيرانى لأنه كان فى المطار بطهران مع كبار العسكريين يفحص صواريخ هوك أرض جو التى وصلت على متن رحلة جوية سرية من إسرائيل واتضح أنها قديمة ومكهنة وظل يصرخ فى التليفون قائلاً من الذى يستطيع أن يتعامل معنا كحمقى إننى أقف مع خبير إيرانى فى صواريخ هوك فى جيشنا ويرى أنها عفى عليها الزمن.

٥ – نيمرودى الذى عمل لعشرات السنين فى إيران لحساب وكالة الهجرة السرية ولوكالة «أمان» ثم فى النهاية لحسابه، أحس أنه خدع أيضاً فقد أخذ عمولة خاصة قدرها ٢٤ مليون دولار من إيران لإتمام العملية بالإضافة إلى لإطلاق سراح الرهائن.

٦ – المسئولون الأمريكيون وبينهم بوش الأب نائب الرئيس الأمريكى والذين ساهموا فى العملية ووعدوا إسرائيل بتعويضها من مخازن الجيش الأمريكى.

ثالثاً : اتصل «نيمرودى» بشريكه فى العمل «أدولف آل شفايمر» فى تل أبيب ليبلغه أن الإيرانيين حانقون وأن طاقم الطائرة الألمانية الغربية المؤجرة احتجز كرهينة فى طهران.. وكان المدير الفعلى للعملية الكولونيل «أوليفرنورث» وهو رجل البيت الأبيض المكلف بالعملية.. وقد تم كل ذلك على الرغم من الموقف العلمى كما نعرف للرئيس الأمريكى والمعارض بشدة لعقد أى صفقات مع الإرهابيين الموالين لطهران وعند إلقاء الضوء على نجوم العملية الثلاثة نجد:

أ – «آل شفايمر» ولد فى أمريكا عام ١٩١٧ وعمل كمهندس لحساب شركة لوكهيد ثم فى شركة (TWA) العالمية ثم خدم فى سلاح الطيران

الأمريكى ثم عمل تاجر أسلحة من النوع الردئ فى «تشيكوسلوفاكيا» ثم عاد وخدم فى سلاح الطيران الإسرائيلى وحكم عليه بغرامة عشرة آلاف دولار فى لوس أنجلوس بتهمة التصدير غير المشروع للأسلحة ثم عمل فى تجديد وإصلاح الطائرات الحربية الإسرائيلية فى أمريكا ثم طائرات العال ثم ساعد بجهد وفير، إسرائيل فى إنتاجها لطائرة «كافيير» بعد سرقة تصميمها بواسطة «لاكام» وهى وكالة «الاستخبارات العالمية الإسرائيلية» من عميلها السويسرى «فراونيكنخت» ثم عين بعد ذلك مستشاراً خاصاً لشئون بيريز بأجر رمزى قدره شيكل واحد فى العام وذلك لكى يخضع للقانون الإسرائيلى فى المحاسبة.

ب - «ياكوب نيمرودى» ولد فى العراق١٩٢٦ ولكنه تربى فى القدس كواحد من عشرة أطفال لعائلة فقيرة وعمل فى المخابرات الإسرائيلية والتحق «بالبالماخ» وهى سرايا الصاعقة بالهاجاناه.. ثم عمل ضابطاً فى (الأمان) جهاز المخابرات الحربية الإسرائيلية ثم انتقل إلى الموساد وكان صفته الرسمية فى طهران ملحقاً عسكريا برتبه كولونيل وقام ببيع معدات عسكرية إسرائيلية لطهران بمعدل ٢٥٠ مليون دولار سنويا كما عمل على استخدام الإسرائيليين الذين يتحدثون الفارسية كمدربين فى الجيش الإيرانى ثم ساهم فى تطوير جهاز المخابرات الإيرانية إلى حد كبير وعندما حاول أن يتولى قيادة الضفة الغربية المحتلة قوبل طلبه بالرفض فترك الجيش وبدأ العمل على تصدير السلاح الإسرائيلى إلى طهران لحسابه وبعمولة واستقر فى إيران هو وزوجته (ريفكا) ثم طور علاقاته وتعاون مع رجل الأعمال السعودى (عدنان خاشقجى).

ج - (كيمحى) أو ديفيد كيمحى وكان يعمل فى الموساد ثم انتقل إلى عمل مدير عام بوزارة الخارجية الإسرائيلية وكان يمثل حكومته رسمياً فى الصفقات والمعاملات السرية مع طهران.

رابعـاً : ثم حدثـت مفارقة كادت تؤدى إلى فضائـح لا حد لها عندما تعرضت الطائرة التى تنقل المعدات وهى فى قبرص إلى اشتباه فى الوثائق الخاصة بالشـحن ثم قبـض على قائد الطائرة وعلـى الفور تم الاتصال بالكولونيل (نورث) فى واشـنطن وطلب (نورث) المسـاعدة من المخابرات المركزيـة وقام عميل المخابرات المركزية بقبرص بالضغط على المسـئولين هناك وتم الإفراج عن الطائرة بهدوء شديد ووصلت إلى طهران فى الساعة السادسة صباح يوم الاثنين ثم تم الكشف عن الصفقة ولحل المشكلة بيعت الصواريـخ القديمة فى طهـران كقطع غيار وتم تحويـل مبلغ ١٨ مليون دولار لحسـاب طهران وبالتالى يكون ما دفعته طهـران فى هذه الصفقة هـو ٦ ملايـين دولار فقط على اعتبـار أنها ثمن قطع غيـار وهكذا فإن حادثـة صواريخ هوك تحولت إلى كارثة أحاقت بعملية مقايضة الأسـلحة والرهائن...

لكن الجميع يرغب فى العمل والتعاون من جديد كالأتى :

أ - أمريكا تريد أموال الخومينى لدفعها فى الفناء الخلفى ثمناً للرصاص الـذى يطلق فى نيكاراجوا وتريد تحرير الرهائن فى لبنان بحيث يتم كل ذلك بعيدا عن الكونجرس والشعب الأمريكي.

ب - إيران تواقة لعودة التعاون ولكن بكل الحيطة والشك.

ج - إسرائيل تريد الأموال الإيرانية الهامة.

ملحوظة : لا مانع هنا من السـير فى الطرق خلف الخلفية والسـير نحو قلب نظام الحكم فى طهران فهو يسير فى مجراه الطبيعى «وسبحان الله وهـل هذا الأمر لدرجة تصريح كيمحى فى التليفزيون البريطانى فى فبراير من نفس العام بأنه ينبغى على إسـرائيل والغرب تشـجيع حدوث انقلاب فى طهران ثم ظهر «نيمرودى» نفسـه من خلال B.B.C ليقول إن عملية الانقلاب ستكون أمراً سهلاً وضرورياً جداً».

المرحلة الثانية من التعامل الخلفى :

للدوافع السابق ذكرها بدأ الإعداد للمرحلة التالية :

أولاً : فى جناح بفندق «هايد بارك» فى لندن ذى ٦٠٠ دولار فى الليلة قام «خاشقجى» بتقديم «نيمرودى» وشفايمر» إلى رجل إيرانى يدعى «ساسروس هاشـمى» وقال خاشقجى» إن هاشـمى رجل صاحب نفوذ فى طهران وهو ابن عم «على أكبر هاشمى رافسنجانى» رئيس البرلمان الإيرانى وهو الرجل الثانى فى السـلطة فى طهران فثم أصبح بعـد ذلك الحاكم رقم واحد فى طهران وقال لهم «هاشمى» إنه مكلف من قبل المسئولين الكبار فى الحكومة الإيرانيـة ببحث إمكانية تجديد الاتصالات مع الغرب ولكن النصيحة كانت أنه يجـب أن يدخل من باب إسـرائيل وانضم لفريق العمـل «جوربانيفار» وهو رجل أعمال إيرانى مسـتقر فى هامبورج ومكلف من قبل رئيس الوزراء الإيرانى بمتابعة تحسين العلاقات مع الغرب وإسرائيل مرة ثانية..

ثانياً : طار «هاشـمى» و «جوربا» كما سماه الإسرائيليون إلى إسرائيل لمقابلة شـيمون بيريز بشأن إمكانية استئناف العلاقات مع إيران وموافقة أمريكا على بيع أسـلحة جديدة لم توافق عليها سـابقاً.. وبعد اللقاء كتب عن «هاشمى» ابن عم رئيس إيران الآتى :

١ – رجل ثرثار وعلى اسـتعداد واضح لعقد صفقات لتسـليح إيران وملء جيوبه الخاصة.

٢ – يفتقر إلى الحنكة السياسية.

٣ – له سمعة سيئة ، ومعلوماته لمن يدفع أكثر.

٤ – كل أجهـزة الأمـن الشـرقية والغربية تعاملت معه ولا تريد الموسـاد التعامل معه.

ثالثـاً : بعد عدة مراوغات من الطرفين الإيرانى والإسـرائيلى طلبت إيران صواريخ تاو من إسـرائيل تقدر بعدة مئات منها على أن يكون سـعر

الواحد حوالى عشرة آلاف دولار وبالإضافة إلى ذلك السعر تريد إسرائيل تقريراً مفصلا عن مسرح الأحداث السياسى فى إيران ويرسل صورة منه إلــى أمريكا وكتب العميل الإيرانى التقرير بصورة رائعة ومذهلة أعجبتهم وصنف الاتجاهات فى إيران بثلاثة اتجاهات الاتجاه الأول وهو يتبع الجيش والشرطة والبرلمان والاتجاه الثانى المتشدد ويجب القضاء عليه أما الاتجاه الثالث فيجب امتصاصه واستيعابه وتفاصيل الاتجاهات الثلاثة بالأسماء محددة بالوثيقة أو التقرير»..

رابعــاً : استجاب «روبرت ماكفرلين» مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى لإمكانية القيام بجهود ســرية مشتركة لإعادة الاتصالات مع إيران وتم إرســال «مايكل ليدين» وهو مستشــار لشئون الإرهاب والشرق الأوسط للإشــراف على تلك الاتصالات وذلك لأهمية أحد الرهائن وهو «ويليام باكلى» رئيس وكالة المخابرات المركزية فى بيروت الذى كان يتعرض لتعذيب عنيف.

خامســاً : قامــت طائرة نفاثة بنقل ٥٠٨ صواريخ تاو إلى إيران ودفعت إيــران فى المقابل خمســة ملايين دولار فقط وتم ذلــك على رحلتين وتم إطلاق ســراح الرهائن ومعهم «القس الأب بنيامين فير» وهنا بدأت بوادر التعاون الخلفى تؤتى ثمارها..

سادســاً : كان نجــم وحلقة الاتصــال فى نجاح هذه المرحلة شــخصاً يدعــى «اميرام نير» وقد ولــد عام ١٩٥٠ وبدأ حياته مراســلاً حربياً ثم تطوع فى جيش إســرائيل لمدة عام واحد وكان برتبه ليفتنانت كولونيل» ثم عمل مساعداً لشــيمون بيريز وحصل على الدكتوراه من مركز الدراسات الاســتراتيجية بتل أبيب وأصبح خبيراً فى شــئون الإرهاب ثم تولى قيادة «شــين بيت» وأشــهر عملياته القبض على ســفينة قبل نزولها إلى شاطئ تــل أبيب وكان بها فلســطينيون.. ولكى نذهب بســرعة إلى نهاية المرحلة الثانيــة، فإن الصحافة والرأى العام الأمريكيــين طلبا معرفة مدى تورط

الرئيــس الأمريكى.. ووجد المحققون أن الرئيــس الأمريكى ريجان فوض بعض مسئولياته إلى مجموعة من المعاونين وتم إرغام هؤلاء على الاستقالة واقلت رجل واحد من لجنة التحقيق المسماة لجنة «جون تاور» ومن جلسات الاســتماع بالكونجرس ولم يكن هذا الشخص سوى «جورج بوش الأب».. وانتخب بوش الأب رئيســاً لأمريكا وكان الشــخص الوحيد الذى بمقدوره تدمر بوش هو «اميرام نير» السابق التنويه عنه آنفاً والذى مات قبل أن يتم عامة ٣٨ فى طائرة صغيرة كانت متوجهة إلى مكســيكو سيتى.. والحقيقة أن أميــرام نير التقى مع بوش الأب فــى فندق الملك داود بالقدس وأطلعه على الصفقة الجارية مع إيران وكل شــئ ممكن وكل شــئ مباح ولكن إلى متى؟؟؟!!.



الفصل الثانى

معركة الملف النووى الإيرانى..

«طبق الأصل» من الملف النووى الإسرائيلى!

أعلنت وكالات الأنباء عن تقرير صنف «سرى للغاية» ولكن صحيفة هآرتس أعلنت خطوطا عريضة منه تتضمن «أن دولا شرق أوسطية ستحاول الاقتداء بإيران فى السعى لامتلاك أسلحة نووية، وللحافظ على سرية البرنامج النووى الإسرائيلى لمواجهة التحديات الاستراتيجية خلال السنوات العشر المقبلة»... وإلى هنا ، وعندما أجد مثل هذا الخبر يتوقف ذهنى عن الاسترسال ليتأمل الخبر ورجعت إلى أوراقى لأقرأ وثائق البرنامج النووى الإسرائيلى ووجدت كل الحق عندهم ، فالبرنامج يحوى الكثير وقد استفادت منه إيران فى التعامل الدولى والخططى تماماً وبكل دقة خطوة بخطوة وذلك من أكبر الأخطاء من الناحية الفنية التى ارتكبتها إسرائيل فى حق نفسها وكان هذا الخطأ هو الغرور والثقة.. الغرور فى أنها أنهت عملاً لا يستطيع أحد أن ينهيه أو يبدأ فيه، لأنه لن تسمح له الدول الكبرى بذلك فيجب التفاخر بثقة وليحبط الآخرون، ومن الناحية الأخرى الظروف الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى لن تسمح لأحد بدخول النادى النووى.

ومن هنا جاء الخطأ الإسرائيلى والذى دفعهم للاعتراف به بعد تأمل البرنامج النووى الإيرانى والتعامل مع مختلف دول العالم ومواجهة الضغوط الدولية، وسوف تلاحظ عزيزى القارئ ذلك بعد قراءة الملف الإسرائيلى. ومن ناحية أخرى قال أحد الخبراء السياسيون إن البرنامج النووى الإسرائيلى بدأ مع البرنامج النووى المصرى لكن هذا نوع من الافتراء وجلد الذات، والحقيقة كما أعلنتها إسرائيل فى وثائق برنامجها

النووى أن ذلك بدأ قبل مصر بسنوات كثيرة وسوف نعرض صفحات الملف بكل دقة كما أعلنتها إسرائيل فى السابق ودون أن تتوقع كل هذه المتاعب. ولقد استفادت إيران من كل كلمة أو حرف فى هذا الملف.. عزيزى القارئ، دفعنى لعرض الملف النووى الأسباب سالفة الذكر.

المرحلة الأولى «ملحوظة» : وتبدأ هذه المرحلة بتاريخ وللدقة عزيزى القارئ أرجو المعذرة فى ذكر بعض الألفاظ فهى من وجهة النظر الإسرائيلية وحتى يكون العرض أمينا ودقيقاً.

أولاً : بعد مرور سبعة شهور فقط بعد الاستقلال استدعى رئيس الوزراء الإسرائيلى خبيراً من فرنسا يدعى موريس سوردان ووصفه بن جوريون فى يومياته بأنه بانى الفرن النووى الفرنسى.

ولد «موريس سوردان» يهوديا فى القرم الروسى ١٩١٢ وانتقل إلى إسرائيل تحت اسم موشى سوردان ولم يستطع التأقلم فى المجتمع الإسرائيلى الجديد فذهب إلى فرنسا ودرس الفيزياء وعمل بعد الحرب العالمية الثانية مع لجنة الطاقة النووية فى باريس والتى كانت تقوم بإنتاج القنبلة النووية الفرنسية. وكان الهدف أو الفكرة من بن جوريون بسيطة للغاية وقوية أيضاً «أن امتلاك إسرائيل الطاقة النووية سيعوض حجم إسرائيل الصغير ومواردها البشرية الضئيلة». ومن وجهة نظر ديان قال «نحن نحتاج إلى جيش صغير وكفء ومحترف مع أسلحة نووية للمواجهة العامة» يعنى بدأ الموضوع بفكرة وهدف.

ثانياً : نتيجة ما سبق طلب من المستشارين العلميين شراء كل مطبوعة متاحة فى هذا المجال وإقامة علاقات مهنية واجتماعية مع علماء الدول التى يعملون فيها، وطلب من العلماء الذين يذهبون للخارج فى إجازة أو بعثات علمية أو بحثية الحصول على الكتيبات والخطط والمطبوعات.

ثالثاً : بدأ التطبيق العلمى والبحثى فى أول مفاعل نووى بحثى صغير حصلت عليه إسرائيل من أمريكا طبقاً لبرنامج الذرة من أجل السلام

تحت رعاية الرئيس الأمريكى دوايت أيزنهاور، وقدرة هذا المفاعل خمسـة ميجاوات، وأقيم فى «ناحال سـوريك» على مسافة عشرة أميال جنوب تل أبيـب ومن هنا كانت الحقيقة الأولى والتاريخ.. أن الناحية النظرية بدأت فى نهاية عام ١٩٤٩ بدراسـات نظرية ومطبوعات بحثية وفى عام ١٩٥٥ بدأ البحث العلمى والفعلى فى المفاعل الصغير الأول المهدى من أمريكا.

رابعاً : وفى نفس العام اقتنص شيمون بيريز فرصة للحصول على شئ أكبر يمكن أن يأتى من فرنسا ! ومن أول أبريل عام ١٩٥٦ أصبحت مطالبة بيريـز بمفاعل نووى جزءاً متمماً للتواطؤ السـرى بين الدولتين فى حرب السـويس عام ١٩٥٦ جاءت نقطة التحول فى ٢١ سـبتمبر عام ١٩٥٦ فى فيلا ريفية على مسافة ما يقرب من مائة ميل جنوبى باريس تقع بين مزارع فرنسـية اجتمع هناك بيريز مع بورج مونورى وزير الدفاع الفرنسى الذى كان مشـغولاً بالتخطيط للهجوم على مصر، وكان هناك شك فرنسى فى نوايا إسـرائيل للاشـتراك فى العدوان الثلاثى وباسم الحكومة الفرنسية عرض وزير الدفاع على الإسـرائيليين مفاعلا نوويا ثمنا للاشـتراك فى الحرب على مصر. وللمرة الأولى فى التاريخ الإنسـانى وافقت دولة على تقديم الخبـرة الفنية النووية إلى دولة أخرى بدون الاحتياج إلى ضمانات أو القيام بعمليات تفتيش.

وإلى هنا جاء دور بن ناتان والذى تم اسـتدعاؤه من جيبوتى حيث كان يعمل بغطاء رئيس شركة اللحوم الواردة إلى إسرائيل والإشراف على ذبحها حسب الشريعة اليهودية. وفى الحقيقة كان يعمل رئيس مركز الموساد فى جيبوتى ومعه أجهزة التنصت الحديثة التى أعطتها فرنسا وأمريكا لإسرائيل وحاول بن ناتان التأثير على الحكومات الفرنسـية المتعددة للحصول على مفاعل أكبر من المتفق عليه ومن حسن حظ إسرائيل أن بورج مونورى تولى رئاسـة الوزراء، وبعد رحلات مكوكية عديدة لبيريز تدخل مونورى رئيس الوزراء بعد اقتراع فى مجلس الوزراء الفرنسى وفى آخر يوم له فى منصبه قام فـى ١٩٥٧/١٠/٣ بالموافقة وتوقيع اتفاقيـة وبتوقيع وزير الخارجية

بينـــو وهذه الوثيقة كانت بالغة الســـرية، وحصلت بمقتضاها على مفاعل نووى بقدرة ٢٤ ميجاوات إلى جانب الفنيين والخبرة اللازمة، وأبرق بيريز إلـــى رئيس الـــوزراء الذى رد عليه : تهانى على إنجـــازك الهام وحدث فى إســـرائيل جدل كبير وممانعة من جانب ســـبعة من لجنـــة الطاقة النووية والبالغـــين ثمانية وكذلك جولدا مائير وزيرة الخارجية لكن الموضوع غلفته السرية لدرجة أنها لم تتفجر فى العلن أبدا! وللعلم لم يبق فى اللجنة غير بيرجمـــان كعضو وحيد فى لجنـــة الطاقة النووية وإلى هنا بدأ العمل على حل المشـــكلات الفرعية والمواد اللازمة الأخرى، فأنشاء بيريز وكالة سرية للموضوعـــات النووية تحولت إلى وكالة لاكام للمخابرات العلمية بعد ذلك وتولاها بنيامين بلومبيرج وكان بلومبيرج الرجل المناسب فى المكان المناسب لضمان أنه ســـيظل سرا وكذلك حرفية العاملين فى هذا المشروع ولمراقبة جـــدارة العاملين فيـــه بالثقة والاعتماد وتم نقل مكاتـــب «لاكام» من وزارة الدفاع إلى مبنى فى شـــارع كارلباخ فى قلب تل أبيب، ووســـط هذا الجو المشـــبع بالسرية كانت هناك مشـــاكل أمنية عديدة وتم إنشاء المفاعل فى ديمونة بصحراء النقب وبقيت بعض المشاكل الفنية حيث علم ديجول رئيس فرنســـا بتفاصيل الموقف وأبلغ إســـرائيل بعدم إرسال كميات إضافية من اليورانيوم المخصب وبعض الأجهزة الفنية الباقية بعد وضوح نية إسرائيل فى أن المفاعل للســـلاح النووى وليس للطاقة الســـلمية كما زعمت، ولكن إســـرائيل لم تيأس فقد ضحـــت بمصدر معلومات ثمين فى فرنســـا كان يمدها بـــكل ما تحتاجه من معلومـــات ولكنه أبلغ إســـرائيل بنية كولونيل فرنســـى بتجهيز شخص عربى لاغتيال ديجول. وباعت السر إسرائيل إلى ديجول الذى طلب معرفة مصدر المعلومات بنفســـه وتم له ما أراد وباعت إسرائيل الجاسوس وتأكد ديجول من المعلومة، وأخيرا وافقت فرنسا على استمرار التعاون وعودة المدد النووى من جديد وبقى شئ واحد حرج للغاية فى المفاعل وخافت فرنســـا أن تعطيه لإســـرائيل بصفة رسمية خوفا من أمريكا التى تتعاون مع فرنســـا بشـــكل كبير فى مجال التكنولوجيا النووية

ولكنها أوحـــت لها بنظرية إغماض العين عن الشـــركة التى تقوم بتصنيع هذا الجزء الهام وهى شـــركة سان جوبان والتى تورد هذا الجزء للمصانع النووية العســكرية وحصلت إســـرائيل على هذا الجزء الهام من الشـــركة ودارت العجلة وبدأ العمل الفعلى فى ديمونة.

المرحلة الثانية : وهذه المرحلة تعتبر هامة بالنســبة للأحداث الحالية حيث إنها توضح كيف أدارت إســـرائيل معركة المفاعل النووى على الجانب السياسى والدولى الذى سارت عليه إيران حتى الآن خطوة بخطوة وبطريقة مذهلة.. وكأنها تقول من سار على الدرب وصل.

أولاً : وفى عام ١٩٦١ أبلغ بن جوريون رئيس الوزراء الإسرائيلى كنيدى فى البيت الأبيض أن الدولة اليهودية تعكف على استخدام الطاقة النووية وليــس على إنتاج قنبلة نووية لكنه لم يبتلع تلــك الرواية، وفى عام ١٩٦٣ اســتدعى الرئيس جون كنيدى شـــيمون بيريز فى المكتب البيضاوى وقال كنيدى أنــت تعلم أننا نتابع باهتمام كبير أى تطــور للإمكانية النووية فى المنطقــة، فماذا يمكنك قوله فى هذا الشـــأن؟ وقال بيريز : نحن لن نكون البادئين بإدخال الأسلحة النووية إلى المنطقة ولن نكون أول من يفعل ذلك. وتكررت هذه العبارة لمدة عقود عديدة وحصلت إســـرائيل على مساعدات عســكرية كبيرة لكـــى تبطئ فى البرنامج النووى أى صفقة عســكرية فى مقابل الإبطاء شـــملت طائرات فانتوم وسكاى هوك وحل الأمريكيون محل فرنسا كمورد رئيس لأسلحة إسرائيل.

ثانيــاً : عندما حاول «جون هادين» رئيس مركز المخابرات المركزية فى إســـرائيل الاقتراب ورؤية مفاعل ديمونة بنفســـه منعته إسرائيل وبطريقة مكشوفة وواضحة.

ثالثاً : اكتشــفت الـ (CIA) أن إســـرائيل تتوجه لإنشاء قوة نووية فى عرض البحر تتمثل فى أربع غواصات تكون فى عرض البحر حالة تعرض ديمونة للضرب المباشر.

رابعــاً : بــدأت عمليات الاســتكمال من كافة أنحاء العالم كلما تيســر ذلك وبطرق مشــروعة وغير مشــروعة وصلت إلى حد السرقة ومنها فى الطرق المشــروعة موافقة حكومة النرويج على بيع ٢١ طنا من الماء الثقيل لإسرائيل.. «زلمان شابيرو» عالم كيمياء ولد عام ١٩٢١ فى أوهايو ولكنه من أصل يهودى حصل على الدكتوراه فى الكيمياء عام ١٩٤٨ وعمل لحســاب شــركة «وستنجهاوس» وساهم فى إنشاء أول غواصة نووية أمريكية وأنشأ بعد ذلك شــركة «نوميك» وهى شــركة للمعدات النووية فى أبوللو بولاية بنسلفانيا.. أخفى من سجلات الشركة ١١٠ أرطال من اليورانيوم المخصب أعطاها لإســرائيل.. وبعد تحقيقات لجنة الطاقــة النووية الأمريكية مع الشــركة لم تجد دليلا واضحاً!!! وأن الكمية خلال الفترة الســابقة تصل إلــى ٥٨٧ رطــلاً من اليورانيوم المخصب تكفى لصنــع ١٨ قنبلة نووية من الناحيــة النظرية، واعترف بعد ذلك «شــابيرو» بأنــه كان على اتصال مع «إفراهــام هرمونى» المستشــار العلمى لوكالة «لاكام» والمستشــار العلمى بسفارة إسرائيل بواشنطن.. وتركت أمريكا إسرائيل تفعل ما تريد مغمضة العــين والأذن والأنف بواســطة «جيمــس أنجلتون» صديق إســرائيل فى المخابرات المركزية؟!!.

خامســاً : بواسطة عمليات سرقة مخابراتية اشترك فيها «هرمونى» و «رافى إتان» من الموساد و «افراهام بندور» من شين بيت إلى مصنع نوميك مرة ثالثة والذى يمتلكه كما اسلفنا «شابيرو» عالم الكيمياء.

١ - شركة كيماويات ألمانية تدعى «أسمرة» قامت من خلال فروعها بشراء يورانيوم من شــركة بلجيكية اسمها «سوستيه جنرال دى مينارو» وتم شــحن اليورانيوم المخصب فى ميناء «انتويــرب» البلجيكى على متن ســفينة اسمها «شــيرزبيرج» تحمل علم ليبيريا واتجهت الشحنة إلى إســرائيل عبر سفينة أخرى إســرائيلية فى عرض البحر قرب تركيا وهذه السفينة مملوكة للموساد.

٢ – تم شراء اليورانيوم من جنوب أفريقيا.

٣ – قام البروفيسور «يوفال نعمان» بتدعيم صلته بالعلماء الأمريكان وزيارة معامل الأبحاث الأمريكية فى كل من «ليفرمور» قرب «سان فرانسيسكو» و «أوستن» بجامعة تكساس وحاول مندوب وزارة العدل إيقاف نشاطه وتدخلت «لاكام» مع المخابرات المركزية وتم دعمه ليستمر عمله وساعده فى الأبحاث إلى حد كبير البروفيسور «إدوارد تيللر» أبو القنبلة الهيدروجينية الأمريكية.

٤ – قامت فرنسا بدعم إسرائيل بصواريخ أرض ـ أرض من طراز «إم. دى. ٦٦) إلى صواريخ «لوتس» و «أريحا» لحمل رؤوس نووية ثم صواريخ بحر ـ بحر بعيد المدى.

٥ – تم سرقة ٨١٠ كرايترونات.. وهى أجهزة الكترونية يمكن استخدامها كأجهزة تفجير فى القنابل النووية وذلك من شركة «ميلكو أو كاليفورنيا» والتى يملكها «ريتشارد سميث» وهو يهودى أمريكى وأطلق سراحه بعد التحقيقات بكفالة قدرها مائة ألف دولار.

وفى النهاية أصبح من المعلوم بين المحللين المطلعين فى العالم أن مفاعل ديمونة له وظيفة عسكرية حققت هدفها وهو الانضمام للنادى النووى العالمى الذى لا يضم سوى مجموعة مختارة من الدول.. وبعد إعلان وتسرب المعلومات من أرشيف الموساد فى مختلف المحافل وبعد أن سارت إيران على نفس الدرب لم يعد أمام إسرائيل إلا قول الشاعر نزار قبانى.. لو أنى أعرف خاتمتى ماكنت بدأت.. والسلام ختام..

ملحوظة عزيزى القارئ.. إن صحيفة «هآرتس» التى أوردت الخبر وتتناقله وكالة رويتر للأنباء معناها بالعربية «الأرض» وهى صحيفة إسرائيلية يومية متوسط توزيعها اليومى ٦٥ ألف نسخة والعدد الأسبوعى ٧٥ ألف نسخة وأنشئت عام ١٩١٩ ومالكة هذه الصحيفة كتلة الإعلام «شوكين» وهذا للعلم فقط.



الفصل الثالث

الخطر الإيرانى بديلاً للخطر الإسرائيلى

كنت أود الاسترسال فى دوافع السياسة الأمريكية نحو التدخل الخارجى والذى من المحتمل أن يكون شرق أوسطيا أو عربيا وربما عربيا أفريقيا!! وما قد ينتج عن ذلك من تداعيات أولها الرغبة الملحة فى كيان جديد لمواجهة هذه السياسة الجديدة.. ولكن لم أستطع ذلك بإلحاح من الأحداث ونزولا على رغبات القراء عبر البريد الإلكترونى تطالبنى بحق القارئ وأمانة القلم للإجابة عن سؤالين أحسست معهما بقرب الروافد وربما اتصالها.. فعدلت عن مسار الحديث وأن اقتربت منه.. ولم أدخل فيه وإن مهدت له.. وعذرى فى ذلك هو الرغبة فى الحقيقة أيضاً ولو كانت عبر الروافد!.

السؤال الأول : هل تعتقد أن الديمقراطيين يريدون الحوار فعلا مع إيران؟ أم أنهم يستغلون هذه الورقة فى لعبة الانتخابات القادمة كى يربحوا أصوات الناخبين؟

السؤال الثانى : إذا فاز الديمقراطيون فى الانتخابات الرئاسية.. هل سيلتزمون بوعودهم بفتح حوار مع طهران ؟! أم أنهم سوف يقومون بتوجيه ضربة عسكرية لإيران إذا استمرت حكومة طهران فى مشروعها النووي؟! شكرا و نرجو الرد من حضرتكم..

عزيزى القارئ.. فى البداية وقبل الإجابة توجد عدة ملاحظات :

أولاً : يقول أحد خبراء السياسة الدولية فى مقال يومى «إن أغلب رموز حركة المحافظين الجدد فى أمريكا هم من اللوبى اليهودى.. ورغم أن الحركة عندما ظهرت قبل أكثر من ثلاثين عاما فى حقبة السبعينيات من القرن الماضى كانت تتكون من شباب ومفكرين سياسيين ينتمون للحزب

الديمقراطـــى وأصابهـــم الإحباط من الحرب فى فيتنـــام.. لكن معظمهم تحولوا إلى الحزب الجمهورى عندما اكتشفوا أن الرئيس «رونالد ريجان» يلتقى معهم فى التبشـــير ببناء قوة أمريكية قادرة على الهيمنة على العالم بعد ســـقوط الاتحاد الســـوفيتى وكان أبرزهم «بول وولفيتز» و «ريتشـــارد بيرل» و «فرانك جافينى» وغيرهم من المحللين الاستراتيجيين وقد اختفوا فـــى فترة حكم الرئيس «بيل كلينتون» ثم عادوا مرة أخرى فى ظل الرئيس «بوش» الابن..

ثانياً : فى مذكرات «جيمس بيكر» وزير الخارجية الأمريكى أثناء غزو العـــراق «أن كولين باول عندما أصبح رئيســـا للأركان والذى كما أوضحت كان يعارض فكرة الغزو المباشر ولكنه أيضاً كان يؤيد فكرة الخنق التدريجى عن قرب». ولكنـــه بعد اجتماع فى المكتب البيضاوى مع الرئيس الأمريكى خرج ليقول : «فهمت الآن ما يريده الرئيس» وهو «الغزو المباشر» ولكنه لم يعارض فى الحقيقة فكرة التدخل فى العراق كليا.

ثالثاً : أشار السيناتور «تشارلز شومر» من نيويورك فى برنامج «الطبعة الأخيرة» على شـــبكة (ســـى. إن. إن) إلى أن الديمقراطيين والجمهوريين ليســـوا قريبين إلى ذلك الحد من التوصل إلى حل وســـط بشـــأن مشروع تمويل الحرب فى العراق لكن هناك علامات مشجعة !!..

ثـــم أضاف.. «لا توجد أو تلوح فى الأفق علامات مشـــجعة على بادرة النصـــر.. إنهـــا حـــرب أهلية ونحن لا نملك الوســـائل لحل تلك المشـــكلة الكبرى..» بما يعنى أن الخـــلاف على الإدارة والنتائج فقط وليس المبادئ أو الأهداف..

وفى الحقيقة أن ما يتم فى زيارات من بعض أعضاء الكونجرس الأمريكى أو حتى أحد زعماء أو قادة لجانه ليس ضرراً بالسياسة الأمريكية أو بعيدا عنهـــا أو عمالة ضدها!! إن ذلك يتم وفقاً لقانون أمريكى وفوقه الدســـتور

الأمريكى وتغلفه اللوائح الأمريكية التى تحدد طبيعة وغطاء وسـقف عمل كل وظيفة من وظائف العمل السياسى فى الولايات المتحدة ومكملا لما يتم من اتصال مع كافة الأطراف أصحاب المشـاكل السياسـية أو حتى العداء السياسى والعسكرى.. و يتم هذا الاتصال من خلال طرف ثالث أو وسيط سياسـى ثم يأتى بعد ذلك التمهيد لاتصالات سـرية مباشرة أو معلنة مع الطرف نفسه!.

ويتم ذلك تحت عناية وأمام أعين السلطة التنفيذية الفعلية من أمريكا! فكيف يكون مسـتبعدا أو حتى مسـتغربا زيارة أحد زعماء الكونجرس أو قادة احـدى لجانه إلى دولة فى حالة خلاف مع الولايات المتحدة؟! إن كل ذلك سـواء الاتصالات السـرية أو العلنية أو عبر طـرف ثالث ما هى إلا اقتـراب من الحدث وأصحابه وحتى لا تسـقط معلومة أو تحجب رؤية.. وتتم الدراسة طبقاً للخوض فى مسرح العمليات نفسه وليس قريا منه.. ثم يوضع كل ذلك أمام اللجان والمؤسسات لتحسين الأوضاع أو تقدير الموقف بصورة قريبة من الدقة قدر الإمكان والهدف واحد ومعروف ومدرك أيضاً وهو «أن أمريكا فوق الجميع».

إن زيارة ديك تشـينى إلى المنطقة «الشرق أوسطية» وزيارته لأربع دول فيهـا إنما تعنى محاولة تثبيت دعائم نتائـج تم الوصول إليها فى المنطقة وفى إحساس شخصى بالأحداث فإنها تعنى محاولة تغيير موضع الألم فى الشرق الأوسط بعد أن تحول موضع الألم القديم إلى مرض مزمن ويسبب الإحسـاس بالصداع فى السياسـة الأمريكية فى الشرق الأوسط ومعوقا لها.. حيث تصطدم دائماً بالمعارضة والسلبية أو قريبا منها نتيجة الشعور بالريبـة مـن ازدواجية المعايير التـى تؤمن به وتقره السياسـة الأمريكية فى الشرق الأوسـط وبالنسبة للقضية الفلسـطينية والانحياز الكامل لما ترتكبه إسـرائيل فى المنطقة من تجاوزات وغض البصر عن الاستفزازات الإسرائيلية وعمليات الاغتيال والقمع والحصار للشعب الفلسطينى.

ومن هنا جاءت الفكرة الجهنمية فى السياسة الأمريكية بعد أن أعلنت إيران عن تطوير البرنامج النـووى الخاص بها.. وبدأت المعارضة العربية لفكرة المعاونة أو التعاون أو المساندة كما تريدها السياسة الأمريكية.

فلماذا لم تعارض أمريكا البرنامج النووى الإسـرائيلي؟ وكيف نعترض علـى البرنامج النووى الإيرانى قرب الحـدود العربية والأولى أن نعارض برنامجـا نوويا مكتملا ومنتهيا فى قلب الأمة العربية وعلى أرض مغتصبة منه ولا توجد نية لقبول حل وسط أو سلام نعرضه دائماً وترفضه إسرائيل دائما تحت عين وبصر أمريكى وأوروبى مستقر ومتيقن أيضاً وما كان ذلك إلا أن قـاد إلى البحث عن موضع آخر للألم يشـعر معه العرب بالتهديد ويتفق أيضاً معه العرب وأمريكا فى كونه عدوا مشتركا وتتحد معه الفكرة والتفعيل أيضاً لخدمة السياسة الأمريكية والإسرائيلية أيضاً!.

ومن هنا أرى أن زيارة «ديك تشـيني» نائب الرئيس الأمريكى الأسـبق للمنطقة لدعم فكرة تغير موضع الألم والاتحاد نحو هدف آخر لا يسـبب الإحـراج أو المعوقـات لها فى المنطقـة بعد أن نفد الصبـر العربى وبعد أن اسـتنفدت السياسـة الأمريكية كافة الوعود بقرب حل مشكلة الشرق الأوسـط والنزاع العربى الإسـرائيلى وخطوات وخطـط خارطة الطريق التى لم تعد مستسـاغة فى الشـارع العربى ولم تعد مقبولة أيضاً.. ورغم الدعم الأوروبى لها وفى حضور منسق السياسة الخارجية الأسبق للاتحاد الأوروبى «خافيير سولانا» ليعلن نبوءة الحل الجذرى لمشكلة الشرق الأوسط وعلى يديه الكريمتين وأنه عثر على المفتاح الذى ضاع قرابة خمسين عاماً مضت وهو «الإرادة السياسـية».. التى توفـرات الآن كما زعم وقال عند زيارته الأخيرة للمنطقة..! ثـم غاب فى أعماق أوروبا ولم يعد حتى الآن! ربما ضاع المفتاح مرة ثانية..! ومن هنا كانت السياسـة الأمريكية الجديدة «هيـا نتجه ونتفق نحو هدف واحد وهو الخطر الإيرانى بعيداً عن الخطر الإسرائيلى» وماذا بعد ؟!.

إننـــى أرى أن أمريكا كانت ترى وتراقب وتتبع أيضـــاً البرنامج النووى الإيرانى ولم يكن بعيداً عنها وعن كبريات الدول الأوروبية.. ذلك البرنامج الذى ســاهمت فى كثير مـــن مراحله بعض الشـــركات الأوروبية صاحبة التكنولوجيـــا النووية العالية والمتقدمة.. وكانت توافق على بيع قطع الغيار له وتراقب عملية الشحن والتوصيل ولو كانت صادقة فيما تفعل لفعلت مع النظام الإيرانى مثلما كانت تفعل مع نظام صدام حســين فى العراق حيث كانت تبيع قطع الغيار وتتبع الشـــحن وما أن تقترب الســفن من الشواطئ العراقية حتى يتم محاصرة الســـفن وتفتيشها والعودة بقطع الغيار وثمنها أيضاً للخزانة الأوروبية!! ثم ما أن ينتهى البناء فى المفاعل النووى العراقى حتى يهدم على من فيه!.

فلمـــاذا لم يحدث هذا مع البرنامـــج النووى الإيرانى فى طهران؟! فهل يقتنع أحد بأن كل ما حدث فى طهران كان بين ليلة وضحاها؟!.

إن الواضـــح والثابت أن كل ما تم كان تحت الإشـــراف والعين والرقابة الأوروبية والأمريكية.. والآن أصبـــح البرنامج النووى خطرا على المصالح الأمريكيـــة والعربية بل والأوروبية! و هدفاً مشـــتركاً يجب الالتفاف حوله فى موضع جديد للألم أرادته أمريكا فى الجسد العربى المريض بعد فقد الإحســـاس فى الموضع الأول وتحوله إلـــى ألم مزمن فقدت الصلاحية كل مقومات علاجه!.

ومن هنا عزيزى القارئ فإننى أرى أن أمريكا لن تضرب إيران فى الوقت الحالى أو القريب لأنها تســـتطيع أن تسبب ألماً شديداً للسياسة الأمريكية وقواتها وكذلك الأوروبية! وثانياً ســـواء تجمعت قواتها فى قواعد ثابتة أو مدافـــع عنها فى العراق فإن باقـــى القواعد فى باقى دول الخليج معرضة أيضاً للانتقام"ولا توجد حماية سلبية كاملة حتى الآن عسكرياً وعلمياً لمكان محدد بحدود وأسوار ثابتة والمقصود بالحماية السلبية هنا هو التجهيزات الهندسية والدفاعية.. فكل شئ من صنع الإنسان يمكن اختراقه بالإنسان

أيضاً! وأمريكا لا تســتطيع أن تغامر الآن بالأموال والمصالح وحتى الأرواح فى الشرق الأوســط بعدما حدث فى الأراضى العراقية وقبلها فى فيتنام وبيــروت والصومال وهى لا تريد أن يمتد إلــى باقى دول الخليج المجاورة ومصالحها وأموالها على أرضها والهيمنة الأمريكية لم تعد تتحمل عمليات تجميل إضافية!!.

والنتائج لما حدث ـــ عزيزى القارئ ـ واضحة إلى حد كبير حيث دعت كل تلــك التطــورات إلى حتمية كيان عربى جديد ومقاوم لتلك السياســة الأمريكية وتحســباً لغدر الأيام والظــلام الدامس فكانت الدعوة فى ليبيا إلــى كيان عربى جديد ذى عمق تاريخى يتــواءم مع الصراع المحتمل ضد السياســة الأمريكية وتحســباً لغدر ويكون بعمقه التاريخى عقائدياً أيضاً وفــى صيغة مواطنة مطلوبة ربما يتوافق أو يتواءم مع السياســة الإيرانية الجديدة فى المنطقة العربية وهى الدعوة إلى التسامح والتوافق بين مختلف المذاهــب الدينية والديانات المختلفة الأخــرى فى دعوة للتعايش والمواطنة أو بمنطق المثل الشــعبى «أنا وابن عمى على الغريب».. ولكن ضاعت ليبيا وضــاع نظامها بعد بقاء طال أربعين عامــا و ضاعت الفكرة أيضاً وبدأت فى المشــرق العربى وفى السعودية بالذات معالم القلق والتوتر.. ومن هنا ظهــرت بعض بوادر التفعيلات نحو مخاض جديد فى الشــرق الأوســط وربما يكون هذه المرة من داخله وبدوافعه ومعطياته وأهدافه ولهذا ســرد جديــد يحتاج أكثر من التفصيل نحــو البداية فربما نعرف النهاية (الربيع العربى)؟؟!.

وقد بدت الســخونة والحرارة فى الأحداث تبدو فى الأفق فقد أعلنت اليمن عن سحب سفيرها فى طرابلس للتشاور وهى بصدد سحب سفيرها من طهران بعد أن كانت ترحب بالوساطة الليبية بين الحوثيين وبينها مما يعنــى أن الأحداث بدأت ترتفع درجــة حرارتها فى القلب العربى أو قريباً منه واســتناداً ايضاً إلى عمق تاريخى وخلفية ومشاعر إيمانية بدأ يستعد لها كل طرف بدقة وخطوات محســوبة ومدروسة ولكنها أيضاً مسرعة فى

معدلها أكبر من القدرة على الاستيعاب أو التحمل وسقط أو كاد يسقط النظام فى اليمن أيضا؟؟.

عزيزى القارئ، لقد حاولت الإجابة قدر ما أملك أن أجيب مؤمنا بقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه «ليس كل ما يعرف يقال».. ولكننى أجبت فى حدود ما أملك.. وفى النهاية فإن البرنامج النووى الإيرانى لا يمثل تهديداً فعليا على الأمن القومى الأمريكى أو الأوروبى، وإيران تدرك ذلك تماماً أيضاً وبالتالى فلن يحتاج إلى مغامرة عسكرية جديدة وقد فكر النظام الباكستانى لحظة واحدة فى خلفيته النووية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر وبداية الحرب بين أمريكا وطالبان فقال مسئول أمريكى للرئيس الباكستانى السابق «برويز مشرف» وهو يطلب المساندة فى مواجهة طالبان «يمكن أن نعيدكم إلى العصر الحجرى فى دقائق معدودة» فقال النظام الباكستانى ألف نعم بدلاً من نعم واحدة..!!.

وفى النهاية أيضاً عزيزى القارئ فبعد فوز «ساركوزى» فى الانتخابات الفرنسية فإن الرئيس «جورج بوش» تقدم المهنئين.. «ونتنياهو» اعتبره هدية لإسرائيل..!! وجاء باراك أوباما أيضا؟؟.

فهل هذا يعنى الاحتفال بوصول أول المشاركين فى اللعبة السياسية الجدد فى المنطقة؟! و وفق قواعد جديدة وبأشخاص جدد ترضى بالقسمة فيما بينها وتقول للآخرين «كن فيكون!!».

وقد طالعتنا كتب التاريخ بأن فرنسا تطلعت فى عهد نابليون إلى إيران باعتبارها حلقة رئيسية فى الطريق إلى الهند لتبنى الإمبراطورية الفرنسية على أنقاض الإمبراطورية البريطانية وتقتلع جذورها من الهند وأنه تم أيضاً فى عام ١٩٠٧ توقيع اتفاق بين روسيا وبريطانيا بخصوص تقسيم إيران إلى ثلاث مناطق رئيسية هى :

أ - القسم الشمالى ويكون منطقة نفوذ لروسيا.

ب - منطقة الجنوب وتكون منطقة نفوذ لبريطانيا.

جـ - المنطقة الوسـطى.. وتبقى منطقة عازلة بين المنطقتين السـابقتين وتخلت روسـيا عن هـذه الاتفاقية عام ١٩١٨ بسـبب قيام الثورة الشيوعية وإعلان الحكومة الروسية الجديدة نقض كل الاتفاقيات التى عقدت قبل قيام الثورة.. فهل سـيتم تقسـيم جديد وبلاعبين جدد ومعايير جديدة فى المستقبل؟!! لست أدرى؟

الفصل الرابع

دعوى للفهم
الملف النووى

أمانـــة القلم تدعو إلـــى الدعوة للفهم وما المعنـــى والمقصود بالبرنامج النووى والفرق بين النووى السلمى والنووى التسليحى وحتى لا يتوه المحلل السايســـى والقارئ بـــين المصطلحات العلمية وربما ينفعل أو يســـاق نحو تأييد قرار سياسى أو مهاجمته دون مرجعية علمية؟ وربما بتضليل علمى؟ ومن هنا وجدت من الواجـــب والأمانه فى العصر النووى أن يكون للمحلل والقارئ القدر العلمى الســـليم والمبسط والذى يسمح بالفهم الصحيح دون تزوير أو تضليل ولتكن حكمه الله هى نقطة البداية فى أن يكون أصغر ما فى الوجود أن يجعل الله فيه ســـر هلاك هذا الكون وما يحويه من طاقة ومـــا كان بعيداً عن الفهم كيف يمكن أن تقـــوم القيامه ويدمر الكون بأمر واحد ولحظة واحدة بأمر الله.

تعريف الذرة.. أصغر مخلوقات الله وأضعفها.. منها تتكون كل الأشياء صغيرها وكبيرها.. عظيمها وحقيرها.. جعل الله فيها سر سعادة البشرية إن أحســـنت اســـتغلالها.. وجعل فيها ســـر هلاكها ودمارها إن هى تعدت حدود الله فيها.

الذرة.. أصل الطاقة النووية.. ســـلمية أو عســـكرية.. تنفق من أجلها المليارات.. وتنشـــأ بســـببها الصراعات.. ورقة ضغط سياســـى فى بعض الأوقات، ووسيلة ردع ناجحة فى أوقات أخرى.

ماالطاقة النووية؟

الطاقـــة النووية هى تلك الطاقة الحرارية التى تتولد عن انشـــطار ذرة اليورانيوم ٢٣٥ أو غيرها من ذرات العناصر القابلة للانشطار.

ومامعنى العناصر القابلة للانشطار؟

توجـد العناصر فى الطبيعة علـى صورة من اثنتـين.. عناصر قابلة للانشطار وعناصر غير قابلة للانشطار.

والعناصر غير القابلة للإنشـطار : هى تلك العناصر التى تكون الذرة فيها ثابتة ومسـتقرة ولا تتغير بمرور الزمن مثل عناصر الحديد والنحاس والألومنيوم وغيرها.

أمـا العناصر القابلة للانشـطار : فهى تلك العناصر التى تكون الذرة فيها غير ثابتة وغير مسـتقرة وتخرج منها دائماً وباسـتمرار جسـيمات دقيقة وموجات من الإشـعاع تسمى (ألفا أو بيتا أو جاما).. وبمرور الزمن يتغيـر تركيب هـذه الذرة وتتحول إلى عنصر مختلـف تماماً عن العنصر الأصلى.. ومن هذه العناصر اليورانيوم ٢٣٥.

يقال أن أحد العناصر يوجد على صورة نظائر.. فما تلك النظائر؟

هنـاك بعض العناصر توجد فى الطبيعـة على عدة صور بعضها قابل للانشـطار والبعض الآخر غير قابل للانشـطار.. فى هـذه الحالة فإننا نسمى تلك الصور المختلفة للعنصر الواحد (النظائر).. ومثال ذلك عنصر اليورانيوم الذى يوجد فى الطبيعة على صورة نظيرين.. **الأول** : اليورانيوم ٢٣٥ القابل للانشطار **والثانى** : اليورانيوم ٢٣٨ غير القابل للانشطار.

إذا كانـت (النظائر) هى صور مختلفة لنفس العنصر فما الفرق بينها؟ وما السبب فى أن بعضها قابل للانشطار والبعض الآخر غير قابل له.

لكى نعرف كيف تنشـطر الذرة فإننـا يجب أن نعود لنتذكر معاً تركيب الذرة ومم تتكون.

تتكون الذرة من جسـم كبير يسمى (النواة) تدور حولها أجسام صغيرة جداً تسمى (الإلكترونات) ذلك فى مدارات مختلفة تماماً كما تدور الكواكب فى المجموعة الشمسـية حول الشـمس كل فى مدار مختلف عن الآخر..

وهذه الإلكترونات تحمل شحنات كهربية سالبة. ويوجد داخل النواة نوعان من الأجسام أكبر حجماً وأثقل وزناً من الإلكترونات.. **النوع الأول** : يسمى (البروتونات) وهى تحمل شـحنات كهربية موجبة ويسـاوى عددها تماماً عدد (الإلكترونات).. **والنوع الثانى** : يسـمى (النيوترونات) وهى تتساوى تقريبـاً مع البروتونات فى الحجم والـوزن.. وهى متعادلة أى لا تحمل أياً من الشحنات الكهربية.

ويطلـق على عـدد البروتونـات فى النـواة (العدد الـذري) أما عدد البروتونـات مضافاً إليه عدد النيوترونـات فيطلق عليه (الوزن الذرى) أو (رقم الكتلة).

والفرق والوحيد بـين نظائر أى عنصر هو فى عدد النيوترونات داخل (النواة). أما عدد البروتونات وعدد الإلكترونات فهى متسـاوية فى جميع النظائر.

وعلى سبيل المثال : عدد البروتونات وعدد الإلكترونات فى اليورانيوم ٢٣٥ القابل للانشـطار واليورانيوم ٢٣٨ غير القابل للانشطار متساو وهو (٩٢).. أما عدد النيوترونات فهو المختلف بينهما حيث يبلغ فى النوع الأول (١٤٣) نيوترون وفى الثانى (١٤٦) نيوترون.

كيف تنشطر الذرة؟

إذا قذفنـا الذرة فى النظير القابل للانشـطار بأحـد (النيوترونات) اخترق الذرة ووصل إلى قلب النواة وتسبب فى انفجارها وانشطارها ونتج عن ذلك ثلاثة أمور:

الأول : انشطار الذرة إلى شطرين كل منهما عبارة عن عنصر جديد.

الثانـى : تولد طاقة حرارية عالية.. وهـى الطاقة التى كانت تحتفظ بأجزاء الذرة متماسكة.. فلما انشطرت الذرة تحررت تلك الطاقة وانطلقت خارجها.

الثالث : خروج بعض النيوترونات من النواة المنشطرة وانطلاقها لتصيب ذرات جديدة من نفس العنصر فتؤدى إلى انشطارها وتوليد طاقة وانطلاق بعض النيوترونات وهكذا.

وما المفاعل النووى؟

بداية.. فإن المفاعلات النووية تعتمد على قاعدة أن الانشطار النووى يؤدى إلى توليد نيوترونات حرة وطاقة حرارية عالية يمكن الاستفادة منها فى مجالات مختلفة.

ويتكون المفاعل النووى من غرفة مصنوعة من مادة عازلة لا تسمح للنيوترونات بالنفاذ أو الهرب منها إلى الخارج إلا فى حدود ضيقة للغاية وتسمى هذه الغرفة (قلب المفاعل).

يوضع داخل هذه الغرفة ؛الوقود النووى) المستخدم فى المفاعل.. وهو عادة ما يكون مادة اليورانيوم المخصب التى يتم تشكيلها على هيئة (قضبان) طويلة أو (صفائح) تجمع مع بعضها على هيئة (حزم).. ويتم الاحتفاظ بهذه الحزم فى قلب المفاعل النووى ويتم ملء قلب المفاعل بالماء الثقيل أو الماء الخفيف تبعا لنوع الوقود المستخدم ويتم تغطيس هذه الحزم فيه للإبقاء عليها باردة عندما يبدا التفاعل وانشطار ذرات اليورانيوم وانطلاق الطاقة الحرارية الهائلة وفى بعض أنواع المفاعلات يتم استخدام غاز ثانى أوكسيد الكربون للتبريد بدلاً من الماء ويسمى ذلك الماء أو الغاز المستخدم فى تبريد قلب المفاعل باسم (المبرد) وللتحكم فى كمية الطاقة الكلية الناتجة عن انشطار ذرات اليورانيوم داخل قلب المفاعل يتم استخدام (قضبان التحكم) وهى عبارة عن مادة ذات شراهة عالية لامتصاص النيوترونات الناتجة عن انشطار الذرات مثل مادة (الكادميوم) ويتم تحريك قضبان التحكم إلى الأسفل وإلى الأعلى بين قضبان الوقود لتقليل او زيادة التفاعل النووى.

فكلما تم تغطيس قضبان التحكم إلى الأسفل امتصت قدراً أكبر من النيوترونات المتحركة بين الذرات فيقل عددها فى قلب المفاعل ويقل

معدل انشطار الذرات وبالتالى يقل التفاعل النووى، وفى المقابل فإذا أردنا زيادة التفاعل فإنه يتم رفـع قضبان التحكم إلى الأعلى فيقل امتصاصها للنيوترونات المتحركة بين الـذرات فيزداد عددها فى قلب المفاعل ويزداد معدل انشطار الذرات ويزداد التفاعل النووى.

وكيـف تتولـد الطاقـة الكهربائية مـن انشـطار الذرات فـى المفاعل النووى؟

عندما يبدأ المفاعل فى العمل وتبدأ ذرات اليورانيوم فى الانشطار تنطلق منها طاقة حرارية هائلة تؤدى إلى تسخين الماء المستخدم فى التبريد سواء كان الماء الثقيل أو الماء الخفيف إلى درجات عالية فيتحول إلى بخار يخرج من قلب المفاعل خلال منافذ خاصة محكمة إحكاماً شديداً فى قوة هائلة ليدير توربينات بسرعات عالية ينتج عنها توليد الطاقة الكهربائية ثم يعود ذلك البخار بعد تبريده وتكثيفه إلى قلب المفاعل.

ويوجـد أكثر من ٤٠٠ محطة نووية لتوليـد الطاقة تنتج نحو ١٧٪ من الطاقـة الكهربائية المسـتخدمة فـى العالم وهناك ثلاثـون أخرى تحت الإنشاء.

كذلك تسـتخدم المفاعلات النووية فى توليد الطاقة اللازمة لتشـغيل الغواصات والقطع البحرية الضخمة التى تحتاج لطاقة هائلة مثل حاملات الطائرات.

أنواع المفاعلات النووية :

هل هناك أنواع من المفاعلات النووية؟ وما تلك الأنواع؟

هنـاك نوعـان من المفاعلات النووية : مفاعلات للبحث وأخرى لتوليد الطاقة. وتسـتخدم (مفاعـلات البحث) لإجراء الأبحـاث العلمية وإنتاج النظائر المشعة لاسـتخدامها فى الأغراض الطبية والصناعية والزراعية وأغـراض التدريب وعادة ما تكون ذات قوة صغيرة وعلى مسـتوى العالم

هنـــاك ٢٨٤ مفاعلاً نووياً للأبحاث فـــى ٥٦ دولة منها مفاعلان فى مصر بقدرة (٢، ٢٢ ميجاوات) على التوالى.

أما (مفاعلات الطاقة) فتســـخدم لتوليد الطاقـــة الحرارية وعادة ما تكون ذات قدرات كبيرة وهى أيضاً عدة أنواع.

وما أنواع مفاعلات الطاقة :

لمفاعلات الطاقة أنواع يتميز كل منها بنوع الوقود والمادة المهدئة والمادة المبـــردة.. كما تختلف عن بعضهـــا فى طريقة التصميـــم والغرض منها.. وتعتبر الأنواع الرئيسية الأكثر استخداما بين المفاعلات النووية على النحو التالى:

١ - **مفاعـلات الماء الخفيف :** وتســـتخدم هـــذه المفاعلات الماء الخفيف ـــ وهو الماء العادى ـــ فى عمليتى التبريد والتهدئـــة.. وهذا هو وجه السهولة فيها أما وجه الصعوبة فهو أنها لا تعمل إلا بوقود اليورانيوم المخصـــب بنســـبة (٣-٥٪) وتوجد على قســـمين : (مفاعـــلات الماء المضغوط) و(مفاعلات الماء المغلى).. ومعظم محطات الطاقة النووية فى العالم من هذا النوع.

٢ - **مفاعـلات الماء الثقيل :** وتســـتخدم هذه المفاعـــلات الماء الثقيل فى عمليتى التهدئة والتبريد أو فى أى منهما حيث يمتاز الماء الثقيل بأنه قليل الامتصاص للنيوترونات.. ووجه الصعوبة فى هذه المفاعلان هو عملية تحضير الماء الثقيل.. أما وجه السهولة فيها فهو أنها تستخدم وقـــود اليورانيـــوم الطبيعى غير المخصب.. وكانـــت كندا أول من قام بتطويـــر وتصنيع هذا النوع من المفاعلات ولذلك تســـمى بمفاعلات (الكاندو) ومن الدول التى تستخدم هذه المفاعلات الهند وباكستان.

٣ - **المفاعلات المبردة بالغاز :** وتستخدم هذه المفاعلات غاز ثانى أوكسيد الكربون فى التبريد وهذا هو وجه الســـهولة فيها.. أما وجه الصعوبة فهـــو أنها لا تعمـــل إلا بوقـــود اليورانيوم المخصب بنســـبة (٢,٥ -

٣,٥٪) وكانــت بريطانيا أول من قام بتطويــر وتصنيع هذا النوع من المفاعلات.

٤ – **المفاعـلات المولـدة السـريعة :** وتعتبر هذه المفاعلات من أكثر الأنواع تطوراً حيث إن لها عدة ميزات منها :

– أنها تولد مواد انشطارية أكثر مما تستهلك.

– وتستخدم وقود اليورانيوم غير المخصب.

– ولا تحتاج إلى مهدئ.

كيف تتم عملية الانشطار النووى لليورانيوم ٢٣٥ فى قلب المفاعل؟

يكون الانشطار النووى فى أعلى درجاته حينما يتم استخدام اليورانيوم ٢٣٥ أو (البلوتنيوم ٢٣٩).

يبدأ تشـغيل المفاعل النووى بإطلاق فيض من النيوترونات على ذرات اليورانيوم فى قضبان الوقود فتنشـطر ويخرج مـن كل ذرة طاقة حرارية وعـدد اثنين أو ثلاثة نيوترونـات حرة تنطلق كالمقذوفـات لتصيب ذرات أخرى فتؤدى إلى انشـطارها وانطلاق طاقة جديـدة ونيوترونات جديدة وهكذا يظل ذلك الانشـطار المتوالى لذرات اليورانيوم فى سـرعات هائلة وينتج عنه كميات هائلة من الطاقة الحرارية.

ولا يحدث التفاعل النووى إلا إذا توفر ما يكفى من ذرات اليورانيوم ٢٣٥ بما يسمح بأن تسـتمر هذه العملية فى تسلسل تفاعلى يتواصل من تلقاء نفسه.. وتعرف هذه الكمية من ذرات اليورانيوم باسم (الكتلة الحرجة).

ومـاذا يحدث بعد أن يتم اسـتهلاك ذرات اليورانيوم ٢٣٥ فى قضبان الوقود؟

بداية يجب أن نعلم أن النيوترون عندما يصطدم بذرات اليورانيوم ٢٣٥ فإنها تنشـطر وتنتج الطاقة.. أما عندمـا يصطدم بذرات اليورانيوم ٢٣٨ فإن جزءاً منها يقدر بحوال ١٪يمتص النيوترون ويتحول إلى عنصر جديد

هو (البلوتنيوم ٢٣٩) ويستخدم فى تصنيع السلاح النووي. أما ما تبقى من اليورانيوم ٢٣٨ وقدره (٩٩٪) فإنه يبقى على حالة ويسمى (اليورانيوم المنضب).

وبعد استنفاد اليورانيوم ٢٣٥ فى الانشطار وإنتاج الطاقة فإنه يتم إخراج قضبان الوقود ويتم تخزينها فى بحيرات تبريد تقوم بامتصاص حرارة الوقود المستهلك وتخفيض درجة إشعاعيته ثم يتم دفنها نهائياً فى مدافن خاصة بالنفايات النووية أو تتم إعادة معالجتها لاسترجاع ما تبقى من اليورانيوم والبلوتنيوم غير المنشطرين لإعادة الاستفادة منهما فى تصنيع الوقود النووى مرة أخرى أو فى صنع الأسلحة النووية.

ما المقصود بالماء الثقيل؟

من المعروف أن جزئ الماء العادى يتكون من ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين ورمزه (يد٢ أ) أو (H_2O) ومن المعروف أن الهيدروجين له نظائر منها (الديوتريوم) وهو أثقل من الهيدروجين لأن النواة فيه تحتوى على بروتون ونيوترون بينما النواة فى الهيدروجين تحتوى على بروتون فقط.. والماء الثقيل هو ماء تم فيه استبدال ذرتين من الديوتريوم بذرتى الهيدروجين فأصبح تركيبة (D_2O) بدلا من (H_2O).. وأصبح أثقل وزناً.. ويستخدم الماء الثقيل فى عمليتى التبريد والتهدئة فى مفاعلات الماء الثقيل (الكاندو)، التى تستخدم اليورانيوم غير المخصب كوقود لها.

وما فائدة الماء الثقيل؟

يتميز الماء الثقيل عن الماء العادى بانخفاض معدل امتصاصه للنيوترونات المنطلقة من الذرات المنشطرة مما يؤدى إلى زيادة كمية النيوترونات الحرة المتدفقة على بقية الذرات بما يسمح باستخدام النسبة القليلة من اليورانيوم ٢٣٥ الموجودة فى اليورانيوم الطبيعى بكفاءة عالية.. كذلك فإن الماء الثقيل يعمل كمبرد لقلب المفاعل وينقل الحرارة ليحولها إلى طاقة بخارية. وتعتبر أعظم ميزة للماء الثقيل أنه يتيح استخدام اليورانيوم العادى غير المخصب كوقود للمفاعلات النووية.

دورة الوقود النووى :

وماهى (دورة الوقود النووى)؟

المقصـود مـن (دورة الوقود النـووى) هى المراحل التـى يتم تنفيذها بدءاً من اسـتخلاص خام اليورانيوم من الجبال ثم صناعة الوقود النووى يتخصيب اليورانيوم ثم التخلص منه بعد استخدامه؟

وما المقصود من (تخصيب اليورانيوم)؟

يحتوى اليورانيوم الخام على النظيرين اليورانيوم ٢٣٥ القابل للانشطار واليورانيوم ٢٣٨ غير القابل للانشطار وذلك بنسبة ٧, ٠٪ أى ذرة واحدة من اليورانيـوم ٢٣٥ مقابل ١٤٤ ذرة من اليورانيوم، ٢٣٨، وعملية (التخصيب) أو (الإثراء) هى رفع نسـبة اليورانيوم ٢٣٥ ويتم ذلك من خلال عدة طرق منها طريقة الطرد المركزى حيث يحول خام اليورانيوم إلى مسحوق أصفر يسـمى (الكعكة الصفراء) ثم إلى غاز يسـمى (سادس فلوريد اليورانيوم) يوضع فى أسطوانات تدور بسرعات هائلة فينفصل النظيران عن بعضهما حيث يمكن الحصول على اليورانيوم ٢٣٥ القابل للانشـطار بنسـب أعلى تـزداد مع تكـرار العملية حتى تصل إلى النسـب المطلوبـة وهى عادة ما تكون من (٢-٥٪) للاسـتخدامات السـلمية و (٩٠-٩٥٪) للاستخدامات العسكرية.

ما هى الشـواهد التى تميز بين برنامج نووى سـلمى وبرنامج نووى عسكرى فى أى دولة؟

عنـد قيام أى دولة بنشـاط واسـع فى مجـال تخصيـب اليورانيوم اعتماداً على الذات.. والإصرار على تصنيع الوقود النووى اللازم لتشـغيل مفاعلاتهـا النوويـة دون أى تدخل أجنبى. مع التكتـم على كل المعلومات الخاصة ببرنامجهـا النووى.. والوصول إلى هذه المرحلة بإتقان بالإضافة إلى توافر الكوادر العلمية النووية لديها.. فإن هذا يضع الدولة فى مصاف الدول القادرة على إنتاج سلاح نووى.

كذلك فإن قيام أى دولة بإقامة منشــآت لتصنيع الماء الثقيل واستخدام مفاعلات الكاندو التى تســتخدم اليورانيوم الطبيعى غير المخصب كوقود يضع الدولة أيضاً فى مصاف الدول القادرة على صنع سلاح نووى.

وما أوجه تميز الطاقة النووية على غيرها من أنواع الطاقة؟

هناك عدة أوجه للتميز منها:

١ - أن كميــة الوقــود النووى المطلوبــة لتوليد كميات كبيــرة من الطاقة الكهربائيــة أقل بكثير من كمية الفحم، أو البترول اللازم لتوليد نفس الكمية وعلى ســبيل المثال.. فإن طناً واحداً من اليورانيوم يولد طاقة كهربائيــة أكبــر مما تولده ملايــين البراميل من البتــرول أو ملايين الأطنان من الفحم.

كذلــك فبينمــا يحتاج توليــد (١٠٠٠ ميجاوات) إلــى ٢٠٠٠ طن من البترول فى محطات الكهرباء العادية فإنه يحتاج إلى كيلو جرام واحد من اليورانيوم فى المفاعل النووى.

٢ - إن مصــدر الوقود النووى (اليورانيوم) متوافــر الحصول عليه ونقله أمر يسير بينما مصادر الفحم والبترول محدودة وتتناقص ونقلها من مكان إلى آخر باهظ التكاليف.

٣ - أن الوقــود النــووى لا ينتج عنه عوادم أو غازات ضارة فى الهواء مثل أكاسيد الكربون والكبريت والنيتروجين بكل تأثيرها المدمر للبيئة.

٤ - إن الطاقة الشمسية كلفتها أكبر بكثير من تكاليف الطاقة النووية كما لايمكن توليدها بكميات تفى بالاحتياجات الضخمة للبرامج والمشاريع الصناعية الكبرى.

٥ - أن المحطــات النووية تشــغل مســاحات صغيرة مــن الأرض مقارنة بمحطات الطاقة الشمسية أو طاقة الرياح.



إيران والعرب



الفصل الأول

إيران .. ومصر

رغم توافر المعلومات وتعدد التصريحات على المستوى الشعبى وعلى لسان من يملكون أدوات التنفيذ والقرارات أيضاً ورغم عدم وجود مواجهات مباشرة بين الدولتين ولا يوجد صراع صريح أو مباشر أيضاً إلا أن الغموض يكتنف هذه العلاقة حتى فى بدايتها والتى تمتد قرون عديدة فى دروب التاريخ وأوصاله حتى العمق ومن هنا كان الحذر وكل الخطر فى الجوانب التحليلية لهذه العلاقة؟! وعذراً عزيزى القارئ وأعوذ بذلك من أضل أن أو أضل فالحركة بقدر العلم والمتيسر أوفر آماناً وصدق أيضاً؟! وأدعوك معى لمحاولة التأمل وأقصد التأمل فقط عند الوقوف فى معضلة فى التحليل أو تضاد فى التصريحات لأن ما يحدث خلف الأبواب المغلقة لم يخرج بعد!! ولا يريد أحد ذلك؟! والعلاقة فى البداية كانت مع الغزو الفارسى لمصر لفترة من الزمن لا يبدو فيها تأثيرات هامه أو باقية سوى بعض التأثيرات الثقافية التى انحصرت فى أساطير بلاد ما وراء النهر وما توارثناه فيها من أخبار تميل إلى الخيال فى طور حكايات الأجداد والآباء ولم تكن مؤثرة بالقدر إلا فى أغوار النفس والذكريات!! وتوالت الأحداث فى محاولات إيرانية للتقرب والدخول إلى أرض الشرق الأوسط وعمقه أيضاً وبالتالى فى القاهرة (قدر محتوم) وصل إلى حد زواج أبنه الملك أحمد فؤاد وأخت الملك فاروق ملك مصر فى هذا الوقت من الشاه محمد رضا بهلوى خاصة وأن الشاه رضا بهلوى شيعى المذهب وأسره محمد على سنيه المذهب؟! ولكن لم تستمر هذه الزيجة ولم تكن مؤثرة فى دعم الروابط بين إيران ومصر وعاد السكون والترقب من كلا الطرفين!! وجاءت ثورة يوليو وتغيرت معها سمه الأحداث بتيار ونداء القومية العربية وظهرت تيارات الاستقلال والثورات العربية التى تبنتها

القاهرة وأعلنت القاهرة وبشـكل رسـمى وعلنى (لم يعارضها أحد سوى البعـض القليل من الأنظمة العربية والمصالح الغربية التى تعارضت معها) ولكن لم ينكرها أحد؟! «بـأن حدود الأمن القومى المصرى يمتد إلى كافة الأراضـى العربية من المحيط الأطلنطى إلـى الخليج العربى» وهى نقطة هامـة كانت مفترق الطرق تـلازم معها التدخل المصرى لمسـاندة العراق بالفرقـة الرابعة المدرعة المصرية؟! وحرب اليمن ومسـاندة ثورة الجزائر وليبيا ونداء القضية الفلسطينية (معضلة العرب حتى الآن؟!) ... وهنا بدأ الاحتـكاك ولم تترك إيران الفرصة لتضيع منها وفقاً للمصالح أيضاً؟! مع ظهور «حلف بغداد «ومشاريع» الهلال الخصيب» لتقف مصر فى مواجهتها قدراً محتوماً أيضاً لتنتهى بالفشل وهنا بدأت إيران فى دعم علاقاتها مع إسرائيل (ولكن أيضاً دون اعتراف رسمى بها؟!) وعلق أحد ساسه إسرائيل على ذلك ٣٧ عاماً من العلاقات مع إيران ولم تعترف بنا!!)

وتوالت الأحداث فى مصر وانتقلت إلى عصر جديد وبتوجهات جديدة أيضـا بعد الفترة الناصرية الثوريـة الملتهبة مالت معها وبالطبع العلاقات المصريـة الإيرانية نحو الدفء والتواصل بين أنور السـادات وشـاه إيران ولكنها لم تصل فـى الحقيقة إلى تفعيلات مؤثرة بالقدر الكافى لأن عينه أيضا كانت تنظر وتراعى علاقاته مع دول الخليج العربى والمملكة العربية السـعودية؟! وجاءت الثورة الإسـلامية فى إيران لتخلع الشاه محمد رضا بهلوى وتطالب بمحاكمته فى إيران ولكن الحكم فى مصر (أنور السادات) وفر له الملاذ والعلاج والمثوى الأخير أيضاً؟! فى وقت ضاقت عليه الأرض بما رحبت وابتعد عنـه الأصدقاء والحلفاء لعدم الرغبة فى معاداة النداء الشـعبى الإيرانى والثـورة الجديدة بها؟! ثم تابع ذلك اتفاقيات السـلام مع إسـرائيل (كامب ديفيد) التى تعارض بشكل صريح مع توجهات الثورة الإيرانية الجديدة؟! وبعد حادث المنصة بالقاهرة (اغتيال السـادات) جاء حكـم الرئيس حسـنى مبارك «ولكنـه وجد العلاقـات الإيرانية المصرية وصلت إلى حد القطيعة وقطع العلاقات وكان متطلعاً أكثر نحو نظم الحكم

الخليجية والعربية السـعودية بطبيعة الحال وإيران صعدت بإطلاق اسم الإسـلامبولى (الذى اغتال السادات) على أحد شوارعها فى طهران؟! رداً على موقف السادات فى قضية أو أزمة إيواء شاه إيران بالقاهرة بالإضافة لرغبه سده الحكم فى مصر وعدم تحمل أعباء سياسية لا ترغب فيها ولا تجد ثمناً لها؟! وإن أبقت الحال على ما هو عليه بأسباب تبدو فى الحقيقة غيـر متوائمة مع العلاقات الدولية بين الدول ووصلت إلى الحدود الأدنى بمسـاندة النظام العراقى (صدام حسـين) فى حربة مع إيران ومسـاندة الإمـارات العربية فى مشـكلة جزر (طنب الصغرى ـ طنب الكبرى) وإن بدت فى روافد أخرى مع وجود البنك الإيرانى ـ المصرى وبعض الرحلات الجوية والتى سرعان ما انقطعت أيضاً؟! وسارعت الاتهامات المتبادلة بين القاهـرة وطهران باتهامات القاهرة لطهران وتورطها فى محاولة فاشـلة لاغتيال حسـنى مبارك فى إثيوبيا؟! ثم توالت الأحداث وتغيرت الظروف والمصالح والتوجهات أيضاً فى الشـرق الأوسـط وسـط تصاعد التهديد الغربـى والأمريكى بإمكانية ضرب إيران لمنع برنامجه النووى وبدى القلق فـى دول الخليج العربى تجاه إيران بعد انتهـاء الحرب العراقية الإيرانية وسـقوط نظام «صدام حسـين» واحتـلال (غزو) أمريكا للعـراق وبدأت مشاعر الخوف والتهديد فى الزيادة فى الخليج العربى بعد انسحاب الأعم والأغلب للقوات الأمريكية فى العراق (وإن بدت موجودة) بقدر التوازن بيد مسيطرة ولتبديد مشاعر الخوف الخليجية؟! ومع استمرار مظاهر التهديد الغربى والأمريكى والإسـرائيلى وزيادة العقوبـات والحصار على النظام الإيرانى زادت حدة التوتر فى الشرق الأوسط والخليج العربى بشكل أعمق سـاعد على ذلك بوادر ظهور «ثورات الربيع العربـى» واحتمالات التغيير والتوجهات والتى قد تخل بالتوازنات فى الشـرق الأوسط بكامله ومظاهر ذلك الطلبات العربية والخليجية بشكل وصل إلى حد الرعب والتسابق نحو شـراء الأسلحة التقليدية الحديثة من كل مكان فى بقاع الأرض (صفقات طائرات حديثه ودبابات وصواريخ بشـكل غير مسبوق؟!) وطالب عدد من

أعضاء البرلمان الكويتى الحكومة بأن تكون على أهبه الاستعداد لاحتمال توجيه ضربه عسكريه لإيران وقال أعضاء البرلمان إن الحرب لو اندلعت ستكون كارثية وبالتالى فلابد أن تكون هناك استعدادات تضع فى اعتبارها جميع الاحتمالات وأن تكون جميع أجهزة الدولة على أهبه الاستعداد لأى طارئ؟! ولا يختلف الأمر بالمرة فى باقى دول الخليج حيث سارعت عمان بشراء ٢٤ طائرة حديثة تحسباً للموقف وزادت باقى الدول بزيادة الروابط والاتفاقيات مع الجانب الأمريكى وقواعده العسكرية الموجودة بها؟! وعلى الصعيد السياسى (وأحداث الربيع العربى أمام الأعين غير الغافلة) قامت السعودية التى تتزعم مجلس التعاون الخليجى بضم الأردن والمغرب لمجلس التعاون الخليجى مع تسريب معلومات بمقترح احتمال دعوة القاهرة للمجلس أيضاً ولا أدرى كيف؟ وسارعت السعودية أيضاً بعقد اتفاقيات نووية (بدعوى السلمية) مع فرنسا وروسيا والأرجنتين وكوريا والصين وأنشأت مدينة الملك عبد الله للطاقة النووية والتى بموجبها تنشئ ما يزيد عن ١٦ مفاعل نووى بحلول عام ٢٠٣٠؟! وكل هذا كان روافد كما أرى من التحليل للدخول فى العمق ولم تترك إيران الفرصة تضيع منها فبدأت فى طرق مفتاح الشرق الأوسط من جديد؟! ومع القاهرة أيضا مع بوادر ظهور تيارات جديدة فى القاهرة بعد ثورة ٢٥ يناير وما تبعها من ظهور تيارات دينية قربت من سده الحكم فى مصر (الإخوان المسلمين - السلفية - الصوفية) بدعوات عديدة إلى طهران لزيادة التقارب مع القاهرة وكسر العزلة الخليجية (بزعامة السعودية) لكسر حاجز القلق والخوف من المد الشيعى وتقريب وجهات النظر وسد الخلاف بين المذهب الشيعى والمذهب السنى بإصدار فتوى بتحريم سب الصحابة والردود العاقلة والمقربة مع هذه الوفود استناداً لكتاب عن دولة آل البيت وفيه كلمة لفضيلة الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية يؤكد فيها أنه لا توجد فروق فى الأصول بين الشيعة والسنة أما الفروق فى الفروع فلا تتجاوز ٥٪ وهو ما يوجد مثله وأكثر بين بقية المذاهب الإسلامية؟ وأبدى سماحة آية الله علم الهدى

ممثل قائد الثورة الإسلامية بمحافظة خرسان وخطيب صلاة الجمعة بمشهد بأن الثورة المصرية سببت تقارباً بين الدولتين لهما علاقات ثقافية واقتصاديه واسعة منذ زمن بعيد داعيا أن تكون الثورة المصرية طليعة للأمة المصرية وأن تعود مصر إلى الريادة والمقدمة ودورها الريادى الطبيعى فى الشرق الأوسط وعلى المستوى الثقافى أعرب وزير الثقافة الإيرانى «محمد حسينى» عن سعاده الشعب الإيرانى لاستعاده مصر مكانتها فى العالم الإسلامى وتأثير ذلك على مواقفها من القضايا المختلفة وقالت وكالة «إرنا» الإيرانية للأنباء أنه أضاف فى العاصمة الفرنسية باريس «إن الإيرانيين يتابعون بلهفة أخبار الثورة المصرية وأنهم سعداء لما أظهرته الثورة المصرية من اهتمام بالغ بقضايا الشعب الفلسطينى المضطهد؟! «وإن بلاده راغبة فى تعميق العلاقات مع القاهرة؟! وعلى الجانب السياسى أكد وزير الخارجية الإيرانى (على أكبر صالحى) أن بلاده تتفهم شروط مصر لاستعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع مصر مشيراً إلى موافقة طهران على عودة العلاقات إلى مستوى السفراء فور موافقة القاهرة وأضاف بأن المصريين يرغبون فى الحصول على بعض الوقت لامتلاك القدرة على إدارة الوضع والتخلص من الضغوط السياسية القائمة؟! معرباً عن تفهمه لحجم الضغوط السياسية والداخلية التى تواجه مصر؟! وأوضح وزير الخارجية الإيرانى كذلك بأن عودة العلاقات بين البلدين ستفتح أبواباً جديدة مؤكداً استعداد بلاده زيادة وإرادات السياحة إلى مصر بنحو عشرة ملايين إيرانى سنوياً يخرجون للسياحة الدينية وزيارة المقامات والأضرحة فى مصر سنوياً وذلك فور موافقة الحكومة المصرية على ذلك فى منح التأشيرات اللازمة.. وأعلنت الحكومة الإيرانية عن استعدادها لفتح فرع لجامعة الأزهر فى طهران لنشر الوسطية الإسلامية السمحة؟! وتصريح أخر باستعداد إيران لضخ ما يقرب من مليار وواحد من عشرة دولارات استثمارات فى مصر تشمل مصانع وقطع غيار للسيارات وعلى الجانب العراقى أعلن نائب رئيس الجمهورية العراقية طارق الهاشمى «بأن الجميع

فـى العراق وفى الكثيــر من الدول العربية وفى ظــل حالة الفراغ العربى يتطلعون إلى عودة مصر لدورها وقيادة البوصلة العربية لأنها مؤهلة لذلك وهو قدرها التاريخى «وأعلن الرئيس أحمدى نجاد بأنه سوف يحضر إلى القاهرة فور دعوته لزيارتها؟! ولكن مشاعر القلق زادت بحدة فى الرياض بعد تولى الأمير «نايف بن عبد العزيز» ولاية العهد فى النظام السـعودى وأعلن أنه لا تفاهم جديد مع النظام الإيرانى؟! ولكن أيضاً طالعتنا وكالات الأنباء بعدها مباشرة بعكس ذلك حيث ذكر المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية أن وزير الاستخبارات «حيدر مصلحى» زار السعودية لأزاله سوء التفاهـم وبحث القضايا الأمنيـة دون الإدلاء بمزيد من التفاصيل وذكرت وكالة الصحافة السعودية أن «مصلحى» التقى بولى العهد ووزير الداخلية السـعودى الأميـر نايف بن عبد العزيز وانه تم التشـاور بخصوص بعض القضايا ذات الاهتمام المشـترك دون توضيح طبيعـة هذه القضايا؟! ... وطالعتنا وكالات الأنباء أيضاً أنه فى فترة سقوط النظام فى مصر وتونس ومـا تلاه من اضطرابات عمت المنطقـة دعا الأمير نايف كبار الصحفيين وكتـاب الأعمدة إلى عشـاء فى منزله بالريـاض؟! وبعد عدة جمل صعبه الذكر سـأله أحد الصحفيين عما إذا كانت المملكة على استعداد لتحسين علاقتها المتدهورة مع الأخوان المسلمين فى مصر الذين لاشك أن نفوذهم سـيصعد فى المرحلة المقبلة انتقد الأمير نايـف هذا الصحفى متهماً إياه بالتعاطـف مع الإرهابيين وظل يتحدث غاضباً حتـى الرابعة صباحاً عن المؤتمرات التى تسـتهدف عرش آل سعود؟! وحمل على الأخوان المسلمين وأنهم يتحملون المسـئولية عن الإرهاب العالمى ويـرى «أنهم خانوا المملكة التى استضافت قادتهم وحمتهم فى عصر جمال عبد الناصر لكنهم قاموا بعد ذلك بالترويج لأفكار سياسـية تتعـارض مع تلك التى تتبناها المملكة» وإلـى هنا عزيزى القـارئ انتهى بى التحليل للعلاقـات الإيرانية المصرية والتـى كما كنت أرى أنها ذات فروع وروافد ليسـت فى حوزة كلا البلدين وبقـدر كبير وعند الوقوف أمام معضلة منهـا كنت أتأمل .. وأتأمل فقط وأدعوك لذلك أيضا؟!.

الفصل الثانى

إيران والسعودية

إن العلاقة بين إيران والسـعودية لها سـمات خاصة لأنها تختلف فى الظاهـر عن العمق ونظراً لأهميتها وتأثيراتها العربية والإقليمية والدولية فهى بالتالى مطمع لتدخلات عديدة من أصحاب المصالح المتداخلة العديدة التـى ترتبط بالمكان والمكانة والمصلحة المادية والإسـتراتيجية والتى تعتبر الأعمدة الرئيسـية فى الصراع الدولى ولسـنوات عديـدة قادمة؟! وهذه العلاقـة لها روافد ومنابع وإخفاقات أثرت فيها بشـكل كبير لم يعد يؤثر على الدولتين فقط ... بل والشـرق الأوسـط بكامله ويمتد آثارها بالتالى والتبعية إلى الدول الإسلامية لتأثير كل منهما على بقعة من الأرض تحوى العديد من الـدول التى يحنو العديد منها إلـى التاريخ والجذور والعديد أيضـاً إلى المصلحـة والفائدة لطبيعته الخاصة وعـدم قدرته على البقاء وحدة فى حلبه الصراع الدولى بكل مشاكله وأزماته ..

خطأ فى التحليل والتشخيص :

حيـث يرى العديد مـن المحللين أن العلاقة تخضـع لاختلاف المذهب الشيعى الذى تنتهجه إيران مع المذهب السنى الذى تنتهجه السعودية...؟! وهو خطأ فى الدقة والتعبير والتأمل؟ وإلا فلماذا ساندت السعودية الأسرة الحاكمة الشـيعية فى اليمـن (الإمام أحمد) ضد التيار السـنى والثورى الناصرى فى حرب اليمن؟ ثم كيف ساندت النظام الحاكم بقيادة على عبد الله صالح السنى ضد جماعة الحوثيين الشيعية فى اليمن؟ ثم ساندت نظام صدام حسين السنى فى العراق ضد إيران الشيعية ثم عاودت المساعدة فى إسقاطه مما يتوافق بالطبع مع المصلحة الإيرانية الشيعية؟!!! ... إذا ليست الاختلافات المذهبية هى الأصل (ولكن لا ننكر وجودها؟!) لأن وجودها فى

الحقيقة سبق الدولة الإيرانية والسعودية أيضاً؟! و لكن كانت هناك صيغة وأسلوب للتعايش معها بقدر الاستقرار والرغبة فى ذلك (الاستقرار إلى حد كبير فى عهد شاه إيران؟!)... والحقيقة أن هناك الكثير من النقاط الهامه وجب النظر إليها وبعين الاعتبار والحساب أيضاً..

أولاً : اختلاف الأنظمة :

وهو البداية لظهور الأعراض وخاصة بعد الثورة الإسلامية الخومينية ضد شاه إيران محمد رضا بهلوى وبعلامات إسلامية وتطلعات إقليمية إيرانيه أثارت الشكوك فى النوايا والأهداف التى قد يكون لها سمات توسعية فى الخليج العربى الموالى للسعودية والمؤثر عليها بالتالى بحكم التماس والأمن القومى؟! خاصة وأن هناك خلافات قديمة بين إيران والعديد من دول الخليج (الإمارات العربية - البحرين) والتى ترتبط بروابط تاريخية وسياسية مع الحكومة السعودية (مجلس التعاون الخليجى) إذا فالحقيقة التى لا يمكن تجاهلها أن نقطة البداية الحقيقة وليست الظاهرة هى فى اختلاف الأنظمة الحاكمة فى كل من إيران والسعودية ..

ثانياً : الصراع على الزعامة :

وما أعنيه وأريده هنا أن النظام المصرى السابق (نظام مبارك) قد ترك فكرة الزعامة الإسلامية برمتها (وكانت بدايتها قبل الثورة المصرية عام ١٩٥٢) وبدت ظاهرة الصراع على الخلافة بعد ظهور الدولة السعودية (من ١٩٢٣ - ١٩٢٦) حيث بدت ملامحها تظهر فى الأفق السياسى بزعامة الملك عبد العزيز آل سعود وما تنادى به مصر بالأحقية فى الخلافة بزعامة الملك أحمد فؤاد الأول ملك مصر فى هذا الوقت) وانتهت مؤقتاً مع بداية ثورة يوليو سنه ١٩٥٢ فكان التقارب أولى فى البداية فقط ولكن مع ظهور التيار الناصرى بداية ثورة يوليو سنه ١٩٥٢ فكان التقارب أولى فى البداية فقط ولكن مع ظهور التيار الناصرى والمنادى بالقومية العربية والذى ذابت

معه تيارات الخلافة الإسلامية الأعم وانحساره فى أرض العرب بحثاً عن الذات وهنا عـادت المنغصات من جديد والتى انتهت بالمواجهة فى حرب اليمن والتقوية بالتيارات الخارجية؟! وزاد التقلص المصرى وانكماش الدور فى عهد الرئيس محمد أنور السـادات فى دائرة أضيق لتكون فى الإطار المصرى فقط وظهرت ملامحه مع تغيير اسم مصر من الجمهورية العربية المتحدة وتيارها الناصرى إلى جمهورية مصر العربية لتكون الدائرة المصرية هى الأولى والأهم خاصة مع اتفاقية السـلام بين مصر وإسرائيل (كامب ديفيـد) والقطيعة العربية مع مصر والتى أصبحت هى الإعلان الرسـمى عـن تقوقع الـدور المصرى فى داخلـه بدولة مصرية تبحـث عن الوجود بعـد حروب دامية أرهقتها بشـكل عنيف لم تجد معه المسـاندة اللازمة (بعد ظهور النفط والمـال العربى) وبعد العديد من الاتفاقيات الثنائية مع القـوى العظمى بما يتوافق مع مصالحها الخاصة وتثبيت الوجود والحكم أيضـاً وجاء نظام مبارك ليزيد العمق والعزلة بزيادة مسـافة الابتعاد عن أدوار الزعامة (الريادة) التى لم تكن منحة من أحد ولكنها بطبيعة الشـكل والتكوين هى مسـئولية قوميـة أرادها القدر وصنعتهـا الظروف وأثبتها التاريخ؟! ليكون الوضع فى الشـرق الأوسـط متحولاً من شكله الهندسى (مربع الاسـتقرار) والـذى يعنى التحرك فى نقاط أربعة تشـمل (انقره - طهـران - الرياض - القاهرة) فى شـكله أشـبه بالطبيعى إلى الحركة فى نقاط ثلاثة (مثلث القلق) تشـمل (انقره - طهـران - الرياض)؟! والتقطت السعودية الفرصة ولم تدعها تفلت منها هذه المرة ولكنها بعد ظهور وتباين الأحداث ثبت أنه كان طعماً ابتلعته ليكون نقط البداية فى تقسـيم شـرق أوسـط جديد تحرك سـماته عوامل الاضطراب والقلـق) وإن كانت ترى وقتها فى ابتعاد مصر وانحسـار دورها الفائدة الكبـرى لها (تخلصاً من عقدة الملك فؤاد) واستخدام الإرث الذى أتى إليها بأخطاء عربية ورغبات خارجية خبيثة؟! لتستولى على الدور المصرى ليكون أساساً لها تنطلق منه نحو الزعامة الإسلامية بقاعدة عريضة هى الأرض العربية بكاملها ودولها

التى لا رغبه لديها ولا ناقة لها ولا جمل نحو الزعامة وهى الدولة العربية الوحيـدة التى ترى نفسـها مؤهلـة لها وهى خادمة الحرمين الشـريفين ومنبت الرسـالة الإسـلامية وقبله الصلاة (العبادة اليومية والسجود لها خمسـة مرات فى اليوم) وعوائد النفط تسـاعد على ذلك كثيراً؟! وبدأت فى مد الروافد والجذور مع التيارات الإسـلامية الحديثة والدول المستقلة حديثاً بسـمات إسـلامية (القوقاز) والدعم فى قضية البوسنة والهرسك وأفغانسـتان وأفريقيا أيضاً (وإن كان ذلك فى شـكل إعلامى يخدم على الهـدف ولكنه أثار الحنق والغضب فـى البهرجة الإعلامية التى صاحبت ذلـك تجاه تلك الدول والتى كانت تعبر عنه خلـف الأبواب المغلقة مقارنة مـا يقدم من دعـم تركى أو إيرانى فى صورة صداقة تخفى الحسـنة ولا تعلنها كما يفعل الدبلوماسـيون السـعوديون عند المنـح والعطاء مع عدم مراعاة الطبيعة النفسية لهذه الشعوب) وهى بداية الأخطاء فى الإنطلاقه السـعودية؟! بعيداً عن الشرق الأوسط.. مما أثر سلباً وليس إيجابياً نحو الاقتراب من الدولة الساعية إلى الزعامة وخادمة الحرمين.. وكان الخطأ الثانى فى ممارسة السـعوديين فى تعاملهم مع زوار بيت الله الحرام وهم فـى الحقيقة رسـل تثبيت الزعامة؟! ولكن كان ذلك بأسـلوب خشـن بل وخشـن جداً ولابد أن يشـعر من يذهب إليهم بأن يدرك بأنه فى أرضهم وتحت سلطانهم ويمتثل للأوامر بكل خشية وطواعية وإلا فهناك أمر أشد وأخطر؟! وكان يمكن أن تكون رحلات الحج والعمرة هى السـمة والأساس ولكن لم تلتفت الحكومة السعودية إلى ذلك مع تدفق أموال النفط وتوجيه ثقافة المسـئولين فى دواوين الدولة والشعب فى تعاملهم مع سفراء الدول (الحجاج) وطالبى العمرة بنظره تعالى ومعامله خشـنه؟! وهى نقطة هامة أفـردت لها لكونها هامة جداً ولم تلتفت لها الحكومة السـعودية!! ثم كان الخطأ الثالث وهو الدخول فى دهاليز الأعمال السرية والتى كشفت فيما بعد (خاشـقجى وأمثاله) فى تدخلات سياسية وكونها سرية فمرحباً بها طالما تحقق الهدف؟! ولكنها كشفت وتلك طبيعة تغير المصالح؟! وبدأ الميل

وبشــدة نحو التحالفات السياســية والخارجية التى بعدت بها عن الهدف والوســيلة أيضاً ولم تدرك أنــه فى الصراع الدولى لن يســمح لها بتولى الزعامة الإسلامية من الغرب وأمريكا (لأنها دولة عربية ولن يسمح لدولة عربية بتولى الزعامة والريــاده خاصة بعد تجربه عبد الناصر المريرة مع الغــرب وأمريكا) وما يعنيه ويريده الغــرب ومصالحه فى دوله تقوم بدور المعاونــة والمقاولة من الباطــن وبالوكالة وهى شــروط لا تنطبق عليها؟!! ولم يترك أصحاب الإمكانية تلك الفرصة واســتغلت الأوضاع المتردية فى الشــرق الأوســط لتتولى المهام والإرث ولن يكون ذلك إلا فى دائرة إيران وتركيــا .. وقــد كان؟!! وبدأ الصراع الإقليمى فى صور عديدة بمســاعدة غربية وتردى فى الشارع العربى مخفياً مع تركيا ظاهراً مع إيران؟!

مراحل وتطورات الصراع :

اتخذ الصراع فى الشــرق الأوسط بعد انحســار الدور المصرى طابع القلق والتوتر لعدم وجود إســتراتيجية واضحة وعلى أسس ومبادئ ملتزم بها (وكان يمكن للجامعــة العربية القيام بهذا الدور الفعال) ولكن تهدمت فى الحقيقة كل أركانها فى دهاليز اتفاقات ثنائية وجانبيه بحثاً عن تثبيت أركان الحكم والســيطرة فى مشــاكل الداخل فى كافه أركان دول الشرق الأوســط (وخاصة النظام فى مصر وهو المؤهــل الأول بطبيعة الظروف) ثم تبعته باقــى الدول خوفاً وطمعاً؟! ودفعاً غربياً وأمريكياً بطبيعة الحال بعد انهيــار الاتحاد الســوفيتى وأصبحت الأرض ممهــدة لذلك بقطبيه أمريكية واحده وتيار غربى مساند ومدعم لمصالحه أيضاً وبإعلان الاتحاد (الأورومتوسطى) بشكل رسمى هرولت إليه الأنظمة العربية خوفاً وطمعاً أيضاً .. وتاهت الزعامات العربية وقيدت نفسها بالاتفاقيات الإستراتيجية طويلة المدى ومتشعبة الأهداف وبنتائج مزرية؟!!

أولاً : مظاهر وسمات جديدة :

تحولت وتداعت الأحداث بشكل سريع ومدروس أيضاً ليتراجع الهدف من الزعامة إلى الخوف والتوتر الذاتى على بقاء الأنظمة ذاتها حيث بدت تظهر ملامح التدخلات الإيرانية فى العراق بشكل أعمق وأخطر على دول الخليج بعد انهيار النظام العراقى بشكل مأساوى حرج وبدء فتح ثغرة وباب للتوتر جهة إيران والتى أوقفت نيرانه الحكومة العراقية إلى حد بعيد وقت نظام صدام حسين ففى عمان (ليس لقابوس أولاد) ونظام الحكم معرضٍ للانهيار ومشـكلة من سيخلفه والفساد داخل أجهزة الدولة مما كان سبباً فى حدوث تمرد ظفار والذى أمكن قمعه بمعاونة المستشـارين العسكريين البريطانيين حتى أنه منع العمالة الفلسـطينية والسياح من دخول البلاد؟! ثم ما تعرضت له اليمن مـن أحداث دامية (الربيع العربى) والتى تتأرجح بين النجاح والفشل (ولكن إنقاذ ما يمكن إنقاذه) ثم احتمالات الصراع بعد الانسـحاب الأمريكى من العراق .. وتصاعد المعارضة فى الأردن بشـكل يتطور من سـىء إلى أسوأ والموقف الحرج فى سـوريا والذى سوف يؤثر إلى حد بعيد فى خريطة الشـرق الأوسـط وإلى مدى بعيد أيضا وتغيير النظـام فى ليبيا ومـا صاحبه من عنف ودماء وتدخـلات خارجية وثورة تونس ثم الأهم والأخطر وهو ثورة الشـباب فى الخامس والعشـرين من يناير سـنة ٢٠١١ فى مصر وسقوط نظام (مبارك) فى الحادث عشر من فبراير سـنه ٢٠١١ وما يتبع ذلك من أحداث جسام فى الطريق وما يمكن إنقاذه هو ضم الأردن والمغرب إلى دول مجلس التعاون الخليجى لإنقاذ ما يمكن إنقاذه فأين قواعد الانطلاق نحو الزعامة وما يمكن إنقاذه وأين هـى الأسس التى ستقوم عليها وأين الإرث الذى تركه النظام الناصرى (القومية العربيـة؟!) تاه كل ذلك وأنهار وتقلص ليكون الدفاع الذاتى هو الأسـاس والمحـك والأقرب؟! وفـى ذات الوقـت أزداد الطرق على أبواب الشـرق الأوسط العربى من طالبى الإرث والزعامة فى تحرك تركى منظم وهادئ وبدهاء أيضاً وتحرك إيرانى متسـارع بخطىٍ واسـعة لا تترك ساعة دون استغلالها بحثاً عن القمة والزعامة أو قريباً منها فى أقل التوقعات؟!.

مظاهر سياسية :

وكان لابــد من ظهور الآراء والتخطيط الاســتراتيجى ورجاله الذين لا يتركون الفرصة تمر مرور الكرام دون استغلال أمثل يخدم المصالح الغربية التى تســعى نحو حل المشكلات السياسية والاقتصادية على حساب أرض النفط والغاز والأموال فى الشرق الأوسط لتدفع فاتورة التطور الاقتصادى المطلوب وتطور صناعة السلاح (وحل مشكلة اليورو الأوروبية) وحل مشكلة البطالة والأزمة الاقتصادية فى أمريكا وذلك بتصعيد إعلامى وسياســى مع ظهور الخلاف الشــيعى السنى من جديد وصعود مشكلة الملف النووى الإيرانــى وزيادة الخوف والهلع الخليجى ليدفــع ويضخ مزيد من الأموال وهو المنطقة الوحيدة فى العالم التى تســتطيع أن تدفع وبســخاء وخوف أيضا ثم تصاعد أزمة محاولة اغتيال الســفير السعودى فى أمريكا والتى صعدت بعد شهور عديدة من اكتشافها (إن كانت قد حدثت) ثم احتمالات الخطر الداهم إن هاجمت أمريكا إيران أو هاجمتها إســرائيل (لن يحدث ذلك طبعاً ولظروف عديدة) ولكنه الخوف بل والهلع من الرعب عند عرض السيناريوهات المتوقع حدوثها؟! خاصة بعد تسويق تركيا إعلاميا للرأى العام العربى كنموذج إســلامى لكى تسحب من شعبية إيران فى الشارع العربى دون أن تحل مكانهــا كمصدر تهديد للمصالح الأمريكية والإســرائيلية.. خاصــة وما تفهمه الولايات المتحدة فإن الدعم التركى الرســمى للقضية الفلســطينية حتى الآن لم يتجاوز حدود الدعم المعنوى والإنســانى - وهو ما لا تعارضه الولايات المتحدة ولا يمكن مقارنته بالدعم المالى والعسكرى واللوجســتى الذى تقدمه إيران للمقاومة الفلسطينية واللبنانية..؟! كما أن موقــع تركيا الجغرافــى المجاور لكل من العراق وســوريا يمكنها فى حالة العــراق من المســاهمة فى ضبط النفــوذ الإيرانى بعد انســحاب القوات الأمريكية وبدأت الســعودية تلتفت إلى ما بنته فى لبنان من بناء اســتغرق ما يقرب من عقدين من الزمان فى شبكة كبيرة من التحالفات فى أوساط السنة واليمين المارونى وما يمكن أن تتمتع فيه بنفوذ كبير على الجماعات

السلفية بفضل الدعم المالى الذى تقدمه لها .. وينظر المحللون السياسيون فى الشـرق الأوسـط والمترقبين للأحداث لطرق أبواب التنبؤ بأن مصالح النظام السـعودى التقت فى مراحل عديدة مـع مصالح الولايات المتحدة حيث أنها ساعدت فى ضرب المشروع الناصرى فى خمسينيات وستينيات القـرن الماضى ثم اجتمعت مصلحتهما فى محاربة الثورة الإسـلامية فى إيران بعد إطاحتها بحكم الشاه وعلى الرغم من حرص المملكة على إضفاء طابع دينى ومذهبى على سياسـتها الداخلية والاقليميه إلا أن البرجماتيه تعد السمة الأبرز فيما يتعلق بتطبيق هذه السياسة الاقليميه حتى أنه يمكن اعتبارها نموذجا لما يعرف بالسياسة الواقعية التى لا تأبه إلا بالمصالح ولا تعترف بعداوات أو صداقات دائمة لأن الاختلاف المذهبى كما أوضحت لم يقف دون مسـاندة السعودية لإمام اليمن الشيعى وأنصاره فى الستينيات فـى مواجهة الجمهوريـين المدعومين من عبد الناصـر .. أما فى بدايات الألفية الجديدة فقد اعتبرت المملكة شيعه اليمن جزءاً من مؤامرة إيرانية ودعمت النظام اليمين وهو نفس النظام الذى ساندت خصومة الاشتراكيين فى تسعينيات القرن الماضى عند محاولتهم فصل جنوب اليمن مره أخرى عن شماله (عام ١٩٩٤) والأمر نفسه فيما يتعلق بنظام صدام حسين الذى كانت السـعودية من أكبر الداعمين له أثناء حربه مع إيران؟! وعلى الرغم من عداء السـعودية لأيدولوجيا البعث العراقـى وعلى الرغم من التدخل العسـكرى السعودى الذى سـاعد على هزيمة الحوثيين فى شمال اليمن وقمع الانتفاضة الشعبية فى البحرين إلا أن هذا يعد نجاحاً مؤقتاً فى ظل غياب أيه مبادرات سياسية جدية لعلاج أسباب التمرد والانتفاضة؟! وعلى الجانب الآخر أصبحت إيران مثـالاً؟ بارزاً لما يطلق عليه باحثو العلاقات الدولية «الدولة الثورية» وتعرف فى العلاقات الدولية بالدولة التى تشـعر بأنها لا تحوز على المكانة التى تليق بها فى ظل النظام الدولى أو الإقليمى القائم وبالتالى تسعى لإعادة ترتيب أوضاع هذا النظام إن لم يكن استبدال نظـام جديد يمكن به توفير المكانـة والدور اللذين ترى أنها جديرة بهما؟! ولهذا تبنت إستراتيجية جديدة ترتكز على أربعة محاور :

أولاً : بناء وتدعيم قوتها العسكرية التقليدية وخاصة قدرتها الصاروخية والبحرية من أجل تطوير قدرات الردع الخاصة بها.

ثانياً : كسر محاولات عزلها سياسياً وذلك من خلال توثيق تحالفها مع سوريا واستخدام هذا التحالف بحيث يؤثر على العلاقات العربية - العربية.

ثالثاً : استغلال التهميش والتمييز ضد الشيعة فى عدد من الدول العربية لتصيب نفسها حاميه للشيعة العرب وهو ما مكنها من التأثير فى الأوضاع الداخلية لعدد من هذه الدول.

رابعاً : تبنى خطاب داعم للحقوق الفلسطينية وتقديم كافة أشكال الدعم للمقاومة ضد إسرائيل فى لبنان وفلسطين المحتلة وقد ساعدها هذا على تحقيق شعبية كبيرة فى الشارع العربى.

وتبدو فى سمات السياسة أيضاً فى الشرق الأوسط عوامل تؤثر فى ضبط التوازن ينظر إليها بترقب وهو إظهار الدعم الأمريكى للسعودية (حتى الآن) وإظهار عقاب إيران على مسانده سوريا ودعم النظام السورى باستمرار وضع طهران تحت ضغط مستمر ومفيد فى النواحى العسكرية.

مظاهر عسكرية :

وهى بالتتابع والمنطق معلقه ومرتبطة فى تلازم يصعب فصله مع المظاهر السياسية لاستمرار أحداث توتر محسوب لزيادة معدل شراء الأسلحة دعماً للمؤسسات العسكرية الغربية و الأمريكية لتمويل ميزانيات التطوير والتخلص من الأسلحة القديمة واستمرار المشاعر والإحساس بالقوة الأمريكية بحيث يبدو للجميع أن الحركة محدودة طبقاً لما تحدده وتريده السياسة الأمريكية.. وعلى الجانب الإيرانى بدأ سلاح البحرية التابع للجيش الإيرانى إجراء مناورات فى مناطق واسعة بجنوب إيران

لمده ثمانية أيام وتجرى القوات البحرية الإيرانية هذه المناورات فى شـرق مضيق هرمز وبحر عمان وشـمال المحيط الهندى وتغطى مسـاحة ٢٥٠ ألف كيلو مترا مربعا واسـتخدمت القوات الإيرانية مختلف أنواع الأسلحة والبـوارج والفرقاطات والغواصات لإظهار أمكانيه الدفاع عن السـواحل والأراضى الإيرانية..

وفى تطور سـريع وغير مسـبوق أعلـن الأمير سـعود الفيصل وزير الخارجية السـعودى أن بلاده ستسعى إلى الحصول على أسلحة نووية إذا أصرت إيران على المضى فى البرنامج الإيرانى لامتلاك أسلحة نوويه وقال لمسـئولين فى الناتو إن امتلاك طهران لأسـلحة نوويه من شأنه أن يجعل الريـاض تتبع سياسـات ذات نتائج لا تحمد عقباهـا؟! ... وأعلنت وزيره الاقتصاد الفرنسـية كريستين لاجارد أن فرنسـا والسعودية بصدد وضع اللمسـات الأخيرة على اتفاق للتعاون فى مجـال الطاقة الذرية وأضافت عقب مباحثات مع ملك السـعودية عبد اللـه بن عبد العزيز وزير البترول على النعيمى ووزير المالية إبراهيم العساف وغيرهم من المسئولين بالمملكة «لقد أحـرزت المحادثات تقدماً طيبـاً وأمل أن يتمكـن حاكما بلدينا من التوقيع على الاتفاق قريباً» وذلك بعد تلميح فرنسى من الرئيس الفرنسى نيكولا ساركوزى بأن فرنسا على استعداد لمساعدة الرياض من أجل تطوير الطاقـة النوويـة فى الأغراض السـلمية (وهل السـعودية فى حاجة إلى طاقـة؟؟) ولم تترك أمريكا الموقـف دون الحصول على قضمة من الكعكة التى تسـاهم فى صناعتها؟! فأعلنت أنها ستساعد السعودية على تطوير الطاقة النووية فى الأغراض السـلمية وروسـيا أيضاً فـى الفرح النووى الشرق أوسطى حيث أبدت روسـيا اهتمامها فى مساعدة السعودية على تطوير برنامج الطاقة النووية فى الأغراض السلمية أيضاً؟!! وقال مجلس التعاون الخليجى إنه يدرس أقامه برنامج مشـترك للطاقة النووية ويجرى اتصـالات مع الوكالـة الدولية للطاقة الذرية بشـأن التعاون فى مثل هذا البرنامج؟! ثم أبرمت الحكومة السـعودية اتفاقاً مع كوريا الجنوبية يخص

التعاون فى مجال تطوير الطاقة النووية وذلك فى الوقت الذى تسـعى فيه المملكـة لتنويع مصادر الطاقة لتلبية الطلـب المتزايد عليها؟! وذكر البيان الصـادر عن مدينة الملك عبد الله للطاقة الذرية أن اتفاق يشـمل التعاون فـى بناء محطات للطاقـة النؤوية ومفاعلات أبحـاث إضافية ويعد هذا الاتفاق النووى هو الثالث الذى توقعه السـعودية عقب اتفاقين مشـابهين مع فرنسـا والأرجنتين ـ وقالت المدينة التى أسست عام ٢٠١٠ أنها تجرى حاليا محادثات مع الصين وروسيا وجمهوريه التشيك وبريطانيا والولايات المتحدة بشـأن المزيد من التعاون؟! وقالٍ مسئول بمدينة الملك عبد الله أن السـعودية تبنى ما يصل إلى ١٦ مفاعلاً لتوليد الطاقة الذرية بحلول عام ٢٠٣٠ لكـى تنتج ما يـوازى حوالى ثمانين ميجـاوات؟؟ وإلى هنا عزيزى القارئ فهل ترى معى كلفة هذه الأفراح النووية فى الشـرق الأوسط وإلى من ستذهب هذه الأموال بعيداً عن التنمية الاقتصادية لدول الخليج العربى والشرق الأوسط وإن كنت أتخيل تحويل هذه المفاعلات إلى شماريخ نووية تماثل ما يطلقه مشجعون لكرة القدم فى الملاعب أثناء مباريات لكره القدم عندما يلعب فريق قطر مثلا مع فريق إيران ويخطأ الحكم فى احتسـاب هدف أو ضربة جزاء فيهدد الفريق الأخر ويعترض ويطلق عدة شـماريخ نوويـة فى الملعب ألا يكون ذلك فوضـى خلاقة تداعب بها الدول العظمى دول الشرق الأوسط لسحب أموال النفط والغذاء والدواء؟!!!

وفـى هذا الصدد لم تترك تجارة الأسـلحة التقليدية الفرصة أيضاً؟! وحدث ولا حرج عن الطلبات المتزايدة والمجنونة فى جلبها للشرق الأوسط والخليج العربى دون النظر ولو لحظة واحدة نحو أسلحة صدام حسين وأين ذهبت وأسـلحة القذافى وأين أصبحت ومـا حصل عليه عرش الطاووس فى إيـران وأين هو تحت رمال صحراء الحرب العراقية الإيرانية وسـط تعاقـدات لا حصر لها من دبابات حديثة وطائرات طلبتها عمان والبحرين والسـعودية لزوم الوجاهة والتى لم تسـتخدم منذ أول صفقة وحتى الآن حيث يتم ركنها فى الصحراء عندما يظهر موديل جديد متطور وكما يقول المثل العربى مال النذهى للكنزى ولله الأمر من قبل ومن بعد؟!.

الفصل الثالث

إيران وسوريا
من كواليس المفاوضات السرية
سوريا وإيران توأم يصعب فصله

فى المسـرحية الشـعرية للراحل الكبير عبد الرحمن الشرقاوى يقول الفتى مهران «إنى لأعرف كل شـىء يا أمير.. كل شـىء.. ولا أبوح.. إنى لأعرف من شفيف الكأس ما نوع الشراب.. أنى لأعرف ما اتجاه الريح من مسـرى السـحاب.. إنى لأعرف من العبير ما نوع النساء..، أشم ما خلف العبير.. لكن أميرى ليـس يعرف من أنا.. ومن يحمل أمانة القلم أو يكون قريبا من السياسـة أو بعيدا عنها فيجب ألا يكون منفصلا عنها، ووجبت عليه الرؤية والتأنى لمعرفة خلفيات الأحداث قبل التسرع فى الحكم عليها، أو هـذا ما لاحظته فى تناول الأحداث الحالية التى سـتؤثر إلى حد بعيد فى مستقبل الإقليم الشرق أوسطى لفترة طويلة قادمة وأن يكون ما يكتب بعيداً عن الأمنيات أو الحديث والعين مغلقة والأذن صماء فنكون للضلالة أقـرب وللخطأ أوقع، ولذلك وجـب على أنى أذهب إلى بؤرة الأحداث فى إسرائيل لتكون نقطة البداية، هناك أرى وأسمع بوضوح، حتى لا أعود إلى الفتى مهران حيث يقول «إنى لأعرف أى الرجال يمثلون زماننا.. الجاثمين على الأفق .. إنى لأعرف أن هياكلهم صيغت من الورق المقوى.. إن أطبقت عليه كف الحياة مزق..»

الموقف الاسـرائيلى : هو موقف واضح وضوح الشمس فى الأفق ولكن من يفهم ومن يعى؟ تلك هى مشكلة الشرق الأوسط. هى تعمد عدم الفهم للخوف من الخروج عن المسـار وحركة الفلك السياسى المرتبط بالأنظمة. وأشـد ما يثيرنى فى سـوء الفهم والتعبير أن صاحب فكرة السـلام مع

الجانب السـورى هو إسـحاق رابين وهو خطأ سياسـى فإسـرائيل دولة مؤسسات فعلية فى الخطوب والاستراتيجيات بل وبعض المحاور التكتيكية فهـى لا تتخذ قرارات منفردة بفكرة تصحو مـع صاحبها أو تموت بموته ففكرة السـلام مع الجانب السـورى مجهزة من قبل مؤسسـات سياسية وإسـتراتيجية وأمنية تحدد المعالم والثمـن والاحتياج، وتأخذ حقها تماما من الدراسة.

لقد تجمدت المحادثات واتفاقية السلام لأن إسرائيل وجدت الثمن غير كاف الوقت غير ملح، فما هو الدافع للعجلة والسرعة؟ وربما فى وقت لاحق يكون الزمن مناسبا والريح مواتية والثمن كافياً وهو ما حدث الآن لأنه يمكن لإسرائيل أن تدخل الشرق الأوسط وتحقق الأحلام بأكثر مما كانت تتوقع دون التخلى عما كان فى الحسبان أن تتخلى عنه من أرض فلسطين طبقا للنظرية التى كانت شبه ثابتة «بأن مفتاح الشرق الأوسط فى فلسطين» وهى لب الصراع فى الشرق الأوسط وعندما تحل مشكلة فلسطين تحل مشاكل الشرق الأوسط وبمعنى أكثر وضوحا كانت المشكلة واحدة عندنا وعندهم نسـميها «مشكلة فلسطين» ويسمونها «مشكلة الشرق الأوسط» أى وجهان لعمله واحده وطمس الآن الوجه الفلسـطينى وأعطى الفلسطينيون المفتاح لإسـرائيل، وتحولت من العدو إلى الحكم والناصـح الموثوق فيه لأطراف الصراع، ليس فى الشـرق الأوسـط ولكن فى فلسطين فهى تحل المشاكل وتوفر الهدوء بين فتح وحماس، وتنصح فيسـتجاب لنصحها ولم يوجد فى إسـرائيل أى ملفات أو توقع للحالة الفلسـطينية الحالية، فهى حالة فوق المتوقع أو المحتمل أشـبه بأسـطورة «على بابا» عندما وجد الكنز بعد أن كان لا يجد الطعام ولولا خوف بنى إسرائيل من مرض «السكرى» لالتهمت «التورتـه» بكاملها ولكن الصحة الدائمة أفضل وإن كانت إسـرائيل تعانى حاليـا من حـلاوة الأحداث فى حلقها بعد أن تولـت الرعاية وأتعفف من أن أقول «الشرعية» على الشـعب الفلسطينى وسبحان مغير الأحوال فلا مانع من الدخول إلى الشـرق الأوسط وحلول السلام مع الجانب السورى

بعد تراجع أو تجميد القضية الفلسـطينية للحد الذى يقول معه الساسة فى إسـرائيل وكما علمت فى محادثاتهم الجانبية بابتسامات ساخرة «إن الفلسـطينيين فى وضعهم الحالى ليس لديهم وجه لطلب أى شـىء منا» فهم فى حالة اسـتحياء وخجل شـخصى يشـبه ظهور العورة وإنهم على اسـتعداد لقبول أى شىء منا قبل أن نعرضه عليهم ولكن فى حالتهم هذه لا يوجد لدينا ما نعرضه عليهم ومن هنا كانت الظروف المواتية تتجه نحو الجانب السورى والسلام الإقليمى الشرق أوسطى والذى يناسب السياسة الجديدة لكل من إسرائيل والتى لم يعد سرا فيها أيضا ومع العلم بأن توقف المحادثـات فى عام ٢٠٠٠ كان أثناء وجود باراك فى الحكم وهو الآن وزير للدفاع ويسـتعد للوثوب على كرسى رئاسة الوزراء من جديد ويقولون فى اسـرائيل «لقد أوضحنا للسوريين أننا نعرف وندرك ما يفكرون فيه بداية من خبرتنا معهم فهم لا يفعلون شـيا إلا وعينهم على القاهرة أو فى قلبها فهم لم يدخلوا حرب عام ١٩٦٧ بشـكل رسمى ومكثف إلا فى اليوم التالى للحرب وبعد التأكد من اندلاعها وبيانات القاهرة وبشكل رسمى على أرض سـيناء وهم يريدون التفاوض معنا وعينهم علـى اتفاق القاهرة وتلك هى المشكلة لبعد المسافة فى سـيناء وطبيعة نتائج الحرب فى الواقع والحالة العسكرية والسياسية والمكانة والكثافة والإمكانيات وكل ذلك يختلف كثيرا عن الجولان فهى الأعلى والأقرب والأغلى ثمنا للأمن الإسـرائيلى فيجب ألا يقعوا فى خطأ طبوغرافى أو سياسى أو استراتيجى حتى تتيسر الأمور ويجـب النظر حولهم وليس بعيدا فى القاهرة ولـكل مقام مقال وهذا ما دار حقيقة على ألسنة الإسـرائيليين فى تل أبيب والقدس ومن سياسيين كانوا ومازالوا فى الحكم وأصحاب القرار فى إسـرائيل إما بشكل رسمى ومخفف وموثق فيقول «شـيمون بيريز» (إن المدرسة التقليدية فى الدفاع عاجـزة عن تقديم جواب على الواقـع الجغرافى والخطر التكنولوجى فى عالم اليـوم لقد برزت القضية الجغرافية مع تطوير القذائف الصاروخية بعيدة المدى التى تعدت الجوانب الطبيعية فى الإستراتيجية التقليدية مثل

العوائق الطبيعية والاستحكامات وتعبئة القوات وموقع جبهات القتال ومن الأمور النافعة فى الدفاع ضد هجمات الصواريخ بل أن الأسلحة الدفاعية الموجهة أى الصواريخ المضادة للصواريخ عقيمة هى الأخرى وتتطلب أنفاق أموال طائلة وإن ذلك جعل مغزى واصطلاح العمق الاستراتيجى يتضاءل بعد أن أخل المعيار الصاروخى بالمعيار الجغرافى وفى الواقع فإنه لا يوجد على الإطلاق أى جواب عسكرى على الأسلحة غير التقليدية التى لا تميز المؤخرة عن المقدمة بل تضفى معنى جديداً فظيعاً على مصطلح الحرب الشاملة وتستطيع أدوات الدمار غير التقليدية هذه بفضل الصواريخ بعيدة المدى أن تصل إلى المناطق المأهولة فتنزل بالناس دماراً (لا قبل لهم بتلافيه) غير أن هناك علاجا بديلا هو المعاهدات الثنائية والمتعددة تتجاوز حدود البلاد المعنية وتغطى كامل المدى للصواريخ الفتاكة أى معاهدات تغطى كل المناطق وينبغى لبلدان أى منطقة أن تتعاون للوقوف بوجه الخطر النووى والبيولوجى والكيماوى بخلق حالة تجعل النزاعات مكلفة أكثر مما ينبغى وغير عملية وعسيرة تماما وهكذا فإن مفتاح الحفاظ على النظام الإقليمى الأمنى يكون فى السياسة والاقتصاد، ألم أقل لك عزيزى القارئ أننى عندما أذهب بعينى وأذنى وأراقب فى إسرائيل فإننى استطيع أن أرى واسمع بوضوح ما تغفل عنه عينى وأذنى فى الشرق الأوسط أو فى خارجه ربما لأننى أفهم واعى ما يقولون بعيدا عن الحب أو الكراهية ولكن بالعقل فقط يمكن أن ترى .. وأرى الآن أن فى إسرائيل الريح مواتية نحوها والثمن مرتفع وتستطيع فوق وبعد كل هذا أن تضمن وضعا آمنا جدا فى اليوم الأسود عندما يفكر الغرب وأمريكا فى حرب إيران فتكون بعيدة عن الانتقام منها أو تدفع أى ثمن بعد الاتفاقيات الحالية .. وهذا مقابل تجربة ناجحة عندما ضربت أمريكا العراق وحاول صدام جر إسرائيل أو الانتقام منها ولكنها ضبطت النفس ولم ترد رغم سقوط صواريخ سكود فوق أسطح منازلها فى تلك أبيب، ثم الحاصدين مع الحاصدين من بلاد الرافدين.

الموقف السوري : تعرض الموقف السـوري فى الحقبـة الأخيرة إلى ضغـوط شـديدة تفوق الاحتمـال لدرجة تتـراوح بين «الـردع» و «حافة الهاوية» أو اقتراب الملاحقة وخانة «محور الشـر» ودرجة «دعم الإرهاب» الأسـود لتطويعه ودفعه نحو النظام الجديد لشـرق أوسـطى جديد ولو وصـل لدرجة القسـوة والجبر إن لـزم الأمر ذلك وتم دفعـه لترك لبنان عسـكريا وتناوب الضغط كل من فرنسـا فى ثوبها الجديد وأمريكا عند زيادة الضغط وانسـحبت سـوريا من لبنان هرولة لأنها لاحظت التربص والعين الحمراء الغربية تزداد احمرارا وتكاد تشـبه الجار العراقى وبدأت سلسـلة التطويع مع بداية أول خطوة نحو التراجـع ولكن فى إطار ضيق فى حدود حركة الحليف الإيرانى والذى يسـعى أيضا للمناورة مع الوضع فـى الاعتبار خوفا فى العمق (من أن يبيع أحدهما الآخر. أن يدفع فاتورة حسـاب لم يأخذه)، ثم يأتى التهديد بالمحاكمة (ويمكن أن يحدث فيها أى شىء) والمرشـح الدخول فيها النظام السورى وأقصد هنا اغتيال الحريرى رئيس الوزراء اللبنانى السابق وكأنها «قميص عثمان» ثم التهديد بالملاحقة بدعم الإرهاب أو تحمل تبعاته بعد التسـمية فى «محور الشـر» ومن هنا كان التنسـيق للتقارب والمواءمة على مراحل طبقا لاستيعاب الجرعات فى الشـارع السياسى العربى وفى الداخل السـورى أيضا وتم حضور مؤتمر الأورومتوسطى وبوفد على أعلى مستوى وبحضور الرئيس «بشار» بنفسه وهل كانت فرنسـا لترضى وبالتالى أمريكا بأن يكون الأورومتوسطى بغير قطعة الكريز الشامية فى تورتة الأورومتوسطى؟ ثم بدأ التنسيق مع إيران وحزب الله وتركيا وسـوريا مرورا بإسـرائيل وعلى أعلى المسـتويات وفى لبنـان أيضا فبعد أن أعلنت سـوريا بـأن مزارع شـبعا لبنانية ثم أعلنت إسـرائيل إمكانية تركها وبالتالى فلن تعود الشـرعية والحجة لحزب الله بعد الاتفاقيات الجديدة بأن يحمل السلاح فى وجه إسرائيل وبذلك بدأت الأمـور بالتفاهمات بعد أن أظهر كل طرف إمكاناته واعترف الآخرون بها ليكون اللعب على المكشـوف ومباشـراً ومن هنا فلم تعد هناك غرابة فى

الأحداث ســوى سوء فهم من المراقبين أو الراغبين فى غلق الأعين فطالما هى مغلقة فكل شــىء جديد لم يحدث أو أســرى أحلام اليقظة ومن هنا فإن حركة التفاوض تتم أمام أعين جميع اللاعبين وبرضا وتفاهم كامل لا يستطيع أحد أن يبيع أخاه طالما لم ولن يضمن الآخرين.

الموقـف الإيرانـى : يخطئ من يظن أن ما يـدور خلف الكواليس بعيد عــن طهران أو على غير رغبتها حيث أن ســوريا تتمتــع فى حقيقة الأمر بنضج سياسى وفهم جيد لقواعد اللعبة ودروبها ومن خلال بنود الاتفاقية والمعروض فيها وهو ما أمكن حاليا لا يتناسـب مع ترك الحليف المضمون والدائم والحقيقة فإن هذا الاتفاق يتم بموافقة ومباركة إيرانية (هكذا أرى) ضمــن صفقة الأخذ والعطاء التحتى الإيرانى الأمريكى ولذلك نلاحظ أن الإعلان عــن الاتفاق يتوافق مع الرد الإيرانى علــى حزمه الحوافز «وهو رد متشـــدد» ومع ذلك طبقا لتقدم المحادثات فسيكون رد الفعل الأمريكى والأوروبــى هو إمــا تأجيل العقوبات أو إعطاء مهله جديدة لفســحة اكبر من المفاوضات أو عقوبات اســميه طبقا لما يحــدث خلف الكواليس على (الأراضى العثمانية) واســتتبع ذلك زيــادة أحمدى نجاد الرئيس الإيرانى إلى تركيا والرئيس بشار الأسد وذلك لمزيد من المتابعة ووضع النقاط على الحروف وليعلم من يجهل أن الدور والأهمية الإيرانية والتحالف لم يسقط وكل شىء داخل نطاق التحكم ولذلك نلاحظ أيضا ما يحدث فى الأراضى اللبنانية بخروج البيان الحكومى إلى الرئاسة وهدوء الأوضاع المفاجئ بعد الصعــود المفاجئ أيضا ليدرك الجميع أن الحرارة مع طهران لازالت قوية والحكومة فى طريقها إلى الخروج التوافقى والشرعية وعاد حمام السلام ليرفــرف على جبال الأرز فى لبنان «أليس ذلك بدليل» على ما يدور وفقا لترتيب الأوضاع وكل شىء يتم بالرضا والاتفاق والمصالح والتراضى.

الموقـف التركـى : فى لعبة القمار يوجد ثلاثــة أطراف وليس طرفين على عكس ما يعرف من يجهل قواعدها فهى لا تقتصر على فائز وخاسر ولكــن يوجد طرف ثالث هو صاحــب الأرض أو «الترابيزة» والذى يحق له

امتياز (عمولة) مـــع كل دورة من دورات اللعب ثابتة ويحصل عليها من أى طـــرف من الأطراف ولا يهمـــه من يفوز هذا أم ذاك والموقف التركى طبقا لقواعـــد اللعبة هنا هو صاحب الترابيزة «الأرض» بين الطرفين الســـورى والإســـرائيلى فهو بهذا قد حقق أيضا قفزة كمـــا صورها العبقرى جمال حمدان فى أوراقه الخاصة التى عثر عليها بعد وفاته، بأنها أشـــبه بقفزة الضفدعة تعويضا عن زمن التأخير فى الاتجاه نحو أوروبا ومحاوله ارتداء «الاسموكن» والقبعة الأوروبية قفزا نحو العمامة البيضاء وتعويض السبق لأصحاب العمامة الســـوداء فى طهران وهى شـــهادة وإثبات تدع الكثيرين على الأقل فى حالة صمت أو اعتراف بتوزيع كراســـى الشـــرق الأوســـط مـــن جديد وفى تصور أخر لجمال حمـــدان بأن تركيا هى حصان طروادة للإمبراطورية الأمريكية فى المنطقة وفى اعتقادى أن أهم المكاسب التالية لذلك هى تحقيق ثقة الأطراف وتحقيق والتواصل على الأرض وعلى الأقل فى مجال المياه التى تحتاجها إســـرائيل فى المســـتقبل والاتصال الأراضى أفضل كثيرا من الاتصال الجوى فوق الســـحاب وهـــو ما يعنى مصوغات ومبررات شـــرعية العودة إلى المنطقة العربية وهى تعنى الكثير سياســـيا واقتصاديـــا لتركيـــا وتثبيتا لوضـــع المفصل أو حلقة الاتصـــال بين أوروبا والشـــرق الأوســـط فى الوقت الحالى (وهو ما يسبب القلق والترقب لدى دول الخليج) ومن الناحية العســـكرية فإن الاتفاقيات العســـكرية والمعونة العسكرية الأمريكية لإسرائيل تعطيها كميات من قطع الغيار بأسعار رمزية وبكميات تفوق الحاجة الفعلية لإســـرائيل مما يجعلهـــا تتفاوض وتتعامل بها مع الآخرين المســـتخدمين السلاح الأمريكى وبأســـعار معتدلة وبعيدا عن البيروقراطية الأمريكية والأســـعار المرتفعة وخاصة للأسلحة الحديث وعمرات الطائرات وهذا ما تستفيد منه إسرائيل وتلك الدول وعلى رأسها تركيا وكل شىء بثمن ومصلحة وفائدة أيضاً.

الموقف فى دول الخليج : ومع احتمالات المستقبل وتلك الرؤية انقسمت دول الخليج إلى قسمين الأول يده اليمنى نحو «طهران» واليسرى بدأت تمتد

نحو «اسطنبول» نهاراً أما فى الليل فتتجه اليدان نحو السماء بالدعاء إلى الله بتجنب كليهما والقسم الثانى خبير بالدروب الوعرة أو هكذا يعتقدون فى أنهم يستطيعون التعامل والسير مهما كانت الدروب غير ممهدة ولكننى أراها تشبه الأعاصير أو الطوفان لا تبقى ولا تذر ولن ينفع معها غير النداء العربى المألوف «يا نجى الألطاف نجنا مما نخاف».

عزيزى القارئ أرى أن كل ما سبق لم يكن تطويلاً، ولكنه كان تمهيداً واجباً لعرض نص الاتفاقية حتى لا تتأثر أو تدور فى فلك غير محسوب فى الفهم والإدراك.

وتنص الاتفاقية : على أن هذه المبادرة والاتفاقية لإقامة علاقات طبيعية وهادئة بين حكومتى إسرائيل وسوريا وبين الشعبين والتوقيع على اتفاق سلام يدل على هذه الدعامات الأربع فى جوهر المحادثات التى ستشمل الأمن - المياه - التطبيع — الحدود ولن يكون هناك اتفاق على أى من هذه المسائل ما لم تحل كل المسائل بمعنى أنه لن يوقع هذا الاتفاق إلا بعد الاتفاق على كافة النقاط دون ترك أى نقطة منها بمعنى أن الاتفاق على كل النقاط شرط لتوقيع اتفاقية السلام وفى إطارها فإن السيادة السورية على هضبة الجولان وحتى خط الحدود التى كانت عليها كلتا الدولتين فى الرابع من يونيو سنة ١٩٦٧ تعترف بها إسرائيل وتضمنها أمريكا والأمم المتحدة ثم اتفاق إطار التطبيع وإنهاء حاله الحرب وتتوقف الأعمال العدائية مع توقيع إطار الاتفاق بما فى ذلك الإنذار المبكر بحيث لا يتأخر عن توقيع اتفاق السلام النهائى وتبقى مراحل التنفيذ وفقا لما اتفق عليه الدولتان (محل خلاف حتى الآن).

أولاً : الأمن :

١ - مناطق منزوعة السلاح وتقام على أراضى هضبة الجولان التى تحتلها القوات الإسرائيلية.

٢ - لا يتم إدخال قوات الجيش إلى المناطق منزوعة السلاح ولا يسمح إلا بوجود شرطه مدنيه محدودة.

٣ - يتفق الطرفان على عدم التحليق فوق المناطق منزوعة السلاح من دون ترتيب خاص.

٤ - إقامة إنذار مبكر (رادار إنذار) يتضمن محطة أرضية فى «هارحمون» (جبل الشيخ) تديره الولايات المتحدة.

٥ - تقام آلية مراقبة ومتابعة وتأكيد للإشراف على الاتفاقات الأمنية.

٦ - إقامة اتصال مباشر بين الطرفين وذلك من أجل خلق إمكانية اتصال مباشـــر فى المســـائل الأمنية بهـــدف تقليص أى احتـــكاك على طول الحدود الدولية ولمنع الأخطاء وسوء الفهم بين الطرفين.

٧ - تقام مناطق للوجود العســـكرى المخفض فى إســـرائيل غرب الحدود الدولية مع ســـوريا وفى سوريا شـــرقى هضبة الجولان. والنسبة بين عمق هذه المناطق محســـوبة بالكيلو مترات بين إسرائيل وسوريا تكون بنسبة ٥٩٪ - ٤٠٪ لصالح إسرائيل.

٨ - يتعاون الطرفان فى مكافحة الإرهاب المحلى والدولى بكل أشكاله.

٩ - يعمل الطرفان معا من أجل شـــرق أوســـط مستقر وآمن بما فى ذلك حل المشاكل الإقليمية والفلسطينية واللبنانية والإيرانية أيضاً.

ثانياً : الميـــاه :

١ - تسيطر إسرائيل على الاستخدام والنظام المائى فى أعالى نهر الأردن وبحيرة طبرية.

٢ - سوريا لا تقطع أو تعيق التدفق الطبيعى للمياه بالكمية أو النوعية فى أعالى نهر الأردن فى مصادرة وفى بحيرة طبرية.

٣ - الاستخدام السورى لمياه أعالى نهر الأردن فى مصادرة وبحيرة طبرية لأغراض السكن والصيد معترف به ومضمون.

ثالثاً : الحديقــة :

ولضمان مخزون المياه فى حوض نهر الأردن فإن الأرض السورية شرقى الحدود المتفــق عليها تخصص لحديقة مفتوحة للجميع وتديرها ســوريا وتقام الحديقة فى هضبة الجولان بعد اســتكمال الانســحاب الإسرائيلى وتطبيق السيادة السورية بما يتفق مع معاهده السلام وتقام الحديقة وفق الحدود المتفق عليها باتجاه الشرق حتى خط يتقرر بالاتفاق المتبادل :

١ - الحديقة مفتوحة للسياحة.

٢ - حفظ أمن الحديقة بطاقم سورى لحمايتها.

٣ - لا ســكان دائمــين بالقــرب منها باســتثناء فريق للحراســة وفرض القانون.

٤ - لا ضرورة لتأشيرة دخول إلى المكان من الأراضى الإسرائيلية.

٥ - السوريون يصدرون فى المكان إذن دخول فى مقابل رسم (تذاكر).

٦ - الــزوار الذيــن يرغبون فى الدخول إلى الأراضى الســورية شــرقى الحديقة مطالبون بالحصول على تأشــيرة دخول مناســبة أن يعبروا المراقبة السورية.

٧ - الدخــول إلى المنطقة يســرى مفعوله ليوم واحد على مدى ســاعات النهار.

وفــى النهاية فإننــى أرى أن ملخص الاتفاقية يعنــى أن الجولان ملك سوريا وضيوفها الكرام الدائمين ..

الفصل الرابع

إيران والعراق
العراق فى قبضة إيران

السفير الإيرانى فى بغداد حسن كاظمى قمى يترأس اللجنة الأمنية فى العراق، والإيرانى جمال جعفر الإبراهيمى عضو البرلمان العراقى هرب قبل خمسة أشهر من ملاحقة أمريكية بعد اكتشاف مسئوليته عن تفجير السفارتين الأمريكية والفرنسية فى الكويت عام ١٩٨٣، وهو واحد من ١١ إيرانيا منتخبين فى البرلمان ، وهم ضمن الائتلاف الشيعى وتم انتخابهم بأوراق مزورة جاءوا بها عبر شاحنات من إيران، وجميعها تحمل علامة واحدة هى ٥٥٥ أى الائتلاف الشيعى الذى تم إعلان فوزه بأغلبية مقاعد البرلمان، وشكل الحكومة الحالية.

أما عبد العزيز الحكيم ونورى المالكى وباقر صولاغ وغيرهم من الحكومة الحالية فأعضاء فى فيلق القدس التابع للحرس الثورى الإيراني، ومنظمة بدر هى الجناح العسكرى للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وتعد جزءاً من منظمات عسكرية أوسع، تبدأ ببدر واحد وتنتهى ببدر تسعة، وكل بلد حول إيران، عربى أو غير عربى، له رقم منظمة، تمهيدا لبناء إمباطورية فارسية، واعترف أحمدى نجاد رئيس إيران رسميا باحتلال العراق عندما قال إنهم مستعدون لملء الفراغ بعد الانسحاب الأمريكى.

هؤلاء هم قادة فرق الموت، ورؤساء الميليشيات التى تقوم بعمليات التفجير بالسيارات المفخخة، وقتل كل أعضاء الجيش العراقى السابق، ورؤساء العشائر، والعلماء والطيارين وظهر دورهم البارز فى عملية الزرقا «فى محافظة النجف الواقعة فى منطقة الفرات الأوسط عندما قتلوا وجرحوا الآلاف من أبناء الشيعة متهمين إياهم بأنهم من منظمة إرهابية

تدعى جند السماء، غير أن هؤلاء الناس كانوا قد بدأوا يعلنون عن رفضهم وجود هذه الأحزاب الإيرانية، فكان الانتقام منهم شـديداً ورهيبا، نسـاء وأطفالا وشـيوخا ورجـالا، ومن قام بتصفيتهم «فيلـق القدس» الإيرانى، بمسـاعدة الطائـرات الأمريكية، ويترأس هذه الشـخصيات مسـئولون إيرانيـون فى أجهزة الأمن المختلفة، ويقف على رأس هؤلاء فروزندة الذى قام بتنفيذ إعدام الرئيس العراقى صدام حسـين صباح عيد الأضحى فى ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦، ويشرف الآن على إعدام كل الوطنيين العراقيين وإلقاء جثثهم فى الأماكن المجهولة، وتفجير الأضرحة والحسـينيات والمسـاجد والجامعات لاختلاق فتنه طائفية، وطالت أعماله حتى الأسـواق الشعبية ثم اتهام تنظيمات أخرى بها، سـواء المقاومة المشروعة أم تنظيم القاعدة، ولذلك خلقوا «قاعدة مرتبطة بإيران تقوم بهذه الأعمال الوحشية.»

هذا الكلام الخطير كشـفه لـ الأهرام العربـى» محمد الداينى، عضو البرلمـان العراقى، ولأنه خطير ويحمـل اتهامات واضحة لأعضاء البرلمان العراقـى ولحكومة نورى المالكى، بادرنا الداينى بتقديم بعض الوثائق التى حصـل عليها بوصفه عضوا عن محافظة ديالى، شـمال بغداد، والمتاخمة لإيـران من ناحية الغرب، ونائباً عن الشـعب العراقـى، كما حصل عليها مـن خلال اختراق مجموعته الوطنية، حسـب وصفه، لكل أجهزة الدولة، مؤكدا أن العراق من شماله إلى جنوبه مخترق من كل الأجهزة، سواء كانت وطنية أم تابعة للاحتلال الامريكى أم الإيراني، إضافة إلى جهاز الموسـاد الإسرائيلى وغيره من أجهزة دولية وإقليمية جاءت بعد الغزو الأمريكى فى عام ٢٠٠٣.

كنـا نحن قبل أن نلتقيه حصلنا على وثائق من مصادرنا الخاصة لاتقل خطـورة عما قدمه لنا الداينـي، الذى بدوره أطلع عليهـا وأكد صحتها، إحدى هذه الوثائق رقم /٣٨٤٠ ص. م بتاريخ ٢٠ - ٤ - ٢٠٠٦ رفعها بيان جبر الزبيدى «باقر صـولاغ» وزير الداخلية فى حكومة إبراهيم الجعفرى السـابقة ووزير المالية الحالى، إلى رئيس الوزراء يطالب فيها بدمج «فيلق

بـدر» فى أجهـزة الداخلية والدفاع، وتبـدأ به . إلى دولـة رئيس الوزراء المحترم : السـلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه نحيل إليكم طلبات منظمة بدر المقدمة إلينا باعتبارها رئيس لجنة دمج الميليشـيات، ولشمولهم بهذا القانون وحسـب الأمر (٩١ الخاص بدمج الميليشيات فى القوات المسلحة، وبناء علـى الأمر الصادر من مجلس الـوزراء المرقم /٢/١/١٢/٨٩٨ فى ١٠ - ٨ - ٢٠٠٥، نرفق لكم أسماء الواجبة الأولى من الضباط من منظمة بدر، والتى تبدأ بالتسلسل رقم (١العميد صادق عبد العظيم الحلو، وتنتهى بالتسلسل (١١١٧ الملازم ياسين عبد الرضا دخل الحسانى).

للتفضل بتعيينهم ومنحهم رتبهم حسـب خط خدمتهم فى منظمة بدر وتنسيبهم إلى وزارتى الداخلية والدفاع حسب التوافق بين الوزارتين وتنفيذ أوامركـم للوزارات ذات الشـأن بتنفيذ القرار، ونقتـرح لجنة من وزارتى الداخلية والدفاع لقبولهم حسـب الأصول واسـتنادا للأمر٩١.. مع فائق الشكر والتقدير.. المرفقات قائمة بأسماء الضباط. نسخة منه إلى المكتب الخاص للمتابعة.. توقيع باقر جبر الزبيدى.. رئيس لجنة دمج الميلشـيات وزيـر الداخلية.. «وقـد رد الجعفرى على هذا الطلب بالموافقة بتأشـيرة تحمل لا مانع ، ثم توقيعه الذى حمل اسم إبراهيم الاشيقر الجعفرى.

وثيقة أخرى تحمل نفس العبارات السابقة من حيث الديباجة والصياغة، ولكنهـا مؤرخة فى ٤ - ٥ - ٢٠٠٦، تحـت رقم ٥٠٠/٥//ص.م، ويطلب فيهـا باقر صولاغ ضم أعضاء حـزب الله العراقى كضبـاط فى وزارتى الداخلية والجيش، ويبدأ التسلسـل رقـم (١عباس فاخر البهادلى وتنتهى بالتسلسل (٢٥٠ سعدون عبد السـتار عبد، وكانت تأشيرة الجعفرى هذه المرة بـ لا مانع حسب الأصول القانونية» .

أمـا بقية الوثائق فعبارة عن أوامـر إدارية تنفيذية عاجلة لإلحاق هذة العناصر فى مفاصل الدولة العراقية أما الأخطر فهو ما أشار إليه الداينى بأن هذه العناصر تم الحاقهم بالعراق رغم أنهم من فيلق القدس الإيرانى

ويحملون الجنسية الإيرانية ويصرفون رواتبهم من الحرس الثورى الإيرانى ومن الدولة العراقية فعلى سبيل المثال كشفت مصادر عن أعضاء جيش القدس الإيرانى فى وزارة الداخلية العراقية وهم **أولا** : أقسام وزارة الداخلية ونائب وزير الداخلية أحمد الخفاجى رئيس العمليات محمد نعمة، نصير الحسان، مستشار وزارة الداخلية مهدى صالح العزاوى، رئيس فرقة نزع المتفجرات، اللواء جهاد البيبدى، مستشار وزارة الداخلية اللواء عبد الخضر ضاهر، المتحدث الرسمى باسم وزارة الداخلية اللواء عبد الكريم خلف.

ثانياً : المحافظون محافظ بغداد حسين الطحان عمدة بغداد ساهر الفيصل رئيس مجلس محلى بغداد نعيم الكاظم محافظ البصرة السابق حسن الرشود محافظة المثنى محمد الحسينى محافظ النجف أبو سعد أبو طلال نائب محافظ النجف عبد الحسين عبد الرضا باقر ابتان.

ثالثاً : قادة الشرطة ميسان إسماعيل كاظم قائد شرطة الانقاذ اللواء على الياسين قائد شرطة ديالى السابق اللواء غسان الباوى قائد شرطة سامراء اللواء رشيد فليح قائد الحرس الحدودى اللواء عبدالرضا كاظم.

لكن كيف جرى ذلك تحت سمع وبصر الولايات المتحدة؟

يقول الداينى بعد انهيار دولة العراق ودخول الولايات المتحدة الأمريكية البلاد سمحت الولايات المتحدة الأمريكية بتغلغل المخابرات الإيرانية مثل فيلق القدس الحرس الثورى جهاز اطلاعات ــ المخابرات الإيرانية ـ كما عملت على أن تكون جزءاً من الوضع السياسى فى العراق، فدخلت البرلمان وشكلت الحكومة، وتغلغلت فى الوزارات المختلفة، النفط والصحة والنقل، وتلك الوزارات تحديداً تسيطر عليها أجهزة مخابرات إيرانية، وأذكر وأنا من محافظة ديالى الحدودية مع إيران كنت والمحافظ نلقى القبض على متسللين إيرانيين ونسلمهم للقوات الأمريكية ولكن المفاجأة أنها كانت تطلق سراحهم على الفور.

ولعلنا لا ننســى - والكلام للداينى - أن الرئيس الســابق محمد خاتمى قبــل نهاية ولايته وصعود أحمدى نجاد مكانه صــرح بأن على أمريكا ألا تنسى مســاعدتنا لها فى أفغانســتان والعراق، وجاء تصريح خاتمى بعد تصاعد الضغوط الأمريكية على إيران فى ملفها النووى.

أما المفارقة المثيرة للدهشة فهى أن الحدود العراقية حتى هذه اللحظة ســائبة، فلا توجد شــرطة عراقية ولا جيش عراقى أو أمريكى ولا حرس حــدود ولا أبراج مراقبة، فى حين أن أمريكا تتهم بلدانا عربية أخرى مثل سوريا بفتح الحدود لعبور المقاتلين إلى العراق، ونحن نعلم أن حدود سوريا مع العراق محصنة بساتر ترابى، وتراقبها أمريكا بدقة على مدار الساعة، ولا تتجــاوز هذه الحدود ٦٠٠ كم، فى حين أن الحدود الإيرانية مع العراق يبلــغ طولها ١٤٨٧كم ، ولا وجود للأمن فيها ســواء مــن أمريكا أم العراق الحالى..

فالوجــود الإيرانى الكبيــر فى العراق جاء حســب الداينى مع وصول الميليشــيات المســلحة أولاً، ثم من الحدود المفتوحة، ويكشف الداينى عن مفارقــة لم يتوقف أمامها أحد إلى الآن، وهى أن عدد ســكان العراق إلى ســاعة الغزو كان ٢٢ مليون نســمة، لكنه تحول فى أثنــاء الانتخابات إلى ٢٨ مليون نســمة، ويتســاءل ويجيب لقد جاء الفارق من إيران، وفى أثناء الانتخابات أدلوا بأصواتهم لصالح (٥٥٥ قائمة الائتلاف الشيعى الموحد، إضافــة إلى التريلات المحملة بأوراق انتخابية مزورة باســم نفس القائمة وأمســكت بها قوات الاحتلال الأمريكى، لكن أحدا لم يعرف إلى الآن أين ذهبت هذه الأوراق رغم علم الأمريكيين بها؟

لكــن كيف حصل محمــد الداينى على هذه الوثائــق؟ وما الدليل على صحتها ومصداقيتها؟ يجيب على الفور : لســت مواطنا الآن فحسب، بل أنا عضو برلمانى عند الشعب العراقى واعتبر نفسى ممثلا للقوى الوطنية المناهضــة للاحتلال فى العــراق. والقوى الوطنية العراقيــة ينتمى إليها

كل من هــو عراقى، بعيدا عن الطائفية والمذهبيــة، وجميعها ينتمون إلى مؤسسات راســخة، وهذه المؤسسات الوطنية بها ملايين البشر الوطنيين، ونحن نخترق جميع هذه المؤسسات مثلما هى مخترقة من قبل إيران ومن قبــل المحتــل، وواجبنا فى هذه المرحلة كالتزام أخلاقــى وطنى أن نتعامل بحجم خطــورة الاحتلال، وفى العراق احتــلالان: أمريكى وإيرانى، وهذا الأخير أخطر من الأمريكي، لأن لديه أبعادا توسعية تمتد إلى بلدان عربية أخرى لتصدير ما يسمى بالثورة الإيرانية، ولدينا هذه الوثائق.

ويضيف مثلا لدينا وثيقة بتوقيــع نورى المالكى رئيس الوزراء العراقى بتاريخ ١٠ - ٨ - ٢٠٠٦ يأمر من خلالها بإطلاق ســراح ٤٤٢ إيرانيا قبل زيارتــه لإيران، ولدينا ملفات أخــرى من خلال اطلاعنا على كل القرارات التــى تشــرع فى البرلمان، وهناك قــرارات يتم التصديــق عليها فى هيئة الرئاســة وتنشــر فى الوقائع الرسمية، ونتســاءل لماذا مادامت تنشر فى الوقائع لا تعرض على البرلمان؟ وليس هذا فحسب، بل لدينا ملفات بتوقيع المالكى بخصوص تصفيات لقوى سياســية معينــة، وفيها يخاطب الجهة التــى يعمل معها ويأخذ توجيهاته منها ونعنى إيــران، هذه الوثائق بتوقيع السفير الإيرانى فى بغداد حسن كاظمى قمى الذى يترأس اللجنة الأمنية العراقية، وعندما كشــفنا ذلك قبل أشهر أنكروا، ولكنهم أثناء مفاوضات أمريــكا وإيران فى بغداد فى جولتــى التفاوض بين الطرفين المحتلين كان قمى على رأس المفاوضين الإيرانيين، وهو نفسه من يترأس اللجنة الأمنية فى العراق.

وعن حجم فرق الموت وفرســان مالطا والإسرائيليين فى العراق، يقول الداينــى: إن أمريــكا عندما جاءت للعراق وجدت مقاومــة كبيرة، لم تكن فى حســاباتها، فأرادت أن تشــوه المقاومة فأطلقت على فصائل المقاومة تســميات لا ترتبط بها، واتفقت مع إيران والصهيونية الإسرائيلية، وخلقت قاعدة مرتبطة بإيران مســئول عنها شخص اسمه فروزندة مرتبط بفيلق القدس وارتبطت بها ميليشيات للتصفيات الجسدية.

والمالكــى وحكومته يعرفون بهذا الأمــر، وقد عملوا على زج الكثير من أرباب الســجون والســوابق إلى وزارات الدولة، ومــن يعمل بفيلق القدس قتلوا أغلــب ضباط الجيش العراقى خلال المعركة مع إيران واســتهدفوا الوطنين العراقيين وشيوخ العشائر.

ويواصــل الداينــى : إن أمريكا ضمن خطتها تســتهدف حتى المواطن البسيط الذى يبيع الخضار فعندما ينام الناس فى بيوتهم يستيقظون على جثث مجهولة مرمية فى الشــوارع، فمن أين تجئ هذه الجثث؟ فالمواطنون يعتقلون من بيوتهم بدون أوامر قضائية وبعدها يرمون فى الشوارع ، وهناك العديد من الأطباء وقبل شــهرين ألقى القبــض على على دقدوق اللبنانى المرتبط بحزب الله ومرتبط بفيلق القدس الإيرانى ويصرف شــهريا من ٧ إلى ١٠ ملايين دولار ومهمته قتل المواطن العراقى فى كل مكان، وســيأتى اليوم الذى نفضح فيه هذه الملفات.

ولمــاذا يطرح عبد العزيز الحكيم فيدراليــة الجنوب؟ يقول الداينى إن المجلــس الأعلى والذى يعتبر خامنئى الأب الروحى له هو مؤسســة تابعة لفيلــق القدس وتســمى ٩ بدر، وهى هيكلية تنطلق مــن العراق إلى بلدان أخرى، لكن ٩ بدر هى مؤسســة من مؤسســات فيلق القدس يترأسها فى العراق عبد العزيز الحكيم، أما قادة فيلق القدس الآخرون فهم مســجدى فروزندة وقاســم ســليمانى، هذه المؤسســة يرتبط بها من كان يعيش فى إيــران ومن بينهم المالكــى وحزب الدعوة وثآر الله وشــهيد المحراب، أما لماذا يصرون على الجنوب؟ ففى اعتقادهم بأنهم ســيطروا على أهلنا فى الجنوب ولكن من خلال متابعتنــا للأحداث، فإن الجنوب انقلب كلياً على الحكيم وعلى الأحزاب المرتبطة بإيران.

ويعود بنــا الداينى إلى لحظة إعدام الرئيس صــدام التاريخية وكيف أن الإشــارات كانت تقــول إن هناك تخطيطا لإخراج صــدام فيقول، من أعدم صدام هى إيران وتحديــداً فروزندة قائد فى فيلق القدس الإيرانى

وأعدمه فى بغداد، وبعد إعدامه بساعات خرج اغا محمدى مسئول الملف العراقــى بمكتب خامنئــى وقال هنيئاً بإعدام الطاغيــة صدام وقد أعدم بأيدى المؤسســات الإيرانية، أنا هنا لا أريد الدفاع عن صدام ولكنى أتكلم عنــه كمواطن، لكن إصدار الأحــكام التنفيذية بإعدام صدام مخالفة، لأن الدســتور يقول : عن صدور الأحــكام لا يتم إلا بالمصادقة عليه من رئيس الجمهورية ونائبيه فما دخل المالكى بتوقيع إعدامه كمواطن عراقى؟ وهذه مخالفة دســتورية وسيأتى اليوم الذى يحاسب فيه المالكى على هذا الأمر، وهنــاك ملف فى الكونجرس بهذا الأمر وســيظهر خــلال الأيام القريبة ويضيف الداينى، اعتقد أنه فى الأيام القريبة ســتتخلى أمريكا بشكل كلى عن المالكى، وأن العــد التنازلى قد بدأ فعلا، مئات الآلاف قتلوا فى ولاية المالكى، وسيغير المالكى من خلال البرلمان العراقى.

وعن توقعاته للمرحلة المقبلــة فى حال تغيير المالكى، يقول الداينى إن الوضع ســيبقى فى العراق غير مستقر، ويؤثر سلبياً على المنطقة، وكانت هناك مشاريع بديلة، فأمريكا كانت قد بدأت بتقوية جهة على جهة أخرى كانــت فى يــوم ما قد ظلمتها، ولكن نحن لا نريد ذلــك ولا نريد أن نتكلم بطائفية فقط نريد حكومة مهنية تكنوقراط وانتخابات مبكرة فى العراق، ولا تعطــى الأجهزة الأمنية للميليشــيات، واعتقد أن أمريكا إن فعلت ذلك ربما تخرج من العراق بما يحفظ ماء وجهها.

وعن أبرز ما كشــفه الداينى يقول : كشــفت كثيراً من السجون السرية مثل ســجن الجادرية، وسجن لواء الذئب وسجن ســاحة النسور، وسجن ديالى، والأخير سجن رهيب ومرعب، واستطعت بمعونة وطنيين أن أصور بالفيديو عمليات اغتصاب الرجال، وكيف يتم جلب زوجات السجناء وبناتهم ليجبروهــم على الاعتــراف بجرائم لم يرتكبوهــا وإلا زنوا أمامهم بهؤلاء النســوة، ورأيت كيف كان يتم قلع الأظفار، وشــاهدت التابوت الكهربائى كان من أبشع أنواع التعذيب، وفور حصولى على هذه الأدلة عرضتها على الفضائيات قبل عرضها علــى البرلمان لأن بعض البرلمانيين متورطون فى

التعذيب، وصورت فيلما وثائقيا مع قناة البى بى ســى وكان صادما للرأى العام الأوروبى والأمريكى..

وبعــد أن شــاهد الرأى العــام العالمى تلك الصور، خصوصا الشــارع الأمريكى بدأ يتفاعل، ويعرف حقيقة ما يجرى فى العراق من قبل الاحتلال فوجهــت لى دعوة مــن الكونجرس الأمريكى فى أبريــل، وكان لى برنامج مطول فى الولايات المتحدة، وكشــفت خلاله حقائق دامغة، كان لها صدى كبير على الوضع السياســى الأمريكــى، وزادت من الضغوط على الرئيس الأمريكى جورج بوش وعلى الحكومة العراقية الحالية، وشرحت لهم كيف أن السفير الإيرانى هو الذى يدير الأمور فى البلاد.

ويقــول الداينى إن أعضــاء الكونجرس كانوا جاهلــين بما يجرى فى العــراق، وكانوا يتصورون أن هناك إعماراً ورفاهيــة، قلت لهم إن العراق رقــم واحد فى الجثــث المجهولة وفقدان الخدمــات والتهجير، وأكثر من نصف مليون مفقود، وإن النســاء يتم الاعتداء على شرفهن. وأخبرتهم أنه بفضــل المقاومة العراقية نقلت المعركة إلى معركة أمريكية ـ أمريكية، وبدأ الصراع ينتقل إلــى الكونجرس وإلى البنتاجون وبدأ بوش يواجه مصاعب وتحديات كبيرة، والأيام القليلة المقبلة ستكون حبلى بالمفاجآت.

وعندما اندهشــوا مما يجرى حقيقة، ســألونى عــن الحل فقلت لهم عليهم برحيل قواتهم عن العراق، وساعتها سيسقط المالكى وكل من جاءوا معه، والعراقيون قادرون على تخليص أنفســهم من الاحتلال الإيرانى، فلا توجد صراعات طائفية، وعندما تســاءلوا عن الإرهاب قلت لهم بصراحة أنتم من جاء بهؤلاء وســيخرجون معكم، وقدمت لهم الوثائق الدامغة، ومن يومها ووفود الكونجرس لا تنقطع عن العراق لكشــف ما يجرى، وأحسب أن هذا إنجاز للعراق والعراقيين.

وعن لمــاذا لم يقدمها للنظام العربى الرســمى، وجامعته العربية أولاً، قال الداينى: إن النظام العربى الرســمى خائف على كراســيه من أمريكا

رغم أن المقاومة العراقية أثبتت أن أمريكا مجرد أكذوبة، ومع ذلك التقيت مسئولين فى الجامعة العربية وأطلعتهم على الأوضاع الواقعية، كما سلمت ملفات إلى كثير من الدول العربية ولكن لا جدوى من المواقف الرسمية، وهى غير مشجعة، بينما الموقف الشعبى مشرف.. ولكن البلدان العربية بدأت أخيرا تتخذ بعض المواقف حيال ما يجرى خوفا من النفوذ الإيرانى المتنامى الذى بدأ يهدد مصالحها الإستراتيجية.

وعن تلقى أعضاء الكونجرس لمفهوم المقاومة العراقية، وهل لها رأس وقاعدة. وهل لديها مشروع لتكون بديلا شرعيا؟ قال الداينى: أولاً أريد أن أشير إلى أن المقاومة العراقية وحدها دون كل حركات التحرير العالمية على مدى التاريخ الإنسانى لم تحصل على أى دعم من أى بلد، وهذه المقاومة الباسلة تدخل عامها الخامس وتقاتل عنجهية وغباء القوة الأمريكية، وقد لايعرف كثيرون أنها بدأت بعد الاحتلال بساعات، وفى بادئ الأمر كانت على شكل مجاميع صغيرة، وصارت تكبر وأصبح لها رؤوس وقيادات، ولكن لايستطيع أحد أن يتكلم عن هذه الرءوس فذلك يجب أن يبقى سرا للحفاظ عليها.

وفى هذا الإطار قدمنا مشروعاً للكونجرس الأمريكى يقوم على جدولة انسحاب القوات الأمريكية من العراق وفور الانسحاب سيهرب من جاء بهم الاحتلال على ظهر الدبابات وأذناب النفوذ الإيرانى، وقلنا لهم سنجلب الكل المتخاصم مع العملية السياسية بمن فيهم المقاومة العراقية، فسألوا كيف نأتى بمن قتلوا أبناءنا من الأمريكيين ونتفاوض معهم؟ قلت لهم تتكلمون عن بضعة آلاف بينما أنتم قتلتم أكثر من مليون عراقى، وأرقام الصليب الأحمر تؤكد أن هناك أكثر من مليون مفقود، وهناك أربعة ملايين مشرد ولاجئ فى العالم، وأنتم أيضاً دمرتم وسرقتم أكثر من ١٢ ألف قطعة أثرية فى العراق، وأكدت لهم أننى أعتبر أن العراق من البلدان المنكوبة.

وعندما سـألوا عن ارتباط إيران بالمقاومة، أكـدت لهم أنها لا ترتبط بإيران، بل هى من الجيش المنحل، فأكثر من ٢٥٠ الفاً من الجيش العراقى هم فـى فصائل المقاومة الآن وقلـت إن مجئ القـوات الأمريكية للعراق هو لسـرقة ثروات العراق النفطية والاقتصادية، وعلى سبيل المثال قانون النفـط لا يمكن أن يمر، وعندما تكلموا عـن موافقة مجلس الوزراء، قلت لهم إنه ليس سلطة تشريعية، وعددت لهم ثغرات هذا القانون، فهو كالثوب مفصل على مقاس الشركات الأمريكية والبريطانية. وأخيراً أوضحت لهم أن من جاء بالاحتلال هم خمسـة أشخاص يقف على رأسهم بوش وهؤلاء الأشخاص يمتلكون الشركات النفطية ويريدون نفط العراق.

لكن الداينى رغم فضحه لأمريـكا وحكومة المالكى الإيرانية، واعتباره إنجـازا أن يصل إلى الكونجرس والرأى العام العالمى فإنه بدأ متشـائما، وقـال إن المرحلة المقبلـة صعبة جدا على الشـعب العراقى وعلى القوات المحتلة والقوات الإيرانية لكن فى الحصيلة النهائية ستفلح القوى الوطنية، وأعتقد أنه بعد منتصف سـبتمبر أمريكا ستغير إستراتيجيتها فى العراق ليس من أجل الشـعب العراقى بل من أجل مصالحها الخاصة، وستخضع لإرادة الشـعب العراقى وأخيراً أقول تعليقـاً على حديث الداينى للأهرام العربى بأنه بدأ الانسـحاب مـن العراق فى نهايه فتـرة أوباما ولكنها لم تؤمن بالانسـحاب الكامل وعلق أحد الساسـة العراقيين على ذلك بقوله متى خرجت أمريكا بكاملها من دولة دخلتها حتى تخرج من العراق؟؟ حقاً وصدقـاً تلك المقولة لأنها لم تخرج كاملاً مـن اليابان وكوريا حتى الآن.. وتلك هى سنة الاحتلال .....

الباب الخامس

رؤيـــة

الفصل الأول

رؤية صانعوا السياسة

وهـى رؤية هامـة للغاية أيضاً لأنهـا من مهام التواجد على السـاحة السياسـية حيث يقول هنرى كيسـنجر أن ثمة أمم قليلة فى العالم تملك الولايات المتحدة أسباباً أقل للتشاجر معها أو مصالح أكثر توافقاً مما هو الحال مع إيران .. ورغم أن الشـاه فى السـبعينيات أصبح رمزاً للصداقة بـين البلدين فهذه المصالح لم تعتمد على شـخصية واحـدة فهى تعكس حقائق سياسـية وإستراتيجية لاتزال مسـتمرة إلى يومنا هذا فليس لدى الولايات المتحـدة مصلحة يمكن تخيلها فى السـيطرة على إيران؟! وكما يدعى الحاكمون الآن .. ولكننى لا أسـتطيع مـع كل هذا فهم تلك المقولة وإلا فلماذا كل هذه الأحداث والتصعيدات الإعلامية؟! ثم يعاود القول أنه فى أثناء الحرب الباردة كانت مصلحة أمريكا فى المحافظة على استقلال إيران بعيداً عن خطر الاتحاد السـوفيتى وهو المصدر التاريخى للضغوط والاعتداءات على تلك الدولة؟! وهنا أعاود القول ولماذا إذاً كان حلف بغداد ولمـاذا كان تجمع الهلال الخصيب فى هذه الفتـرة إذاً؟! وتجاهل التدخل البريطانى بحجة الدفاع عـن الهند والطرق البحرية الموصلة إليها؟! وفى الحقيقة مستر هنرى ففى خلال الحرب الباردة ساعدت إيران فى مقاومة الضغط السوفيتى على أفغانستان ومنعتها من الدخول إلى الشرق الأوسط ــ أليس كذلك؟! والحقيقة مسـتر هنرى أن مصلحة أمريكا تماشـت مع مصالح شـاه إيران فى هذه الفترة وما كان الامتنان الأمريكى العميق وليد العاطفة بقدر ما كان تقديراً لأهمية جغرافية إيران وموقعها الاستراتيجى الهام ومواردها ومواهب شـعبها أيضاً؟ ويقـول هنرى أيضاً بأنه لا يوجد حافز سياسـى أمريكى للعداء مع إيران غير أن إيران مسـتمرة فى توفير الأسـباب التى تبقى أمريكيا بعيـده عنها فقد عبرت الولايات المتحدة من

خلال العديد من الإدارات عن استعدادها لتسويه العلاقات مع إيران؟! لما يمكنها أن تلعب دور حيوى وحاسـم أحياناً فى الخليج والعالم الإسـلامى (وهنا يكون مربط الفرس وعمود الأمر وذروه سنامه كما يقول العرب وإن أغضبك ذلك) ويرى كيسنجر أن العقبة الأساسية متمثله فى حكومة طهران لأنه منذ الإطاحة بالشاه سنه ١٩٧٩ والحكم فى إيران منخرط فى سلسلة خروقـات لمبادئ السـلوك الدولى المقبول والموجهة فـى العديد منها ضد الولايات المتحدة وإسرائيل فما بين سنة ١٩٧٩ وسنة ١٩٨١ احتجز طلاب إيرانيون خمسـين دبلوماسـياً أمريكياً كرهائن لمدة أربعين شهراً (تجاهل هنـرى إيران جيت أيضاً) وعاود القول أن المنظمات الممولة والمدعومة من طهران مسئولة عن عمليات اختطاف استهدفت أمريكيين وغربيين آخرين فى بيروت كما وفـر النظام الإيرانى الدعم الأساسـى للمجموعات التى قتلت عدة مئات من الجنود الأمريكيين فى بيروت..

كما أن الدلائل الموجودة تشير إلى أن مجموعات ترعاها إيران هى التى فجرت الثكنات العسـكرية الأمريكية فى أبراج الخبر فى السعودية والتى أسفرت عن مقتل تسعة عشر أمريكيا عام ١٩٩٦ وفى فرنسا جرى اغتيال مسـئول إيرانى ومعارض (سـابق) من قبل عملاء إيرانيين أطلق سراحهم لاحقـاً فى عمليـة تبادل مقابل الإفراج عن رهينة فرنسـية احتجزت فى بيروت وأصدر آيات الله الإيرانيون حكما بقتل سـلمان رشدى لم ينقضى حتى الآن؟! كما أن إيران فى النهاية فعلت ما فى وسعها لأضعاف دبلوماسية السـلام فى الشرق الأوسط فطهران هى الراعية لحزب الله الذى يستمر فى مقاومة مسـلحة للسـلام مع إسـرائيل؟! كما تقدم دعماً مادياً كبيراً لحركة حماس والجهاد الإسـلامى اللتين تدعيان المسـئولية عن هجمات ضد المدنيين الإسـرائيليين.. والسؤال هنا كما يطرحه هنرى كيسنجر بعد أن أورد سلسـلة المخالفـات الإيرانية منذ بداية النظـام : هل من الممكن إنشـاء علاقة ترتكز على عدم الاعتداء المتبادل؟! وفى هذا السؤال أيضاً يوجه عينة على الشـركاء الأوروبيين؟! وذلك بسؤال أخر وهو هل الاندفاع

نحو طهران سـيكون عقبه فـى العلاقات مع أوروبـا؟! ويحدث ذلك فى خضم الإصرار الأوروبى أيضاً على ما يسمونه «بالحوار الحرج» مع إيران بغرض استكشـاف احتمالات تلطيف سياسـة إيران.. وفى الحقيقة فإنه توجد شروط مسبقة ومحددات هامه تحددها أمريكا والمجموعة الأوروبية تتمثل فى :

أولاً : التخلى كلياً للنظام الإيرانـى عن تصدير الثورة بالقوة والتدمير وكبح الإرهاب.

ثانيـاً : وقـف التدخل فى دبلوماسـية (خطة) السـلام فى الشـرق الأوسط.

ثالثاً : يتعين حصول تقدم بالنسبة إلى حيازة إيران للصواريخ والأسلحة النووية.

ويرى أن على إيران إن كان هناك اسـتعداد جدى للتقدم نحو تحسـين العلاقـات الأوروبية الأمريكية أن تقوم بسلسـلة من الخطـوات المتوازية والمتبادلـة نحو تحقيق تقدم ملموس وأن صعـب ذلك على إيران فيمكنها البحث فى ذلك سراً وخلف الأبواب المغلقة؟!

ومن هناك يمكنك أن ترى عزيزى القارئ الهوة الواسـعة بل والمسـافة الشاسـعة بين الرؤية الإيرانية والرغبة الأمريكية التى تتحرك وفقاً لمكانة قمة الإمبراطورية والمصالح الغربية والأمريكية فى رغبة فى التلاقى ولكن إلى متى يكون ذلك.. لست أدرى..

الفصل الثانى

أمريكا .. روسيا .. الصين

سياسة تقليم الأظافر لإيران

إن موضوع إيران وملفهـا النووى ومحاولاتها دخول النادى النووى كان من الواضح والظاهر من البحث فيه - والذى فرض نفسه على الساحة الدولية - أنه متشابك ومتداخل إلى درجة يصعب معه الحل أو الاتفاق وقد يؤثر على باقى دول المنطقة أو العالم بأسره.. وسوف نحاول السير فى جوانبه ومعطياته بحيادية أساسها الفهم والاستنتاج.. ولذا كانت النتائج أفضل كثيراً من المتوقع.

أولاً : أمريكا :

تعاملت مع القضية بأسلوب المنح والعطاء بنظرية المصالح تغطى على أى خلاف أيديولوجى أو عقائدى فالمصلحة لابد أن تكون هى الأرضية المشتركة أو نقطة التلاقى مع إظهار الظلال السيئة من بعيد ولنبدأ من البداية.

١ - قام إيهود اولمرت رئيس وزراء إسرائيل بزيارة الصين ولمزيد من التعاون.. مع تغطية عاطفية تثير الشجون بأنه ذاهب لزيارة قبر والده المدفون بالصين والذى فر إليها هرباً من الاضطهاد هو وأسرته وسعياً نحو الاستقرار.. ومات ودفن بالصين.. وفطنت الصين لتلك الزيارة فقامت بإعداد المقبرة والطريق إليها ليكون مناسباً ولا ئقاً برئيس وزراء إسرائيل المقبل، وقبل وصوله كان حوالى ٣٠٠ عامل وفنى ومهندس قد أعدوا المقبرة والطريق إليها على أحسن ما يكون وكان الترحيب كاملا واللقاء وديا للغاية.. أما الحقيقة فإن «أولمرت»

كان يعرض على الصين المزيد من التعاون فى كل المجالات وخاصة فى المجـال التكنولوجى العالى والمحظور عليها من الدول الغربية وأمريكا بمعرفتهـا وعن طريقهـا بهدف أن تبدى الصـين المرونة المطلوبة فى الأمم المتحـدة عند النظر فى المشـكلة الإيرانيـة ويعتبر هذا هو لب الزيارة ولكن على ما يبدو كان الأمر تحت رعاية وغطاء أمريكى ولكن لـم تكن بالقدر المطلوب أو على ما كانت تتوقع أمريكا وعندما سـأل لإيقاف البرنامج النووى الإيرانى كانت الإجابة «لقد مضى القطار من وقت طويل؟؟.

٢ - ثـم جاءت دعوة رئيس الصين لزيارة أمريكا لمزيد من العطاء وبالتالى مزيد من الالتزام والمطالب بالنسـبة لإيـران ولأن أمريكا تدرك خطة الصين الطموحة لتحقيق طفرة اقتصادية هائلة ولتبدأ المناوشات على كل المستويات والتى كان من الواضح أن كل طرف كان جاهزاً ومستعداً للآخر.

أ - فى حفل الاسـتقبال قـال المذيع الأمريكى «ويبدأ عزف السـلام الوطنـى لجمهورية الصين» .. وهـذا الخطأ جعل الوفد الصينى يشـعر بالضيق والحـرج لأن معنى هذه الكلمة هـى «تايوان» أما الصين فيطلق عليها جمهورية الصين الشـعبية، وسـرعان ما تم الاعتذار عن هذا الخطأ وكأنه غير مقصود كالعادة.

ب - فى محاولة للرد قام مسـاعدو الرئيس الصينى «جنج تاو» بتوزيع بيان مكتوب بعد وصوله يقول «إن الصين والولايات المتحدة دولتان عظيمتان ولدينا مصالح مشتركة كبيرة ولدينا تعاون راسخ ونتحمل مسئولية مشتركة لتعزيز السلام والتنمية فى العالم».

٣ - حاول وزير المالية الأمريكى «جون سنو» ورئيس الاحتياطى الفيدرالى «البنـك المركـزى» آلان جرينسـبان» إرضاء الصـين بتحذير من أى حظـر تجارى على الصين فى الوقت الحالـى وذلك من خلال الإدلاء

بشــهادتيهما أمام اللجنة المالية فى مجلس الشــيوخ لأن ذلك يعرض الاقتصاد الأمريكى للمخاطر.

٤ - أعلنت الولايات المتحدة أن فائض النظام التجارى هو ٢.٢ مليار دولار لصالح الصــين وأن حجم التبادل التجارى معها ٢٠٠ مليار دولار وهو نوع من الدعاية والتذكرة.

٥ - أعلنــت أمريكا أنها على اســتعداد لتفهم احتياجــات الصين النفطية لإبداء مزيد من المرونة فى الأمم المتحدة.

٦ - عرض على الصين اســتعداد أمريكا لزيادة الاســتثمارات بسخاء من مبدأ المصالح المشتركة.

٧ - عرضــت أمريكا ما لم يتم عرضه من قبل على الهند قبل زيارة رئيس الصــين لأمريكا وذلك خــلال زيارة جورج بــوش للهند حيث عرضت عليها خمسه مفاعلات ذرية جديدة وموافقتها على عدم التفتيش على ٦ مفاعلات بعد أن وصل مجمل ما أصبح لدى الهندى إلى ٢٢ مفاعلا ذريــا ممــا أقلق الصين وهو نــوع من الضغط أيضا مــع وعد بتوريد وتطويــر الصواريخ أرض ـ أرض والطائرات أف ١٦ ـ أف ١٨ الحديثة وأســلحة تقليدية أكثر من ممتازة وذلك أيضا لكى تضرب عصفورين بحجر واحد فذلك أيضا لكى ترفض الهند الاتفاق الذى كانت تســعى إليه مع إيران للتعاون فى مجال النفط والتســليح وهذا يعنى نوعا من الضغط على الصين ثم الإيحاء بنوع من القلق بالنســبة لإيران خاصة مع وجود حدود مشتركة يعنى تحويل الاتفاق إلى الاختلاف.

٨ - أما بالنســبة لروســيا فقد عرضت أمريكا شــيئا بالغ الأهمية وهو عدم الممانعة من الاقتراب من التكنولوجيا الأمريكية والغربية والتى طالما كانت روسيا تواقة للتداخل فيها بدلاً من الوقوف على حدود التماس معها.

٩ - تذكر أمريكا روســيا بأنها ساعدتها على الدخول فى مجموعة السبع الصناعية الكبرى لتصبح ثمانى وذلك فى يونيو ٢٠٠٢ والتى ســتتولى روسيا رئاستها فى صيف هذا العام ٢٠٠٦ .

ثانياً : روسيـا :

أما الموقف الروســى فى هذا الموضوع فيستند إلى عدة قواعد وأسس وهى:

١ - يبلغ احتياطى روســيا من النفط ٦٠ مليــار برميل وهى تحتل المرتبة الثانية كأكبر منتج ومصدر للنفط فى العالم بعد الســعودية حيث إنها تستأثر بنحو ٤٠٪ من الصادرات العالمية من النفط.. كما أنها من أكبر دول العالم من حيث احتياطى الغاز الذى يبلغ «١,٧» ألف تريليون قدم مكعب.. كما تنتج ٤٠٠ مليون طن من الفحم سنوياً.

٢ - يبلغ أسطول روسيا من ناقلات البترول حوالى ١٣٩ سفينة حتى ٢٠٠٥ وجارى بناء ٧٣ سفينة خلال الثلاث سنوات القادمة.

٣ - عرض الرئيس بوتين اســتعداد روسيا لأن تحل محل الشرق الأوسط كمصدر رئيسى للنفط لأوروبا والولايات المتحدة ذاتها.. وذلك كنوع من استعراض القوة والتأثير.

٤ - حجم صادرات الأسلحة الروسية فى ٢٠٠٥ يسجل رقماً قياسياً يصل إلــى ٦,١٣٦ مليار دولار وكان الجزء الأكبــر منه إلى إيران مما جعل عوائد صادرات السلاح الروسى فى المنزلة الثانية بعد صادرات النفط فى الدخل القومى الروسى.

٥ - مجمــوع الإنتاج الوطنى الروســى ارتفع بعد أحــداث إيران الأخيرة وصادرات الســلاح وأســعار النفط مــن ٤١٢ مليــار دولار إلى ١,٥ تريليــون دولار ولا يمكن لهذا المعدل العالى مــن النمو أن يعتمد على إمكانيــات ذاتية بدون التأثير والتأثر فى المواقــف الدولية والاعتماد على التعاملات الدولية الخارجية لكى يساهم كل ذلك فى هذا المعدل الخرافى.

٦ - يوجد أســس لسياســة خارجية متناســقة إلى حد كبير بين روســيا والصين وخاصة فيما يتعلق بسياســة موحدة تجاه الشيشــان وتايوان

ويســتطيع هذا الاتفاق أن يواجه أحادية السياسة الأمريكية ونواياها فى السيطرة العالمية.

٧- أعلن رئيس لجنة الشــئون الدولية بمجلس الشيوخ الروسى «ميخائيل مارجيلوف» عن اقتناعه بأن انتشــار قواعد عســكرية جديدة لحلف الناتو يقوض الاتفاقات الســابقة بين روســيا الاتحادية وحلف شمال الأطلنطــى».. وهذا يعنــى ضيق وقلق روســيا من المواقــف الدولية الأمريكية والتى تكاد تقترب منها.

٨ - وافــق بوتين على التنــازل لبكين عن ١٢٠ كيلو مترا مربعا من الحدود الروسية الصينية البالغ طولها ٤٣٠٠ كيلو متر.

٩ - خلال زيارات منتظمة شكل الرئيس الصينى «هوجنتاو» مع بوتن جبهة مشــتركة ضد أمريكا بشأن مســائل دبلوماسية كبيرة بدءاً من الطرق ووصولاً إلى طموحات إيران النووية وســوف يســعى الرئيس الصينى للحصول على تأييد روسى أكبر من أجل ضم «تايوان».

ثالثاً : الصيــن :

١ - بعد الجمود المســلح لقرابة ٥٦ عاما بين الصين وتايوان وعزم الصين علــى إهداء تايوان زوجــا وزوجة من حيوان البانــدا النادر والإعلان عن إجراء مســابقة لاختيار الاســم المناســب لهما بقصد نشر المعنى المقصود والذى أســفر عن اختيرا اســم «توان - توان» و «يوان - يوان» وهما على قافية «توان - توان» ومعناها فى اللغة الصينية «لم الشمل» ونقل الحيوان ممنوع طبقا للميثاق الدولى العالمى لعام ١٩٥٧ إلا داخل الدولة نفســها ومن هنا جاء اختيــار الصين وهذا المعنى لتوصيله إلى أمريكا بأنها لن تتنازل عن تايوان «وهذه الرســالة وصلت إلى أمريكا ورصدتها فــى مجله نيوزويك الأمريكية» واعتقــد أنها أدت إلى هذا الخطــأ المتعمد والإعلان بصورة خاطئة عن اســم الصين عند عزف السلام الوطنى فور وصول رئيس الصين إلى أمريكا.

٢ - تداخـــل المصالح بين روســيا والصين يجعل هنـــاك صعوبة كبيرة فى التخلى عن الحلف الروســى الصينى الإيرانى والذى يطلق عليه حلف أو تحالف (جيواستراتيجى) يستطيع أن يكون أقوى من عمليات التبادل التجارى مع أوروبا وأمريكا.

٣ - فى ســيبريا ١٨ ألف عالم فى ٥٢ مؤسســة علمية حصل منهم ٦ على جائزة نوبل كما تســتقبل ســيبيريا حوالى ٤٠٠ عالم صينى فى العام للحصــول على المعلومات اللازمة لهم وما تحتاجه الصين من روســيا وذلك طبقا لإحصاء العام الماضى.

٤ - تســعى الصين إلـــى المحافظة على واردتها من النفــط والطاقة التى تحتاجها من روســيا والتى تصــل إلى حوالى ٢٠٪ حتــى عام ٢٠١٠ وفى نفس الوقت يمثل ما تحتاجه الصين من روســيا حوالى ٥٠٪ من الصادرات الروسية من الطاقة وحتى عام ٢٠١٥.

٥ - مــن علاقــات الصين مع إيران عقــد وقعته شــركة «جوهاى جينر» والمملوكة للدولة لاســتيراد ١١٠ ملايين طن غاز بيعى لمده ٢٥ ســنة.. وعقد شــركة «ســينو بك» الصينية كذلك بكمية ١٥٠ ألف طن بترول إيرانى يومياً ولمده ٢٥ ســنة وتبلغ قيمة هذه الصفقة ١٠٠ مليار دولار أمريكى ونتيجة ذلك ســتكون الأرضية مشــتركة ومتناسقة بين روسيا والصين نحو إيران.

٦ - هــل تعلم - عزيزى القارئ - أن هناك قانونــا أمريكيا خاصا لمقاطعة إيران وليبيا والذى يغرم الشركات الأجنبية إذا ما استثمرت بأكثر من ٢٠ مليــون دولار فى أى من البلدين.. ولكنه لا ينطبق فى هذه الحالة علــى الصين التى تســتثمر حوالى ٧٠ مليار دولار فــى إيران لتطوير حقــول النفط وتســتورد حوالى ١٣٪ من إجمالــى واردتها من النفط من إيران كما تســتعد الصين لضخ ١٥٠ مليار دولار إضافية فى إيران وطبعا كل هذا طبقا لقانون أقوى وهو إغماض العين عند المصلحة.

٧ - الإعلان عن زيادة الإنفاق الدفاعى الروســى والصينى ليصل إلى ٤٨ مليار دولار تقريبا فى الســنة للتعبير عن مدى الاهتمام نحو الأحداث الدولية وما يدور حولهما.

٨ - وتقــوم الصين بمد إيران بتدعيم تكنولوجــى وهام فى المجال النووى على مختلف المستويات كما تقوم بتجهيز وإمداد إيران بأسلحة تقليدية على أعلى مســتويات التقدم من صواريخ وغواصات سبق تقديمه فى موقف سابق تفصيلاً.

٩ - يقول «ماوتســى تو نج» إن السلطة السياسية تنبع من فوهة البندقية والحرب هى سياســة مع إراقة الدماء أما السياســة فهى حرب دون إراقة الدماء».

ومــن هنا كان الاســتعراض لمعطيات المحاور الثلاثة نحو المشــكلة أو الأزمة الإيرانية الحانقة وبقى بعض الرتوش فى الصورة.

أ - إن إيــران أصبحت تنادى على الهند للالتزام بالاتفاقات الســابقة نحو النفط والتســليح ولكن الهند لم تعد تســمح بالســمع سوى للصوت الأمريكى بعد زيارة جورج بوش لها وعطاياه السخية.

ب - تشــعر باكستان بضيق وحزن شديد لما فعله بوش فى الهند بينما تركهــا بدون أى هدايا أو عطايا متجاهــلاً لها تماما لأنه لم يعد بحاجــة إليها رغم كل مــا قدمته وتقدمه لأمريــكا ولكن لم تعد أمريكا تحتاج لها حالياً أو قل صغر ســعرها فى الســوق الدولى حتــى أن بوش قال بعد زيارتها إن باكســتان مــازال عليها تقديم المزيــد من التعــاون فى المعلومات المخابراتيــه حتى تحصل على مزيد من التعاون الأمريكى.

جـــ - مازالت ألمانيا تراقب الموقف بقلق لأن روســيا هى أكبر مصدر للنفط تحصل عليه ألمانيا.

د - ٦٠٪ من بترول أوروبا الغربية يصل إليها بطريق البحر من الخليج الفارســى أما اليابــان فإنها تعتمد اعتماداً يــكاد يكون كلياً على بترول الدول العربية.

هـ - إيران تهدد من آن لآخر بغلـق «مضيق هرمز» وقصف مطارات أبو ظبى ودبى والشـــارقة وأم القيوين والقاعدة الجوية الأمريكية فى قطر والقواعد البريطانية فى ســلطة عمان كما تهدد بقصف المواقع الأمريكية فى العراق وأفغانستان وشمال إسرائيل بواسطة صواريــخ (شــهاب ١ ، ٢ ، ٣).. أما أمريكا فهــى تهدد باحتلال المواقع النووية الإيرانية والمرابض الصاروخية بعد ضرب المطارات والقواعد الجويــة بمئات الطائرات وصواريخ كــروز وتوماهوك والقيام بعمليات تخريب فى الداخل؟؟؟!!

وبنهاية الرتوش الســابقة للصورة نكــون قد وصلنا إلى كامل المعطيات والروافــد والتــى توحى بالقلق والخوف أو التشــاؤم على أبســط قواعد التقديــر ولكن عندما نظرت فى البنورة المســحورة وجدت ما يبشــر بكل خير وأن الصورة مضيئة تماماً والأحوال ستكون على خير ما يرام .. وهذا التفاؤل يرجع إلى الآتى :

١ - الصين وروســيا انتهيتا تمامــاً أو إلى حد بعيد نحــو المعونة الكاملة للبرنامج النووى الإيرانى كما أن الإمداد بالأسلحة التقليدية وتطويرها انتهى تقريبا ..

٢ - إذا ظهــرت احتياجــات أخرى تكميلية لإيــران فيمكن التغاضى عنها بقفل العين ولو مؤقتاً من جانب الغرب وأمريكا.

٣ - انتهــت الصين وروســيا من عقد اتفاقات شــاملة لمــدة ٢٥ عاماً مع إيران..

هذا هو الواقع المنتظر فلا مانع تماماً من أن يصدر أى حصار أو قرار شديد من الأمم المتحدة نحو إيران لا مانع من ذلك ويحظر أيضاً على أى دولة أن تتعامل معها مجدداً، ويشترط أيضا أن تشتكى إيران وبصوت عال جــدا من هذه القرارات بل وتصرخ من قســوتها حتى يقول العالم العربى والدول الإقليمية المساوية له.

هذه هى القسوة الأمريكية.. وهذا ما جنته على نفسها إيران «وما اشد ما ستلاقيه من حصار يؤدى بها إلى الاستسلام».

وهــذا الســيناريو المتفق عليه طبعــاً.. مقابل ألا تعلن أبــداً إيران عن إنتاجها لسلاح نووى بشكل رســمى.. يعنى مثل إسرائيل وكوريا الشمالية وهذا يعنى لنا أو بالنســبة لنا أنه محصلش وأنه لا داعى للفرح أو محاولة التقليد لأنه لم يعلن رسمياً.. وبعد هذا الوقت ننسى إيران كما نسينا كوريا الشمالية وكما نسينا إسرائيل من قبل.

ألستم معى فى أن النسيان نعمة كبرى من الله لنا وإن كنت ناسى بلاش أفكــرك.. وغمض عينك تأكل ملبن وغمض الاثنين تأكل أرز مع الملائكة.. وتصبح على خير...!.

الفصل الثالث

نحو تعريف جديد للإرهاب

«الإرهـــاب» كلمة قديمة تم تفعليها من حقبة زمنية ليســت بالقصيرة، ولكن حدث لها كثير من التطورات الجديدة كان منشأها الولايات المتحدة، لكنها الآن تزداد عالمية يوماً بعد يوم وجاء معها مشهد اجتماعى وسياسى جديــد .. وفى الولايات المتحــدة يبدو أن هذه الأمــور مقبولة إلى حد ما ولكنها لا تحظى بهذه الدرجة من القبول فى البلدان الأخرى ومن المؤكد أن كثيراً من البلدان ســتبحث عن سبل لترويض الآثار المترتبة عليه وقد حدد معالــم الإرهاب وعرفه أحد خبراء السياســة المصرية بقوله «إن الإرهاب أصبح نشاطاً مهنياً وظاهرة منظمة وليس سلوكاً انفعالياً تقوم به تنظيمات العنف وهى تستهدف غير العسكريين ولها أهداف سياسية .. وإن العالم كله أصبح ســاحة واحدة للإرهاب ..» وهذا المعنى يحوى الكثير من المفاهيم .. فلولا الدعم الــذى يحصل عليه الإرهاب والأرضيــة الخصبة التى أوجد نفسه عليها وأوجدتها له المصالح السياسية الغربية وفق أهدافها لما حدث كل ذلك .. وقد تم ذلك من خلال تعاون مؤقت بســتار حقوق الإنســان تارة وتارة أخرى من أجل المســاعدة فى حرب أيديولوجيات أخرى أثناء الحرب الباردة أو للضغوط على بعض الدول من أجل هدف ما .

وليس الإرهاب هو القلق وعدم الاســتقرار السياســى فحسب فهناك أيضاً بعض المفكرين الذين يدعمون فكرة الصراع وبوازع البحث عن الذات والوجود بعيداً عن الســلام والوفاق الدولى لأن الصراع المســلح فى ذاته وإن كان بعيــداً عن الأهداف المشــروعة وعودة الحق المســلوب قد خلف تابعاً لا يتحكم فى نموه وقدراته أحد وهو الإرهاب بكل أشكاله التفجيرية والسياســية والعقائدية وبدافع من التطــرف الأعمى والتعصب العقائدى بكافة أشكاله ودياناته أيضاً ..

وفى ألمانيا عبر المؤرخ ورجل السياسة «هنريخ فون تريتشكه» بقوله «تؤلب الحرب فى الحقيقة الأمم بعضها ضد البعض الآخر ولكنها تقرب فيما بينها بطريقة معينة وذلك بإفهامها مواردها الخاصة وموارد الدول المجاورة وغالباً ما تكون الحرب أكثر فاعلية من التجارة الدولية كوسيط بين الشعوب والأمة التى تتشبث بالأمل الوهمى للسلم الدائم وتدخل حدود انعزالها المتعالى تنتهى حتماً بالانحطاط.. ففكرة القضاء على الحرب وإلغائها من العالم ليست أملا بليداً فحسب بل إنها فكرة لا أخلاقية فى أعماقها .. فلو تحقق هذا الحلم لشاهدنا ضمور بعض القوى الأساسية والسامية فى النفس البشرية... ولكن عندما تسمع أمة من الأمم صوت الإنذار الذى يعلن أن الأمة فى خطر وأن وجودها مهدد بالزوال تستيقظ أفضل الفضائل وتنتشر روح التضحية والشجاعة بشكل حر وسام وبصورة لا نعرفها أثناء السلم...».

وقال المارشال «هلموث فون مولتكه» والذى غدا فيما بعد إمبراطوراً لألمانيا وحمل لقب «القائد الأعلى للحرب».. «إن السلم الأبدى حلم إلا أنه ليس حلما جميلاً لأن الحرب حلقة فى النظام العالمى الذى أراده الله.. والحرب مهنة عنيفة وقاسية ولكن من يستطيع أن يخلص من آلامها وضرورتها فى هذا العالم؟ أليست هذه الشروط هى وجودنا على الأرض التى أرادها الله؟ أليست هذه الشروط هى العناصر الضرورية للنظام الإنسانى فماذا سيصبح المجتمع إذا لم يلزمه الشرط القاسى على التفكير والعمل؟ لقد قال شاعرنا إن الحرب رهيبة كالجروح التى يصيبنا بها الله ولكنها طيبة مثل هذه الجروح وتشكل جزءاً من مصيرنا.

وقال الجنرال «سيكت» فى كتابه «أقوال الجندى» Paroles d. un soldaro إن الذى نظر إلى الحرب مباشرة وحده فى عينيها الداميتين وتأمل بعين الراصد ساحات حرب عالمية كان مضطرا إلى رؤية آلام الشعوب وأضحى شعره رمادياً تحت رماد البيوت المحترقة وكان يتحمل مسئولية موت وحياة كثير من الرجال، إن الجندى المتعلم الذى عركته

الحرب يخشى الحرب أكثر بكثير من الحالم الذى لا يعرفها أبدا ولا يتوقف عن الحديث عن السلم ولا تثار الحرب بقلب فرح عندما يعرف الذى يثيرها فظاعتها حتى لو كان يعرف مع ذلك عظمتها والأفراح الهائلة القادرة على إشاعتها».

تلك عزيزى القارئ كانت جولة فى الفكر الغربى أيضاً وبمختلف ميوله ورؤاه.. وهى تختلف عن الرؤية المصرية التى طالما نادت بها مصر قيادة وشعبا نحو الطريق السليم والمحدد لمحاربة الإرهاب الدولى بكافة أشكاله وعناصره. ولكونها عانت من الإرهاب لفترات طويلة وهى الآن على حافة النجاح فى التعامل معه وبصدق وشفافية وحقا لما تتمتع به قيادتها السياسية من طول بال تحسد وبحق عليه وبفهم للجذور والأبعاد، وتدعو العالم بأسره للعمل بها وهى «**أولاً**» السلام الدولى بعيداً عن الصراع المصلحى وبشفافية كاملة لا تميل لأحد الأطراف وفق الهوى والنفوذ ولا تكيل بمكيالين وفقاً للمعايير الخاصة والاقتصادية والأيديولوجية.. لأن من عرف الحرب بقلب سليم ونفس شفافة لا يريد الحرب أو يدعمها أو يذهب إليها. وذلك لأن الحرب والصراع المصلحى والاحتلال والاستعمار هو بذاته الأب والإلهام «للإرهاب».

ثانيـاً : البعد بالإرهاب والتعامل معه باتفاقات مؤقتة وفق الهوى « أى عدم تسييس الإرهاب فى بوتقة الصراع السياسى لكونه أشبه باللعب بالنار لا تحمد عقباه.

ثالثاً : لابد أن يكون هناك تعريف شفاف للإرهاب وقانون دولى يحدد حجمه وأهدافه بعيداً عن الشطط السياسى وفق المصالح الخاصة ليعرف كل إنسان على الأرض حقوقه وواجباته حيال المجتمع الدولى والإنسانى بكافة أشكاله ودياناته ومعتقداته أيضاً.. ويتم فيه تحديد الفارق بين المقاومة المشروعة لعودة الحق وفق المعايير الدولية والحقوق المشروعة وبين الأهداف الاحترافية التى تشبه المرتزقة إلى حد كبير؟! فلا تتوه

المعاييــر وتعطى الغزو الفكـرى المجال للتولد السـرطانى غير المحمود.. وتكـون بالتالى تهمــة الإرهاب عامة ومطاطة تلصق بـكل طائفة أو دولة دون عدل أو مســاواة؟! وهذا مــا نادت به ولا زالت تنــادى ولكن هيهات أن يســتجيب المجتمع الدولى أحادى القطبيــة أو القطبية كلها وفى هذه الظروف الصعبة بالــذات..؟! ولكى يكون الأمر واضحا وجليا لك عزيزى القارئ وجب دراســة نماذج خلط السياســة بالإرهاب والتهديد بالإرهاب لتحقيق أهداف سياســية.. والنموذج الأول هو المشكلة الإيرانية الأمريكية على اعتبار أنها من محور الشــر أو الــدول الراعية للإرهاب من المنظور الغربــى عامة والأمريكى على وجه الخصوص وكيف تم ويتم التعامل معها بالمعايير السياسية الحالية.

وقــد لخص العراب الأمريكى للسياســة الأمريكية «هنرى كيســنجر» ســلبيات النظام الإيرانى الحالــى وكيف كان الصبــر الأمريكى بالحدود (علــى الأقل حتى الآن) فى كتابه الأخير «نحو دبلوماســية القرن الحادى والعشــرين». ذيول أحداث ١١ ســبتمبر وتداعياتها على العالم. بالنقاط الآتية:

١ - الاختطاف الذى استهدف أمريكيين وغربيين آخرين فى بيروت خلال الثمانينيات كان من منظمات مدعومة وممولة من إيران. كما قتل عدة مئات من الجنود الأمريكيين فى بيروت منهم.

٢ - احتجز طلاب إيرانيون خمسين دبلوماسياً أمريكيا كرهائن لمدة أربعين شهراً.

٣ - تفجير التكنات العســكرية فى «الخبر» فى الســعودية والتى أسفرت عن مقتل تســعة عشر أمريكياً فى عام ١٩٩٦ طبقاً لمجموعات ترعاها إيران.

٤ - تطويــر القدرات النووية الســرية باســتخدام تكنولوجيا مزدوجة من الغرب مع بعض الدعم من روســيا (ويبدو أن الصين قد ألغت وأنهت

دعمها الســابق) ثم اســتعرض العلاقات الأمريكيــة الإيرانية بقوله : «ثمة أمم قليلة فى العالم تملك الولايات المتحدة الأمريكية أسبابا أقل للتشاجر معها أو مصالح أكثر توافقا مما هو الحال مع إيران؟! وليس لــدى الولايات المتحــدة مصلحة مع مطلب إيران بالاســتقلال.. فقد شــعر العديد من صانعى السياسة الأمريكية بمن فيهم «أنا» بالامتنان العميق لدعم الشاه للولايات المتحدة فى أزمات الحرب الباردة المختلفة (عفوا كيســنجر. وماذا كان مصيره معكم).. غير أن حافزنا الأساسى لــم يكن العاطفة بقدر ما كان تقديــر أهمية جغرافية إيران ومواردها ومواهب شعبها..

باختصار لا يوجد حافز جيوسياسى أمريكى للعداء بين إيران والولايات المتحــدة.. وقدر إيران لعب دور حيوى وحاســم أحياناً فى الخليج العربى وفى العالم الإسلامى.. ثم ختم الاستعراض بنصيحة «إننى قلق من محاولة الاستخدام المبالغ فيه للعقوبات الدولية..»!! وعلى ما يبدو عزيزى القارئ فقد حددت وســارت أمريكا خلف «الإمام» «كيســنجر» بكل اقتناع ورضا نادر وحددت المطلوب من إيران :

١ - التخلى عن تصدير الثورة بالقوة والتدمير.

٢ - كبح الارهاب.

٣ - وقف التدخل فى دبلوماسية السلام فى الشرق الأوسط.

٤ - وقف البرنامج النووى العسكرى الإيرانى.

وبذلك يكون الهدف الاســتراتيجى (إن نجح) هو بذل مجهود رئيســى للتوصــل إلى اجتمــاع يربط الدبلوماســية بضغوط معقولــة ومقترحات دبلوماســية متفــق عليها تجاه إيــران وإتباع سياســة ثابتة ومتماســكة وتصالحيه.. وبذلك يمكن اســتعجال اليوم الذى تصبح فيه إيران مستعدة لتعاون بعيد المدى ـ ويكون الســبيل والطريق إلى هذا بتعيين ممثل ســرى فى البداية ثم حوار تمهيدى يتبعه إعلان رسمى أو شبه رسمى وبخطوات

محسوبة ومرغوبة لكلا الطرفين وتلك عزيز القارئ كانت رؤية كاتب تحتمل الخطأ والصواب للنقطة الأولى حول تسييس الإرهاب أو بمعنى أدق استخدام «الإرهاب» فى أغراض سياسية أحادية القطبية أو القطبية كلها وبعيداً عن قانون الإرهاب أو حتى تعريفه لدولة كانت محور الشر أو داعمة للإرهاب وممولة له من وجهة النظر الغربية والأمريكية.. ولكن إذا كنت من هواة مشاهدة الأحداث فى الكواليس أو باحثاً عن الحقائق خلف الأبواب فانظر وتأمل ولكن بحذر ودون أن تتكلم.

١ - استبعد البيت الأبيض الأفكار العسكرية والخطط التى أعدها البنتاجون والمخابرات المركزية بعمل عسكرى غير مأمون العواقب وغير مناسب سياسياً فى الظروف الحالية سواء قامت بذلك أمريكا أو إسرائيل بدعم أمريكى خاصة أن أمريكا مقدمة على انتخابات رئاسية جديدة ولا ينبغى أن يفتح النظام الحالى ملفاً قد لا يغلق حالياً وتتحمل تبعاته الرئاسة الأمريكية القادمة..

٢ - إن ما يمكن دفعه من ثمن للسلام أو التهدئة فى الشرق الأوسط قد يكون باهظ التكاليف كما وضح من خلال مباحثات مؤتمر السلام فى «أنابوليس» والشكوك العربية حوله وطلب ضمانات للتطبيق قد تفوق الوعود الأمريكية لإسرائيل بعدم الضغط عليها للعودة إلى حدود ١٩٦٧ (من بوش لشارون).

٣ - الانتظار لنتائج المباحثات السرية والتى حققت تقدماً ملموساً مع إيران طبقاً لنصائح كيسنجر وساسة البيت الأبيض المؤيدين لها؟!! ولذلك تم سحب العرض الأمريكى من مجلس الأمن بتبنى أمريكا لتطبيق مقررات مؤتمر السلام فى «أنابوليس» وإضفاء شرعية دولية عليها لإلزام كافة الأطراف بها وهذا لم يعد مقبولاً بعد تقدم المباحثات مع إيران واستبعاد الحل العسكرى وهذا ما أدى إلى سحب المشروع الأمريكى بعد عدة ساعات من تقديمه وبحجج وهمية وهلامية لم تهضمها العقول السياسية العربية بعد...!!.

٤ - وافقـت إيـران على المطالـب الأمريكية الأربعة التـى حددها هنرى كيسـنجر ولكن بالثمن الذى وجدته مناسباً فالمفاوض الإيرانى شرس ولا ينخـدع بتحوير الألفـاظ أو الحلول الوسـط والتعاريف الهلامية ويعـرف ماذا يأخذ أو يناسـب ومتـى يدفع وماذا يكـون الثمن وفقاً لمصلحته الشـخصية وما تقضيه الظروف الحاليـة والمواقف الدولية والإقليمية.. وتدرك ذلك آمريكا أيضاً فهى تعطى وتتعامل مع الجانب الإيرانـى بوضوح ومـا يمكن تطبيقه فعلا «ولكن يبقـى فى القلب ما فيه» انتظاراً للجديد والكل يأمل فى أن يكون لصالحه ووفق هواه لعل الرياح تأتى بما تشتهيه السفن والأنفس.

٥ - أعلنت أمريكا وفق الاتفاق وببيان رسـمى محسوب لكونه شبه رسمى ومن جهاز أمنى (سـى - آى - إيه) وليس على المستوى الحكومى أيضاً وتلك بعض نقاطه الرئيسية:

أ - نعتقـد وبدرجة عالية مـن الثقة أن إيران أوقفت فى نهاية ٢٠٠٣ برنامجها النووى العسكرى وبدرجة متوسطة من الثقة أن البرنامج لم يسـتأنف منتصف العام «لاحظ دقة الألفاظ والملاحظات أنه متفـق عليه بياضاً لوجه الطرفين واختيار تاريخ سـابق يناسـب مكانة إيران الإقليمية والإمبراطورية الأمريكية العالية..».

ب - إقرار طهران وقف برنامجها للتسـليح النووى يوحى بأن طهران أقل تصميماً على تطوير أسـلحة نووية ممـا كنا نعتقد منذ عام ٢٠٠٥.

جـ - الوسـيلة المرجحة لإيران لإنتاج كمية كافية من المواد الانشطارية لصنـع قنبلة نووية هى تخصيب اليورانيـوم الذى بدأته فى عام ٢٠٠٦.

د - وكالة الاسـتخبارات لديها ثقة أن إنتاج كمية كافية لإنتاج أسلحة هو عام ٢٠٠٩ لكن الاحتمال ضئيل جداً..!.

هـ - لـن تكون إيران قادرة تقنياً على إنتـاج ومعالجة كمية كافية من البلوتونيوم لأسلحة نووية قبل عام ٢٠١٥.

و - قرار إيران وقف تطوير برنامجها النووى العسكرى فى عام ٢٠٠٣ جـاء رداً على الضغـط الدولى (وهذه النقطـة موجهة بالأخص للدول العربية).

وإلى هنا عزيزى القارئ فقد نجحت على ما يبدو الوصفة الكيسنجرية وعادت الأمور فى الشـرق الأوسـط لما كانت عليه هادئة ومستكينة وثابتة بغيـر وعـود (ولا عزاء ..) وعـادت عملية بناء المسـتوطنات إلى معدلها العادى والمقدر وعاد السـلام الإقليمى للهدوء حكما قدرته ورأته السياسة الأمريكية.. وسمحت أمريكا لإيران بحضور الاجتماع الأخير لدول مجلس التعاون الخليجى بكل ترحيب وبضوء أخضر تم فيه التفاهمات بين الدولة المضيفـة ودول الخليج صاحبة المكان حتى أن بعـض الدول الخليجية لم تكن تعلم بحضور الرئيس الإيرانى «أحمدى نجاد» لهذا المؤتمر وذلك على لسـان وزير خارجية الكويت؟! وإلى هنا فقد هانت أنفسـنا علينا فلماذا نستغرب أن نهون فى عيون الآخرين؟!.. والسلام فى المنام.

الفصل الرابع

إيران والغرب ..... والحرب

ما أراه وتتحدث به النجوم وأفلاك السياسة الدولية والإقليمية وأحداث التاريخ هو رياح وغيوم، وكل ذلك يعنى أن المنطقة الشـــرق أوسطية مقبلة على أحداث جســـام، ومن المؤكـــد أيضا أن مفاتيـــح التهدئة أو صمامات الســـيطرة على الأحداث لن تكون ســـهلة أو مطمئنة كمـــا تخيلها واضعو الخطط والسياســـات، فدوما ما تكون الخطط النظرية غير متطابقة مع الواقع العملى.. وإن بدا ناجحا فقد يختلف عند الممارســـة والاســـتخدام، والغزو الأمريكى للعراق وتجربة فيتنام مثال على ذلك، ولكن تبقى الشعوب دائرة فى مســـارات أشـــبه بالنجوم والكواكب وبطاقة كامنـــة بداخلها أو مكتسبة من أرواح الشباب وأموال الكادحين، وإهدار لنعم الله وطمع ليس فـــى الجزء الأكبر ولكن بجشـــع فى كل ثروات العالـــم . وهى رؤية جديدة أملتها حقائق وإحداث متتالية حول احتمالات ضربة عســـكرية لإيران وما يصحبها من تداعيات على الشرق الأوسط وربما العالم بأسره وهى جولة بين أطراف المشكلة ولاعبيها برغبة أو اضطرار وإلى نقطة البداية.

بالنسبة لأمريكا يتلخص الموقف الأمريكى فى حتمية المواجهة مع النظام الإيرانى لتخفيف الضغوط على دول الخليج وإسرائيل أيضاً، ووفقاً لنظرية اســـتراتيجية أمريكية بعدم الســـماح بقوة أيديولوجية مهما كان السبب أو التضحيات وللمحافظة على المكانـــة والوضع الأمريكى للإمبراطورية فى النظام الدولى الحالى وحيد القطبية . وللحاجة والضرورة أيضاً.

بعض المحللين المتخصصين فى الشـــئون النفطية ومنهم «روجر هاورد يـــرى» أن احتيـــاج أمريكا من النفـــط للمركبات فقط» ســـيارات خاصة وشـــاحنات» يحتاج إلى ما يقرب مـــن ١٠,٦ مليون برميل من النفط يومياً (بحســـاب تدريجى لمعدل اســـتهلاك الفرد) إلا أن بعض السياســـيين قلل

مـــن تلك الإحصائية إلى ما يقـــرب من ٢,٦ مليون برميل من النفط يومياً بخـــلاف باقى الاســـتخدامات الصناعية والبتروكيماويـــة ومع الفارق بين الرقمـــين إلا أن الاحتياج والحاجة الأمريكيـــة للنفط فى أمريكا أصبحت ضرورة حتمية للدفاع عن الذات الأمريكى نفسه وليست مسألة مصالح أو ترفيه لرجل الشارع الأمريكى وهى ضغوط لم يعد رجل السياسة الأمريكى فى باحة من الخيارات والوقت للتعامل معها.

مـــن عجب الأقدار أن تتغير كل المفاهيـــم الثابتة نتيجة لتغير الأحداث وبصورة غير مســـبوقة فى العصور السابقة، فمن الطبيعى أن تكون قوات الإمبراطوريـــة الأمريكية وحيـــدة القطبية المهابة والمكانـــة التى تؤدى إلى الردع بمجرد نزولها إلى أرض الواقع ومســـرح الأحداث ولكن حدث عكس ذلك تماماً .. فقد تحولت القوات الأمريكية فى العراق والقواعد الأمريكية فـــى الخليج إلى نقطة ضعف فى الخطـــة الأمريكية لضرب إيران حتى لا تطولها نيران وصواريخ إيران.. ولم يعد الداخل الأمريكى يتحمل خســـائر زائـــدة عما حدث فى العراق وأفغانســـتان، فتحولت القواعد والقوات إلى نقـــاط حيوية واجبة التأمـــين والدفاع عنها، ومن هنا لجـــأت أمريكا إلى تخفيف العبء عنها، بعيدا عن مسرح العمليات المقبلة، وكان الاختيار «بحر قزوين» فتعاقدت أمريكا مع أكبر شـــركة للأمن وهـــى فى الواقع مرتزقة وهى شـــركة (Water - black) ومعناها الحرفى المياه السوداء والمقصود بها «المستنقع» أو «العمليات القذرة» وهى شركة مكونة فى أغلبها من قادة وجنود مســـرحين فى أمريكا اللاتينية «لدقة الشـــبه» مع أشخاص مسرح العمليـــات ويتمتعون ببنية قوية وأغلبهم من جمهورية «شـــيلى» عبر عقود مغرية وبتسهيلات تسليحية متقدمة للعمل والتدريب فى أرض «أذربيجان»، وما أن علمت إيران بالإعداد والتجهيز والتدريب حتى ســـارعت بتشـــكيل قـــوات خاصة نظامية تم إعدادها لمواجهة هـــؤلاء المرتزقة منعا للتخريب والإزعاج والصداع المؤلم أثناء العمليات المرتقبة، وعلى المســـتوى السياسى ســـارعت بعقد مؤتمر «دول القوقاز» الســـتة فى طهران وبحضور «بوتن»

الرئيس الروسى آنذاك، وما أن علمت أمريكا بسلبيات المؤتمر عليها حتى سـربت معلومات عن خطة لاغتيال «بوتن» فى طهران أثناء انعقاد المؤتمر ولم تنطلى اللعبة علـى (K.G.B)، وعقد المؤتمر ونص فى بيانه الختامى البند ١٤ ، ١٥، ١٦ على عدم جواز استخدام أراضى دول «بحر قزوين» فى العمل ضد إحدى دوله! وغضـت البصر إلى حد بعيد عن بعض الطلبات التى لم تكن لتوافق عليها، ولكن لكل مقام مقال فقد تسـاهلت مع البطء فى الإعداد والتجهيز لمفاعل «بوشـهر» مع الجانب الروسى وأيضاً إيقاف تنفيـذ مصنع الطائـرات القاذفة الثقيلة وبعيدة المـدى «توبوليف» والذى وعدت روسـيا إيران به وعلى أراضيها، فهدفها أبعد وأعمق من ذلك وهو إتمام الجلوس على الناصية النووية.

من هنا فإن زيارة جورج بوش وتصريحاته فى إسرائيل بمناسبة الذكرى الستين لها ليست زيارة ودية أو تعاطف فقط لصديق وحليف، لكنها زيارة عمل واجبة «ووجب علينا أن نفهمها بهذه الصورة»، وزيارة مسـاندة واجبة وحتمية بين الحلفاء ولحاجة إسرائيل إليها فى أحداث مقبلة، ورسالة لكل أطراف اللعبة الشـرق أوسطية بموقف حاسم وحازم تجاه إسرائيل وربما تكون تأييداً لبعض المحللين السياسـيين فى واشنطن بأن الضربة ستكون أمريكية وهى تحليلات لم ترق بعد إلى اليقين.

أما عن الموقف الروسـى فهو، لم يبعد كثيراً عن مسرح الأحداث سواء بالرغبة أو الحتمية ولكن ما يسترعى النظر هو أنها لم تترك أية فرصة دون التقييم وبالثمن المناسب، فحضرت مؤتمر «دول بحر قزوين» ومعها أجندة بالطلبات طبقاً للمعروض، وهو أن تكون السـيطرة على «بحر قزوين» فى حدود سطح البحر وليس فى العمق، وحرية الغواصات الروسية فى العمل فـى بحر قزوين، وتقاضت إيران ايضاً، وصدر البيان الختامى متوازناً بين العرض والطلب.

كل مـا كنـا نعرفه عن معركة «خليـج الخنازير» فى كوبـا هو انتصار أمريكـى مريع ومريح أيضا بعد أن لوحـت أمريكا بحرب نووية تأتى على

الأخضر واليابس على سطح الكرة الأرضية بكاملها، ولكن ظهرت وثائق حديثة غيرت كل المفاهيم ولم تكن معلنة حتى أفرج عنها أخيرا، وهى أن روسيا لم تذهب إلى كوبا استعراضا للقوة أو بغير حسابات دقيقة ومدروسة، ولكنها وفقاً لمعايير فنية وأمنية عسكرية نجحت تماماً فى الوصول بالصواريخ الروسية فوق قواعدها على الأرض الكوبية وملاصقة للحدود الأمريكية ذاتها وليست حبا فى «كوبا» أو عشقا لبطولة كاسترو أو حتى دعما له، ولكن كان لها هدف آخر يتلخص فى التعبير الدارج «سيب وأنا أسيب»، فقد خشيت روسيا من الصواريخ الأمريكية على أرض «تركيا» والموجهة بالقرب منها، وفى ذات الوقت كانت تريد من أمريكا أن تبعدها عن أراضيها وكان من نتائج المفاوضات السرية وغير المعلنة أن تنسحب أمريكا بصواريخها من تركيا حتى تنسحب روسيا من كوبا، وتم ذلك بالفعل وسرا غير معلن خفى عشرات السنين، ومن عجب الأقدار أن أمريكا أعادت نصب شبكة الصواريخ هذه الأيام (طبقاً لما تناقلته وكالات الأنباء ٩، ومرة أخرى ولكن مع صمت روسى، فهل يكون ذلك طبقاً لاتفاقات خلف الأبواب المغلقة بين القوى الكبرى تخص الأحداث القادمة بإيران خصوصا أن كل شئ بثمن؟

أما الاتحاد الأوروبى وهو عضو فى تحالف رسمى وحتمى وثابت مع السياسة الأمريكية ويتمثل فى هيكل رئيسى هو فرنسا القادم الجديد وبعد طول غياب وبريطانيا «الحليف التقليدى» والمنضم حديثا «ألمانيا» التى لها مصالح اقتصادية مع إيران تبلغ ما يقرب من ٤,٦ مليار دولار، وعلاقات خاصة بما يعادل ٦٠٠ مليون مارك ألمانى «العملة الألمانية القديمة»، ومع ذلك فهل يتحمل الاقتصاد والشركات الألمانية التضحية بهذا المبلغ فى مقابل التحالف الجديد، (إحدى منغصات ومعضلات التحالف والتوافق الأوروبى) وهذا إلى جانب ما تعانيه السياسة الأوروبية (باقى الدول) من التوفيق بين المصالح والعلاقات الاقتصادية وما تفرضه المصالح السياسية والتحالفات الحتمية، وقد ظهر ذلك بجلاء فى مناقشات الاتحاد الأوروبى حول المسألة الإيرانية، فقد أعلن مندوب الاتحاد الأوروبى أن المندوب

الأمريكى كان يصرخ بصوت عال أمامى خلافا للأعراف الدبلوماسية وعلى ما يبدو أنه يتعرض إلى ضغوط عنيفة فى «واشنطن»، وعلى الرغم من أن العديد من الألمان يرى أن التصريحات الأمريكية بخصوص «إيران» تعكس سياستها التوسعية بدلا من كبح جماح هذه المبالغات، ودبلوماسى آخر صرح بالقول «بأننا بحاجة إلى حلول دبلوماسية وليس إلى تهديدات باستعمال القوة، غير أن الحقيقة هى أنه لم يكن يوجد لدى أى سياسى ألمانى لا الوسائل المادية ولا الشجاعة السياسية للوقوف فى وجه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تتصرفان بطريقة شديدة الشبه بتصرف رئيس الوزراء البريطانى «نيفيل تشامبرلين» فى عام ١٩٣٨ عندما أذعن لمطالب «هتلر» بشأن إقليم «السوديت» فى تشيكوسلوفاكيا فى حين رفضت أمريكا منح أوروبا أى هامش للمناورة فى هذا الصدد ومع هذا مايزال التحالف الأوروبى الأمريكى فى إطار آمن من التفكك.

بالنسبة للصين يعود التحالف التجارى بين «بكين و «طهران» إلى منتصف التسعينات ومنذ ذلك الوقت يمكن القول إن إيران كانت تساعد «الصين» على تشكيل تحد لهيمنة «أمريكا» العالمية بطريقتين متمايزتين وكانت تعمل على إكساء التحدى الاستراتيجى الطويل الأمد الذى تمثله « بكين» لأمريكا فقد قفز الوارد الإيرانى من مجرد نصف مليون برميل عام ١٩٩٢ إلى ١٦,٨٧ مليون برميل فى عام ١٩٩٤ وبعد عامين وصل إلى ٢٦,٤٣ مليون برميل وفى عام ٢٠٠٤ تحولت إيران إلى ثانى أكبر مصدر للنفط إلى الصين وفى ذات العام انتزعت إحدى الشركات الصينية عقداً بدأ تنفيذه فى عام ٢٠٠٨ لاستيراد ما قيمته ٢٠ مليار دولار من الغاز الطبيعى الإيرانى المسال لأسواقها المحلية وغير ذلك الكثير وهذا للاستدلال فقط، ومن هنا كان الموقف الصينى حجر عثرة فى حلق السياسة الأمريكية لإضفاء الشرعية على العقوبات الغربية على «إيران» أو حتى ضربها من خلال الأمم المتحدة، ولكن سرعان ما أشعلت أمريكا نارا كانت خامدة فى إقليم «التبت» وعادت تصريحات وقلاقل «الدلاى لا ما» من جديد ثم عادت الأمور إلى التهدئة من جديد بإشارة أصبح واحدة من «أمريكا» فهل

ضحت الصين بالمصالح مقابل الترضية الأمريكية، أم أن هناك مصالح واتفاقات تحتفظ كل منهما بها تحفظ التوازن بين الحاجة ومتطلبات السياسة وتم الاتفاق عليها خلف الأبواب المغلقة؟. هذا ما ستسفر عنه الأحداث والمواقف المقبلة.

على العكس من ذلك فإن كوريا الجنوبية هى حليف أمريكى بحكم التاريخ والواقع العسكرى أيضاً على الأراضى الكورية الجنوبية، ولكنها فى موقف صعب للغاية للموائمة بين ما تقتضيه السياسة الخارجية والواقع على الأرض من الاحتياج إلى الغاز الإيرانى لمتطلبات الحياة وليست الرفاهية فقط، فماذا تفعل كوريا الجنوبية فى استثمارات عالية فى إيران وعقود أبرمت بقيمة ٤,٦ مليار دولار لتنمية المرحلة الرابعة والخامسة لحقول الغاز العملاقة فى إيران تولتها من الناحية الهندسية شركة «هيونداى» واستثمارات نفطية أخرى بقيمة ١,٦ مليار دولار تتم حالياً لتنمية حقول الغاز ولكن هذا الاختلاف هل يقوض القوة الأمريكية بطريقة أخرى أكثر مكرا إذا تمادت «واشنطن» فى محاولاتها شراء ولاء أى بلد تغريه الإغراءات للنفط والغاز الإيرانيين مثلما فعلت أمريكا مع «الهند» فى يوليو عام ٢٠٠٥ لمنحها تقنيات نووية عالية تحتاجها بشدة لتوليد الطاقة تعويضا عن النفط الإيراني، ولكن فى المقابل فإن التسريب النووى قد يؤدى إلى عواقب وخيمة وهذا ما قاله «روجر هاورد» المحلل السياسى فى مجلة «نيو ـ ستيتمان» .

هناك أيضاً تركيا التى لم يعد لديها ما تبقى عليه مع الغرب وأمريكا بعد أن خذلتها السياسة الأمريكية فى الضغط والمساندة على القوى الأوروبية لضم تركيا للاتحاد الأوروبى وبعد التعثر الملموس الذى وصل إلى حد الرفض تقريبا ولم يعد أمامها إلا العودة إلى العمامة بعد رفض الشركاء لها لارتداء القبعة الأوروبية فأصبحت لا تغامر إلا وفق مصالحها وارتباطها مع حلف «الناتو» فهى تسمح بقواعد صواريخ طبقاً لاتفاقيات «الناتو»، ولكنها أيضاً رفضت السماح للطائرات الأمريكية لتضرب «إيران»

مـن أراضيها وفقـاً لما أعلنته وكالات الأنباء مؤخرا فالوضع لايسـمح مع الزى الجديد (العمامة) وأيضاً الثمن ليس بالكافى للمغامرة وهذا ما صدم «ديك تشـيني» فى مباحثاته مؤخرا وخاصـة مع جنرالات الجيش التركى فكل شئ طبقاً للعرض والطلب والثمن أيضاً.

بالنسـبة لإسـرائيل، وقد تناولت هذا المحور عدة مـرات، لكن دائماً مـا تأتى الأحداث بالجديد حيث ترى إسـرائيل أن إيران بإصرارها على عـدم القبول بالحزمة الغربية المليئة بالحوافز لكونها تتعارض مع العصب الرئيسـى (C.N.S) للأهداف الاستراتيجية الإيرانية فسيؤدى ذلك حتما إلـى الذهاب إلى خط التصـادم على ضفاف نهر «الفـرات» وهو الخط الأعلـى الأزرق على العلم الإسـرائيلى وهو هدف اسـتراتيجى وآمال فى العمـق والقلـب وتراه أيضـاً إيران القدسـية والعتبات وكربـلاء وجذور أيدلوجيـة لازمة لتتويج الآمال، وهـذا الخط أراه حتميا لكلا الطرفين لم تختـره كلاهما، ولكن رتبتـه الأقدار ولا يغنى حذر من قدر ومن هنا يكون الدافع والأساسى والرغبة أيضاً لدى إسرائيل للإسراع بالاستباق والوقاية فلابد من الاشـتراك فى الأحداث المقبلة أو حتـى المقاولة بكاملها وهذا لايمنع أيضاً من الحصول على الثمن والاسـتفادة بدلا من الاضطرار إلى الذهاب وحدها وربما فى توقيت غير مناسـب وليس بقوة الدفع والرغبة والدعـم الأمريكى والغربى لتأديب وتهذيب وإصلاح الجانب الإيرانى أمام العرب والاتجاه نحو خطه الشـرق الأوسـط الجديد وقبـل الذهاب نحو القدر المحتوم على ضفاف الفرات فى وقت وظروف قد تكون غير مناسبة، أو صعبة أو مسـتحيلة، ومن هنا فلابد لإسـرائيل من قبـول التهدئة مع الفلسطينيين وتهدئة الشارع العربى وتأمين الداخل لمزيد من التركيز نحو إيران وما المانع فى ذلك مادام فى طور التهدئة المؤقتة ويمكن الرجوع إلى المواقع الأصلية ونقطة البداية من جديد مع أول صاروخ للقسام يأتى دائماً بعد صيام طويل وليس مع أذان المغرب فى الأعم والأغلب من الأحوال.

وسـط كل هذا يأتى موقف العرب وهو موقف واضح وموحد أيضاً فى

الرغبة بأن يخلو الشــرق الأوســط من أسلحة الدمار الشامل لكل من فيه بما فيهم إســرائيل ومع ذلك فيوجد مواقف للتأمل حيث اللقاء فى مؤتمر قمة التعاون الخليجى منذ شهور قليلة كنت أراه لقاء السحاب فى المفاجأة والتشــابك بالأيدى وفــى بقعة ضيقة هى قدر نقــاط الالتقاء وبعيداً عن الاختلاف أو تأجيله ولم يستمر ذلك لكونه ضد الطبيعة والخلفيات أيضاً، وبنفــس القدر والقيمة كانــت العودة إلى الواقــع والحقيقة فى التصريح السعودى بأن وراء أحداث لبنان ومواقف حزب الله التبنى والتأثير الإيرانى وهى معلومة ليســت بالجديدة بل تحولت إلى مسلمات للأمور والمعطيات فى الشرق الأوسط ولكن المغزى هو التصريح الرسمى والتعبير عن الواقع وبمســاحة نقاط الخلاف وبصراحة ما ســتأتى به الأيام وتنذر به الرياح قريبا، وسارعت إيران بأن التصريح لا يتفق مع ما تم الاتفاق عليه مع الملك «عبد الله» وســارعت أمريكا بالإعلان عن اتفاقية للتعاون النووى السلمى مع الســعودية وحماية البنية التحتية، هل يكون ذلك من أجل الطاقة، وهل الســعودية فى حاجة إلى ذلك، أم أنها رسالة إلى الجانب الإيرانى فى أن أمريــكا لن تقف مكتوفــة الأيدى أمام القلق فــى دول الخليج كافة وأمام الطموحات النووية الإيرانية، فهى رســالة سياسية وربما عسكرية أيضاً، وقد ردت الســعودية بالكرم العربى المعهود بزيادة الإنتاج ٣٠٠ ألف برميل يوميــا، وعلى الرغم من أن أحداث التاريخ وســير الفتوحات الإســلامية المؤكدة التى تقول إن «رستم» قائد الدولة الفارسة قتل فى معركة القادسية أثناء محاولته الهروب والنجاة بنفســه فى عــرض النهر وصاح الأعرابى الذى قتله قائلاً «قتلت رستم ورب الكعبة» إلا أن الأسطورة الإيرانية تقول بأنــه كان قائدا ورعا يقدس نعم الله التى أصبغها على عباده المتقين وكان شــجاعا أيضاً، وفى المقابل وبالطريقة الحديثة توجد أســطورة أمريكية إنتــاج «هوليوود» فى فيلم ســينمائى بأن أمريــكا اخترعت أجهزة حديثة تعدى الزمن وأحــداث التاريخ وقامت بتعديل نتائــج حرب «بيرل هاربر» وانتصر الأســطول الأمريكى فيها انتصاراً حاســماً؟! ترى عزيزى القارئ ماذا ستكون نتائج حرب الأساطير على أرض الواقع.. لست أدرى.

الفصل الخامس

إيران تبحث عن موطئ قدم

تقع إيران فى قلب المنطقة الزاخرة بثروات النفط والغاز والتى تبدأ من كازاخستان شرقا وتنتهى فى العراق غربا وتبدأ من شمال بحر قزوين شمالا وتصل إلى دول الخليج جنوبا، لتشكل أكبر مخزون للطاقة الهيدروكربونية فى العالم تعتمد عليها الاقتصاديات الكبرى فى العالم خصوصا أوروبا وآسيا لاسيما اليابان والصين والهند.

القواسم المشتركة :

وقد أوجد الانهيار السوفيتى فرصة ذهبية لإيران فى الخروج عن طوق الحصار الأميركى المفروض عليها عبر التحرك نحو دول آسيا الوسطى وإيجاد أرضيات مشتركة معها على الصعيدين الاقتصادى والثقافى بعيدا عن شعارات الثورة الإسلامية التى طالما شكلت هاجسا كبيرا لدى أصدقاء إيران قبل أعدائها.

تتقاسم إيران مع تركمانستان حدودا مشتركة وامتدادا عرقيا تركمانيا داخل إيران وتشارك كازاخستان فى بحر قزوين وتشارك كذلك طاجيكستان اللغة وبشكل عام تشترك مع آسيا الوسطى فى أرضية الدين الإسلامى والتاريخ المشترك رغم كون إيران شيعية على خلاف مسلمى آسيا الوسطى ذوى الأكثرية السنية.

مصالح استراتيجية :

ويبدو أن مصالح إيران الإستراتيجية تتركز حاليا فى الحفاظ على العلاقات السياسية الفعالة مع دول آسيا الوسطى بما يسمح بالتوسع التجارى والاستثمارى على المدى الطويل خصوصا فى مجال الطاقة، وفى

الوقت نفسه لتساعد هذه العلاقات إيران فى الخروج من العزلة الدولية والحصار الأميركى عليها.

وتسعى إيران لتنفيذ هذه السياسة عبر العلاقات الثنائية مع كل دولة على حدة وكذلك فى إطار التحالفات الإقليمية مثل منظمة التعاون الاقتصادى إيكو، ومؤخرا عبر منظمة شنغهاى للتعاون حيث تسعى إيران للانضمام إليها بدعم صينى وروسى رغم ما يعترضها حاليا من صعوبات بسبب الضغوط الأميركية.

وتحظى كل من تركمانستان وطاجيكستان باهتمام إيرانى كبير نظرا للحدود المشتركة مع تركمانستان واللغة والثقافة المشتركة مع طاجيكستان، وأما بقية الدول فلم تتجاوز العلاقات معها مستوى الرسميات والتعاملات العادية.

فالعلاقات مع تركمانستان تتمثل فى :

- وجود مشاريع اقتصادية مشتركة فى مجال الطاقة والغاز ونقلهما إلى الأسواق العالمية.
- شبكة من الطرق وخطوط السكك الحديدة لربط تركمانستان ببقية دول آسيا وبتركيا ومنها إلى أوروبا.

أما النفوذ الإيرانى القوى فيظهر فى طاجيكستان حيث لعبت إيران دورا مهما فى مفاوضات السلام الطاجيكية فترة الحرب الأهلية ١٩٩٣-١٩٩٧ بين المعارضة الإسلامية وحكومة الرئيس إمام على رحمانوف، كما أن العمل المشترك بين دوشنبه وطهران لدعم الحكومة الأفغانية ضد حركة طالبان فى فترة ما بين ١٩٩٦ - ٢٠٠١ مهد الأرضية للنفوذ الإيرانى فى المنطقة.

وتشكل إيران وأفغانستان وطاجيكستان ثلاثية الدول الناطقة باللغة الفارسية وتسعى طهران لدعم الجوانب الثقافية عبر تعميم اللغة الفارسية فى طاجيكستان التى ما زالت تتعامل رسميا باللغتين الروسية والطاجيكية وبالكتابة السيريليكة.

كما أن طاجيكســتان تشــهد حضورا قويا للوسط الفنى الإيرانى حتى أولئك الممنوعين فى إيران لتقديم أعمالهم الفنية بين الشعب الطاجيكى فى محاولة مستمرة لربط طاجيكستان المستمر بالثقافة الفارسية الإيرانية.

لقد شــكل الصراع الإيرانى الأميركى دائما أحد أهم الأســباب التى تمنع دول آســيا الوســطى عن بســط علاقات وطيدة مع طهران، كما أن إيران لا تملك الإمكانيات اللازمة للعب فى ملعب آسيا الوسطى مع لاعبين كبار مثل روسيا والصين والولايات المتحدة الأميركية، وربما هذا هو الذى دفــع طهران للبحث عن أدوار ثانوية فى المحور الصينى الروســى الجديد داخل منظمة شنغهاى وطالبت بعضوية كاملة فيها.

ومن المتوقع فى المســتقبل المنظور أن لا يحدث أى طفرة فى العلاقات الإيرانية بآســيا الوســطى رغم بعــض المشــاريع الرامية لربــط إيران بأوزبكســتان وطاجيكستان عن طريق شــمالى أفغانستان وكذلك محاولة تصدير الغاز التركمانى إلى الأسواق العالمية عبر إيران.

الباب السادس

إيران وأمريكا

الفصل الأول

بين الرغبات الأمريكية والأماني الإيرانية

قال (برناردشـــو) «إن أمريكا ليســـت دولة وإنما كونســـورتيوم شركات متعددة الجنســـيات يرأس مجلـــس إدارتها رجل يتربع ســـعيدا فى البيت الأبيض ويحمل لقب الرئيس».. وربما لم يشـــهد التاريخ الأمريكى تداخلاً فـــى المصالح بين الإدارة والمجمـــع النفطى الأمريكى مثلما شـــهدته إدارة الرئيـــس الأمريكى الحالـــى دبليو بوش خاصة أنه رجـــل نفطى عمل قبل وصوله للحكم فى البيت الأبيض فى مجال التنقيب عن النفط فى تكساس ولذلك لم يكن غريباً أن تضم إدارة بوش الأولى ســـتة أعضاء كانوا يعملون قبل توليهم مناصبهم العامة فى شركات كبيرة للنفط «وديك تشينى» نائبه كان رئيســـا لشركة «هاليبرتون» للطاقة حتى عام ٢٠٠٠ «وكوندوليزارايس عضو مجلس إدارة شركة «شـــيفرون تكساس» ورامسفيلد شريكا للرئيس بوش فى شـــركة (إنرون) العملاقة للطاقة.. كما استثمر ما يقرب من مائة شـــخص من مسئولى البيت الأبيض باستثمارات تقترب من ١٤٤,٦ مليون دولار فى قطاع الطاقة.. ويرتبط العديد من شـــركات النفط بعلاقة وثيقة بصناع القرار الأمريكى وتسهم فى تمويل مراكز الفكر والمؤسسات البحثية وبذلك يكون لها تأثير كبير فى قرارات رجال الإدارة الأمريكية.

فقد قدمت شركة «أكسون موبيل» لمعهد «إنتربرايز أنستتيوت» الأمريكى ٢٣٠ ألف دولار عام ٢٠٠١ و «ليى رايموند» رئيس شـــركة «أكسون موبيل» عضـــو مجلس إدارة فى هـــذا المعهد. كما قدمت الشـــركة لمعهد «هيرتاج فاونديشن» منحة تقدر بـ ٦٥ ألف دولار عام٢٠٠١ أيضاً وهو مركز بحثى مؤثر فى صنع القرار الأمريكى.. كذلك تلقى «انتونى كوردسمان» من مركز الدراسات الإستراتيجية ١٣٥ ألف دولار من نفس الشركة وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

ومــن أبرز المعانى فى خطــاب بوش عن حالة الاتحــاد فى إبريل عام ٢٠٠٦ «لقــد أصبحت الولايــات المتحدة مدمنة للنفط الذى يســتورد من أنحاء غير مســتقرة فى العالم «وعقب على ذلك «انتونى زينى» عندما كان قائداً للقيادة المركزية الأمريكية. إن منطقة الخليج وما تحتويه من كميات هائلة من احتياطيات النفط تجعل من الضرورى أن تحتفظ أمريكا بحرية التدخل Free Access «للاستفادة من هذه الثروة النفطية..

ويبدو ورغم بعد المســافات أننى أرى النخبة الأمريكية الحاكمة تتبادل نخب الانتصار فى المشكلة الإيرانية الأمريكية وذلك طبقاً لطبيعة سياسة الإمبراطورية الأمريكية التى تظل متوترة إلى حد كبير بين الشد والجذب أو ما يســمى حديثاً «بالبســترة السياســية» حتى يتــم التراجع بالخطوة الأولــى.. ومــا أعنيه الخطوة الأولــى فقط! لمن تقف فــى مواجهته حتى تتفرج الأسارير لأنه فى كل مرة من المواجهات السابقة يستمر الصمود فى المواجهة السياسية الأمريكية ولفترة تطول أو تقصر حتى يتم التراجع فى خطوة واحدة تتيقــن أمريكا بعدها بالانتصار لأنها تتابع بعدها الخطوات إلى الخلــف! وحدث هذا مع العراق حيث بدأت خطوة التراجع الأولى مع عودة المفتشــين عن أسلحة الدمار الشــامل ثم حظر الطيران فى الشمال والجنــوب العراقى ثم الحصــار لتنتهى الأمور باحتــلال العراق.. وحدث هذا مع الســودان حتى تم الســماح بالقوات الدولية.. والله أعلم بالنهاية! وإن بــدت.. وكوريا أيضاً وقبلها جواتيمالا.. ولقد توقع الكثير من الخبراء الصمــود الإيرانى خاصة أنه لم يفقد الكثير مــن أوراقه بعد..! ولكن ما يبدو بدأت الخطوة الأولى وهذا المتحدث الرســمى فى البيت الأبيض ولو مؤقتــا انتظاراً للخطوة التالية الأخرى والتى عادة ما تكون الخطوة الأولى غيــر كافية.. وفى منطقة الخليج علــى وجه الخصوص انتهت الامتيازات البتروليــة وقارب بعضها علــى الانتهاء.. وهذا بالطبع لــه تأثيراته على السياسة الأمريكية فى المرحلة المقبلة.. والمشروع الأمريكى البترولى وبعد نجاحه فى اســتخراج البترول من جزيرة «المنامــة» عاصمة البحرين عام

١٩٣٦ بمعدل مليون طن ســنوياً اتجهت أمريكا إلى السعودية فى مشروع ضخم شمل شركة «ستاندرد أويل» كاليفورنيا بنسبة ٣٠٪ وشركة تكساس بنســبة ٣٠٪ وشركة استاندرد (نيوجيرســى) بنسبة ٣٠٪ وشركة سوكونى فاكوم بنســبة ١٠٪ وسمى هذا المشروع بشــركة (أرامكو) وانتهى الامتياز الذى اســتمر ٦٦ عاماً فى عام ٢٠٠٥ وشــركة البتــرول العراقية (أمريكا ــ بريطانيا) انتهى الامتيــاز فى عام ٢٠٠٠ و نفس الملكية لشــركة بترول البصرة ينتهى فى ٢٠٠٧ وشــركة قطر بنفس الملكية ينتهى فى سنة ٢٠١٠ والكويت ســنة ٢٠١٧ والبحرين ســنة ٢٠٢٤ وعمان سنة ٢٠١٢ وأبوظبى ســنة ٢٠١٨ ودبى سنة ٢٠١٢.. ومن هنا وجد صانعوا السياسة الأمريكية أنفســهم أمام محاور ثلاثة هى سياسة أمن النفط والقوى المحركة للطلب والعــرض و التقيدات الجغرافية. وكل عامــل على حدة كاف فى حد ذاته لإثارة شبح سفك الدماء لكن اندماج العوامل الثلاثة السابقة هو الذى ينتج الخطر الجــدى للحرب... كما أوضح ذلك الكاتب الأمريكى «مايكل كلير» وهذه الخطورة ستكون موجودة فى معظم المناطق المنتجة للنفط لكن خطر الصراع الهام سيكون أكبر فى تلك المناطق التى يتقاطع فيها عرض النفط مع المصالح التنافســية للولايات المتحدة والقوى الإقليمية الكبرى وعندما ابتدأ القرن الحادى والعشرون كانت هذه الخطورة الأكثر حدة فى منطقة مثلثيه شاسعة تمتد من الخليج فى الغرب إلى بحر قزوين فى الشمال وبحر الصين الجنوبى فى الشــرق وضمن هذا المثلث الاستراتيجى توجد بعض أضخم تركزات النفط فى العالم إلى جانب العديد من النزاعات الإقليمية والمصالــح الأمنيــة المتصادمة للدول القوية.. ويضم المثلث الاســتراتيجى ثــلاث مناطق كبرى منتجة للنفط «الخليج» الــذى يمتلك حوالى ٦٥٪ من مخزونات النفط المعروفة للعالم.. وحوض بحر قزوين الذى ينتج قليلاً من النفط فى الوقت الحاضر لكنــه يمتلك مخزونات هائلة من النفط والغاز الطبيعى.. وشــرق آسيا الذى يحتوى على عدد من الحقول القائمة ويضم بشــكل كامل مخزونات كبيرة فى بحر الصين الجنوبى.. كما يقع فى هذه

المنطقة أيضاً عدد من المصادر الثانوية للهيدروكربونات بما فى ذلك حوض «تــاريم» فى الصين الغربية وحقل غــاز ياوانا فى بحر انداماﻥ فى عرض البحر مقابل الســاحل الغربى لبورما .. وهذه المناطق الثلاث معا تنتج نحو ٤٩٪ من النفط العالمى الحالى... ومن بين كل مناطق العالم الكبرى المنتجة للنفط فإن منطقة الخليج هى الأكثر احتمالا لأن تشــهد صراعا فى هذا القرن.. فالخليج الذى يمتلك حوالى ثلثى مخزونات النفط العالمى سيبقى بالتأكيد بؤرة للمنافســة الشــديدة على نطاق العالم عندما يرتفع الطلب علــى الطاقة فى العقــود المقبلة بالإضافة إلى ذلك فــإن المنطقة تمزقها التنافســات المتعددة بين القوى والانشقاقات الدينية والنزاعات الإقليمية وهذه الانقســامات غالباً ما كانت تســتثير العنف فى الماضى ومن المرجح أن تفعل ذلك مرة أخرى فى المستقبل ولأن أى ثوران كهذا يمكن أن يعرض للخطر الإمداد العالمى للنفط والتدخل من قبل القوى الخارجية وخصوصاً الولايات المتحدة هو إمكانية دائمة الوجود.

وتســاهم عوامل كثيرة فى احتمــال وقوع الحرب فى منطقة الخليج لا تتصل كلها بالنفط فالطموح السياســى والخلافات الدينية والطمع كانت تثير الصراع بشــكل دائم ومنتظم فى الســنوات ما قبل عام ١٩٠٨ عندما تم العثــور على أول المكامن الهامة للنفط فى إيران.. لكن وجود مخزونات هائلة من الطاقة فى الخليج من المرجح أن يزيد من وتيرة الحرب والدمار النســبى الذى تخلفــه فمن ناحية أولى يقع الكثير مــن مخزونات الطاقة الهامة فى مناطق تدعى الحق فيها دولتان أو أكثر أو مناطق حدودية بدون معالم وليس لها حدود راسخة ولأن امتلاك هذه المناطق المتنازع عليها يمكن أن ينتج بلايين الدولارات من العائدات السنوية للنفط والغاز الطبيعى فإن مختلف المدعين لملكيتها قد يختارون السيطرة على الأرض من خلال القوة بدلاً من السماح لمنافس بأن يحصل على كل جزء من هذه الملكيات ويمكن أن ينشــأ الصراع أيضاً فى أوضاع يكون فيها خزان نفط كبير ممتداً عند الحدود بين بلدين أو عندما تحاول دولة أن تســتخرج حصة غير متناسبة

من المخزون الكلى (اتهام العراق والكويت) ولذلك كانت احتياطيات النفط الكبيرة أحد العوامل المؤثرة فى إعطاء دول المنطقة الوسيلة لشراء كميات كبيرة من الأسلحة الحديثة فمنذ أن جلب رفع سعر نفط الأوبك فى عام ١٩٧٣، ١٩٧٤ دخلا إضافيا لدول الخليج أنفقت هذه الدول بشكل مشترك مئات بلايين الدولارات على الأسلحة المستوردة فى حالات كثيرة كانت تحصل على الأنظمة المتاحة الأكثر تعقيداً وفتكاً والحصول على الكثير من الأسلحة المتطورة للغاية قد أزكى دون شك النزاعات التوسعية لبعض قادة دول الخليج (إيران) التى تدخلت فى الحرب الأهلية العمانية فى منتصف السبعينيات.. ويقول تقرير أمريكى «إن ارتفاع الدخل النفطى قد زاد أيضا من خطر الصراع الداخلى فى الخليج خصوصاً فى تلك البلدان التى يذهب فيها الكم الأكبر من هذه الأموال إلى نخبة صغيرة من رجال الأعمال.. وبالرغم من أن هذه البلدان حاولت تجنب النزاع الداخلى على توزيع عائدات النفط بتقديم منافع استثنائية لمواطنيها بما فى ذلك التعليم والدعم المالى الحكومى للطعام والسكن والطاقة.. وتراكم هذه الثروة الكبيرة جداً فى أيدى نخبة بارزة قد أثار بشكل طبيعى قدراً معيناً من الاستياء من جانب أولئك الذين يتمتعون بامتيازات أقل وعندما تضافر هذا الاستياء مع مصادر أخرى للسخط ـ سواء كانت ذات طبيعة دينية أم سياسية أم أيديولوجية تكون النتائج انفجارية.. وهو تأثير بالطبيعة سلبى يثير المخاوف الأمريكية من تأثيرها على إمدادات النفط، وهذا ما جعل الولايات المتحدة وبريطانيا تميلان إلى اختيار التدخل فى النزاعات المحلية عندما تدرك التهديد الذى يمنع التدفق الحر للنفط.

يزعم المسئولون الأمريكيون أن الوجود البارز للجنود الأمريكيين فى الخليج والرغبة المؤكدة للإدارات المتعاقبة على استخدام القوة سوف يقلل خطر الصراع ويمنع الخصوم المحتملين من إعاقة تدفق النفط.. ومع ذلك فإن كبر الوجود العسكرى الأمريكى تحديداً إلى جانب استخدام واشنطن المتعدد للقوة قد أستثار أيضاً المعارضة لسياسات الولايات

المتحدة وهذا واضح بشكل خاص فى المملكة العربية السعودية حيث أثار النشر المتزايد للجنود الأمريكيين عداء شرسا من ناحية القادة الإسلاميين المتشددين الذين يستاءون من وجود غير مسلمين على أرضهم ويشجبون روابط أمريكا الوثيقة بإسرائيل وعلى نحو مشابه كانت نفس المشاعر بعد الاحتلال الأمريكى للعراق.. ومن هنا ينحصر الوضع فى الخليج فى رؤية أمريكا السياسية إلى وقف التدفق النفطى من اعتداء خارجى أو من دولة جارة أو من الداخل وأوقفت أمريكا على نفسها الدفاع ضد الاعتداء الخارجى من خلال قواعدها فى المنطقة والاتفاقات الأمنية الثنائية ومن أجل حفظ التوازن من اعتداء دولة جارة (مثل حادث العراق والكويت) فإن ذلك يستلزم أيضاً صفقات ضخمة ومتطورة تزيد على ٢٠ مليار دولار فى العام للدول الحلفاء والمتعاونين وهى تؤدى بالتالى إلى تنشيط صناعة السلاح لديها وتطويرها ومن ناحية ثانية يتم امتصاص عوائد النفط (خاصة بعد زيادته بصورة غير مسبوقة) لتعود إلى الاقتصاد الأمريكى مرة أخرى.. ويبقى عامل التوازن والذى كان ينحصر بين العراق وإيران وبعد نهاية العراق لم يعد أمام أمريكا إلا إيران لتحمل عوامل التوازن السياسى فى المنطقة ولكن ترى أمريكا أن الأيديولوجية الحاكمة فى إيران الآن لا تتوافق مع المهام التى كانت ترغب أمريكا فى أن توليها لإيران ولا توجد مبادرات جذرية حالية لتغيير الحالة الراهنة؟! ولم يعد أمام أمريكا إلا تركيا التى تحد العراق وإيران والقوقاز أيضاً وترى أمريكا أن تعاونها فى أى أزمة لا يمكن الاستغناء عنه وإن كانت النظرة الأوروبية لا تتوافق مع الاحتياجات السياسية للولايات المتحدة من تركيا حيث تريد أوروبا أن تخضع السياسات المحلية التركية بدون ثمن وتتجاهل الاعتداد القومى التركى وظروفها الخاصة والعناصر الحساسة التى تؤثر فيه وتمييز التركيبة الداخلية لتركيا ينبغى أن يتوازن مع هذه الحقائق وذلك حتى تستطيع الولايات المتحدة أن تجد الحلول للتعقيدات السلوكية الأمريكية فى المنطقة فالمبادئ الولسونية لا يمكن أن تكون مرشداً للسلوك الأمريكى

فهل تقبل إيران دور (شـــيخ الخفر) الذى تريده أمريكا لها (أفضل من أن تكرر التجربة العراقية) وهو منصب خال فى الوقت الراهن وتشـغله تركيا ندباً للقيام بعمل مؤقت ومع ذلك فإننى أرى أن إيران لن ترضى بهذا المكان وهذا المنصب الأمريكى لأنها أرادت أن تجد مكاناً لها ودائماً تحت الشمس أو فى ضوء أشـعتها وطموحها أكبـــر بكثير تاريخاً وأيديولوجياً مما تريده لها أمريكا فكيف يحدث التوافق الحتمى (من وجهة النظر الأمريكية) بين الرغبة الأمريكية والأمنية الإيرانية.. لست أدرى.

الفصل الثانى

نوم الذئـاب!

إن العلاقة بين أمريكا وإيران وإسـرائيل فى المرحلة الثانية أو الحالية لا يمكن فصلها أو تسـميتها بالعلاقة الثنائيـة.. فهى فى الحقيقة علاقة متداخلـة ثلاثية الأبعـاد مقفولة مثل المثلث على رأسـه أمريكا.. وطرفاه إسـرائيل وإيران.. ويحكم هـذا المثلث قانون واحد اتفـق عليه الأطراف لـم يحد عنه أحد، وظـل حاكماً لهذه العلاقة حتـى الآن.. وهذا القانون هو «التعامل بعين مقفلة.. وعـين مفتوحة، وتجرى من خلال هذا القانون المصالح الحكومية والمصالح المقابلة لكل طرف من الأطراف..».

أولاً : لـم يكن النظام النـووى الإيرانى الضخم بـكل معداته وحجمه وتفصيلاته بعيداً عن أعين أمريكا وإسرائيل.

بالنسبة لأمريكا :

أ - نظم الاسـتطلاع الحديثة والتـى تعطى الصور واضحة لهذه المنطقة الملتهبة مـن العالم إلى محطة ناسـا للأقمار الصناعيـة ويتم فيها التحليل والاستنتاج.. هل تكون بعيدة عن الرؤية ؟؟!!.

ب - أبراج التجسـس الموجودة بدول الخليـج وتركيا والتى تغطى المنطقة الإيرانية بكل المعلومات المطلوبة.. هل وقفت عن العمل؟؟!!.

جـ - مراكز المخابرات المركزية الأمريكية فى المنطقة وإيران والتى ترسـل كل كبيرة وصغيرة.

د - مراكز المخابرات فى الدول المصنعة للمعدات النووية.

هـ - الاتفاقات السـرية والعلنية بدول النادى النووى والتى تحظر امتلاك أى دولة للتكنولوجيا النووية دون موافقة باقى الأطراف.

بالنسبة لإسرائيل :

أ - يوجـد عدد مـن الضباط فى إيران كان يتحصل على فرق دراسـية ودورات تدريبية فى إسرائيل ولابد أن يكون هناك تبادل معلومات مع بعض منهم.

ب - توجد وحدة خاصة بالملف الإيرانى فى الموساد الإسرائيلى تعتمد فى عملها على اليهود من أصل إيرانى.

جـ - مازالت العلاقات وتبـادل المعرفة والمعلومات على قدم وسـاق بين الموسـاد وكثير من الأجهزة الأوروبيـة المماثلة والتى تعقد اجتماعات دورية لتبادل المعلومات.

مما سـبق نجد أن النظام النووى الإيرانى لم يكن مخفياً تحت الأرض أو بعيـداً عن الأعين لمختلف أجهـزة العالم الاسـتخباراتية أو بعيداً عن مختلف الحكومـات بالنادى النووى الدولى المانحة لتلك المصانع الضخمة والأجهزة الحديثة.. ولا يمكن إلصاق التهم إلى باكستان بمعاونة إيران وإن كانت على اسـتعداد للتحمل ولكن ما نشر من صور ومعلومات عن النظام الإيرانى يكشـف أن التقنية الإيرانية تختلف عن التقنية الباكسـتانية كليا وجزئيا وإنها أحدث بكثير عن الأنظمة الباكستانية الأولية وكثير من الدول سـوف تظهر أن هذه التهمة سـاذجة وسـوف يفتضح الأمر بعدها بوقت قصير.

وهـل تذكر معى عزيز القارئ عندمـا أعلنت أمريكا أنها وضعت العلم الأمريكى فوق القمر واهتزت الدنيا كلها لهذا الخبر ولكن الخبراء الروس لاحظوا أن العلـم يتحرك فعرفوا أن هذه الصورة على الأرض وليس على القمر فليس فى القمر هواء يحرك العلم!!.

ومن ناحية أخرى فإنه كما يقول بعض المراقبين للسياسـة الدولية إنه إذا عطسـت هيلارى كلينتون فى واشنطن فإنهم يهرعون لها بالمناديل فى إسلام أباد صائحين فى الجوال «يرحمكم الله يا أبو سريع»!!.

إذاً عزيزى القارئ لا يمكن ولا يصح أن تتحرك مصانع وتكنولوجيا نووية بهذا الحجم من دولة إلى دولة دون أن تهتز أجهزة الاتصالات الدولية فوراً أو قل تحترق الشبكات من كثرة ضغط المعلومات عليها فى نفس الوقت.

ومـــن هنا نقول إن الموضوع قد تم وصوله إلـــى طهران وتركيبة وعمله تحت غطاء العين المقفلة لكل من أمريكا وإسرائيل وأوروبا والعالم أجمع.. ولكن ربما يكون الخطأ فى تقدير المدة اللازمة لتخصيب اليورانيوم وإنتاج السلاح النووى الإيرانى والذى يعتقد أن إيران قد سبقت الغرب فى الزمن وهنا ربما تكون المفاجأة!!.

ثانياً : كانت أمريكا قبل غزو العراق وبالتالى بريطانيا على علم ودراية بالتجربـــة التاريخيـــة القريبة عندمـــا احتلت انجلترا العـــراق عام ١٩١٧ وصدرت الفتوى الشـــيعية من آية الله السيســـتانى بالجهاد واتحد شعب العـــراق على قلب رجل واحد ولم تســـتطع بريطانيـــا أن تبقى فى العراق أكثر من ثلاث ســـنوات تركت العراق بعدها عـــام ١٩٢١ ومن هنا كان من اللازم التنسيق مع إيران فى هذا الخصوص بتحييد الجانب الشيعى وآية الله السيســـتانى ولذلك تم تمرير الغزو الانجلو أمريكى تحت شعار العين المقفلة أو المغمضة وفى هذا الخصوص كان كلما اشتعلت المواقف الشيعية المتشـــددة فى العراق وبالذات مع التيار الصدرى كانت تقف الضغوط عند حـــد معين كلما أرادت إيران تذكير أمريكا بقـــوة نفوذها فى العراق وكلما طلبت أمريكا ذلك من طهران دون خشـــية أو كســـوف فكل شئ محسوب ومغطى بغطاء العين المقفلـــة عما يفعله الآخر والعين المفتوحة عن المقابل الواجب الحصول عليه مقابل ذلك.

يعنى كما قلنا فى البداية مصلحة.. ومصلحة مقابلة.. وليلتقى الجميع ولكن على أرض محايدة ليســـت أمريكيا وليســـت إسرائيل وليست إيران؟ فلتكن العراق والمكان يتسع للجميع.. ومن هنا كانت تنشر من حين إلى آخر بعض التصريحات من الساسة الإيرانيين بأنه كم من المرات تدخلت إيران

لتهدئة الأوضاع فى العراق عبر اتصالات ســرية وعلنية لتحريك قانون أو حكومة شيعية معينة أو تهدئة وضع متوتر مع النظم الشيعية العراقية.

ثالثـاً : وفــى اعتقادى أن الخطأ هنا هو خطأ زمنى أو فى رؤية وتوقع المعدل الزمنــى لكى تتمكن إيران من تخصيــب اليورانيوم بالكميات التى تمكنها من إنتاج السلام النووى ، فربما كان الاعتقاد أنه كان من الممكن أن تستقر الحرب والأراضى العراقية فى أيدى القوات الأمريكية والبريطانية تنتهى الحملة بالســيطرة على منابع النفط وفق قواعد وأســس أتى الغزو من أجلها وبعد انتهاء الحملة ورحيل القوات الغازية يتم التعامل مع النظام الإيرانى بما يســتحقه مثلما حدث مع النظام العراقى أيام صدام حســين وقــد تم إعطــاؤه المفاعل النووى وفى الوقت المناســب تم تدميره وعندما وجدوا وقتــاً إضافياً باقياً ومبالغ مالية مازالت متبقية فى الخليج تم بناء مفاعل آخر وتم تدميره أيضاً بعد ذلك.

ولكن هذه المرة ومع الجانب الإيرانى أتت الرياح بما لا تشتهى السفن فقد كانــت المقاومة العراقية عاتية وقوية وغيــر متوقعة فدائماً ما يكون توقع الأجهزة الاســتخباراتية مخيباً للآمال فى مختلف دول العالم عندما يكون التوقع خاصا برد الفعل الشــعبى وإلى أى مدى يمكن أن يقف وإلى أى مدة.. فصحوة الشــعوب لا يمكن التحكم فى قوتها أو تحديد معدلات وميول ثابتة لها ومن هنا كانت المقاومة الشــعبية العراقية قوة غير متوقعة ولمدة أطــول مما توقع الخبراء.. وإلى هنا ســاعدت الظــروف والمواقف إيران التى تعلمت جيداً من خبرات الماضى القريب وتجارب صدام حسين والعراق مع أمريكا والغرب وســابقت الزمن فى معدل العمل على تخصيب اليورانيوم بعدة ســبل أو طرق لم يتمكن معها الغرب حتى وإن فطن بوقف التيار الجارف لكل شــئ فهو الطوفان بعينه وكانــت إيران تعمل فى عدة محاور غير متوقعة وهى :

أ - اســتمرار دعم الجماعات المقاومة القادمة من الخارج تارة عن طريق الحــدود العراقية الســورية وتارة عــن طريق حدودهــا الطويلة مع العراق سواء بسهولة حركة الأفراد وانتقالهم فراً وكراً وكذا الأسلحة والمتفجرات.

ب - المراوغــة الدوليــة والتفاوضية تــارة مع أوروبا والتــى أرغمت على التعامل مع المشــكلة النووية الإيرانية ولســان حالها يقول وأنا مالى اللــى حضر العفريت يصرفه وتعمدت إيــران إطالة المفاوضات قدر الإمكان وإظهار الأمل عند اليأس واليأس عند الطمع فكل شــئ كان محسوباً وهذا ما اعتقده سر النجاح.

جـ - اشــتعال الموقف بين الحين والحين كلما اســتقر الأمر، اشــتعل مرة أخرى إما شــيعية بريطانية أو شــيعية أمريكية أو شيعية سنية.. إنه سباق مع الزمن.

د - إعادة الأمر إلى الأمم المتحدة للتفاوض من جديد وهذا الملف يمر عبر مصالــح دولية كثيرة لم يتمكن معها مجلس الأمن حتى الآن بالخروج بقــرار عقابى لإيران بالمعنى المعتاد مع العرب وشــتان القرارات عند معاقبة العراق حول أسلحة الدمار الشامل غير الموجودة أصلاً والعجز عــن إصدار قرارات أمام مصانع ومعامــل بحثية ضخمة ومفاعلات ظاهرة وواضحة وتصريحات رســمية حكومية.. يعنى إلى هنا يمكن القــول إن ميزان العدل أو النظام الدولــى لا يكيل بمكيالين وإنما لا توجد موازين ومكاييل أصلاً..

ومــن هنا عزيزى القارئ وضحت الصورة تماماً كما أرى أو يرى غيرى على الأقل وهــو أن الزمن لعب لصالح إيران وقدرته وتعاملت معه بحكمة قــدر الإمكان وأمريكا وبريطانيا تعاملا مع الزمن وكأنه ملك اليد؟.. ولكن متى كان الزمن ملكاً لأحد مهما كانت قوته على وجه الأرض.. وهل صدق «ليــدل هــارت «عندما قال : «إنه لا يوجد نظام دولــى ثابت لأنه لا يوجد إنسان مشى فى كل الأرض وعاش كل الزمن».

رابعاً : استفادة إيران من رغبة روسيا الجامحة فى حماية ثروات بحر قزوين من النفوذ الغربى والطمع الأمريكى فقامت بتزويد إيران بتكنولوجيا نووية وتطوير أسلحتها بإعطائها أسلحة حديثة مثل الصاروخ المائى والذى يمكن إيران من غلق مضيق هرمز كما ألمحت من قبل والاتفاق معها بتزويدها بصواريخ دفاع جوى ذات أنظمة حديثة ومتكاملة يعنى هناك دعم عسكرى متقدم لإيران بخلاف الدعم والمظلة السياسية لكل من روسيا والصين.

ونأتى إلى المرحلة الأخيرة ولن يكون لدى ما أقوله بعد ذلك فى المشكلة الإيرانية الأمريكية الإسرائيلية بعد هذه البحث على ما اعتقد فى هذه العلاقة سوى سؤال مهم للغاية وهو ماذا بعد ...؟؟! والإجابة ليست من عندى أو بيدى أو اقتنع بها ولكن كما أراها أمامى أو أكاد أقول إننى رأيتها فى المستقبل أليس ذلك بغريب :

١ - سوف يزداد الضرب فى المضروب عملاً بنظرية اضرب المربوط يخاف السايب وإن لم يخف السايب استمر فى ضرب المربوط أو المضروب حتى يخاف السايب.

٢ - حتى لا تنبهر الشعوب العربية فى المنطقة بما حدث فى إيران او تشمت فى أمريكا يمكن وضع المنطقة فى مزيد من الضغوط مثل ضرب غزة أو تجويع شعبها أو غلق المعابر أو عدم السماح بمرور الطعام إلى المناطق المحتلة.

٣ - إحداث بعض القلاقل أو اللعب على أى خلافات داخلية أو تناقضات وإن لم تكن موجودة فيجب إيجادها وإظهارها وبطرق سوداء أظن الجميع يعرفها وأجدنى غير مضطر لكتابتها.

٤ - الحديث فى أمور دينية كى تكون موضة العصر فى الشرق الأوسط طالما هذا الموضوع يهم الناس والجماهير فكل شيخ فى برنامج

يرتدى عمامة وكل بنوته فى برنامج ربما لا تعرف ســورة قصيرة من القرآن أو كيفية الوضوء لتسأل وتحاور أى شيخ يقابلها فى أى برنامج ولازم الشــيخ طبعــاً يكون رأيه مخالف يعنى هــو جاى ليه لكى يكون البرنامج فى الســخونة المطلوبة وكله ماشى..؟ إلى هنا عزيز القارئ والحديــث قد يطول ولا أريــد له أن يطول أبداً هذه المرة.. فلابد من المحافظــة مهما كانت النتائج على الهيبة الأمريكية والمكانة الأمريكية الدولية ونحن على أتم الاســتعداد لدفع الفاتورة الأمريكية والغربية كما دفعنا فاتورة ١١ ســبتمبر وكما يقول المثل الشعبى «من العين دى زاد... ومن العين دى.. ميه «. والسلام ختام.

الفصل الثالث

أمريكا وإيران.. وحسابات الضربة

بعد العديد من الدراسـات والتحليلات وصلت إلى نتيجة واحدة وهى أن المشكلة الإيرانية الأمريكية قنبلة فى طريق مظلم ومؤجلة أيضاً.. ولكن طالعتنا وكالات الأنباء عن توجه حاملة الطائرات الأمريكية «جون ستينز» والوحـدات البحرية المرافقة لها إلى الخليج واتخاذها أوضاع الاسـتعداد القتالـى.. وأن هذه الحاملة سـوف تنضم إلى مثيلتهـا «دوايت أيزنهاور» المتواجدة فى الخليج.. وسـوف يستتبع ذلك حاملة الطائرات «بريمر تون» والقوات البحرية التابعة لها وسوف تغادر إلى منطقة الخليج قبل موعدها المقرر.

أمريكا وإيران.. وحسابات الضربة

فهل هذا يعنى أن المشـكلة الإيرانية الأمريكية سوف تخرج من الطريق المظلم أو انتهى موعد التأجيل لانفجار القنبلة الموقوتة للمشـكلة الإيرانية الأمريكية.. هذا ما نحـاول الإجابة عليه فى تصور محدد وهو احتمالات الضربـة.. فقط..!؟ حيث إننى أرى أن الجانب الإيرانى أدى ما عليه وفقاً لإمكانياتـه، وبذل الكثير من الجهد والمال لدرجـة توحى للمراقب برغبة وشـهوة الترقب بالإعجاب ولكن ما يوغر القلـب لدى الإيرانيين يمكن أن يفوق الرؤية العقلية والتعامـل مع الأمر بالروية وتقبل جرعة الدواء مهما كانـت مرة من أجـل الهدف والغاية، وقـد كان الإيرانيون يمهدون الأرض العربية والإسـلامية بهدوء شـديد ومهما حاولنا أن نقاوم إلا أننا عجزنا عـن المقاومة فى الإطار الذى رسـمه لنا الإيرانيون وهو الجامع الأشـمل والأعم لنا جميعاً وهو «الإسـلام» وكما يفعل الأمريكان أثناء الحديث وهو البحـث عن نقطـة تلاقى واحدة.. ولو كانت ذكرى رحلـة طائرة أو زمالة

قطـــار ليضخمها أمامك ويكيل عليها كل أهرامات التعامل والصداقة التى بمقتضاها ربما يأخذ عينيك التى ترى بهما..؟!

والـــكل يدرك ما لدى إيران من إمكانيـــات وتداخلات مع العراق وكان يمكـــن معها تفادى إعدام صدام حســـين وبهذه الطريقة البشـــعة والمزرية التى أطاحـــت بذكريات حزب الله اللبنانى الممتعـــة والرائعة والتى أوحت بخروج الممكن إلى حيز الوجود..؟! نسينا كل هذا ومعه حديث القلوب عن فلسطين والمحرقة الألمانية.. لقد خسر الإيرانيون الأرض العربية والمساندة المعنوية فى لحظة تشـــف أرادها الحكم الإيرانى وأعتقد بأنه ندم وسوف يندم أكثر عليها فى المستقبل.

خط الاتفاق :

وإذا نظرنا إلى أوراق اللعب فى هذه المشكلة فإننا نجد الموقف الصينى والذى يجـــب أن تعلم وتدرك إيران بأن اعتمادهـــا على الصين لن يتعدى استمرار التجارة طوال الوقت طالما تدفع إيران.. وهذا هو الخط الاتفاقى والـــذى يعلمـــه الجميع (الدول الكبـــرى بالطبع) فى التعامـــل مع الجانب الصينى وســـوف تتم المساندة ولكن إلى حد معين وهو عندما يبدأ النظام الذى تســـانده فى الاحتياج أو الترنح.. فإنه يتركه إلى قدره المحتوم ويبدأ فى المقايضة عليه أيضا...؟! وهل مســـاندة الصين للجانب الإيرانى سوف تتعدى أو تقارب المساندة لكوريا الشمالية..؟! اعتقد بأنها سوف تكون أقل من هذا بكثير.. وليســـت العلاقات الصينيـــة العراقية ببعيدة عن الأذهان حيـــث كان التفـــاوض فى النهاية بـــين أمريكا والصين مقابـــل دعوة وزير الخارجيـــة الصينى لزيارة أمريكا ومقابلة الرئيس الأمريكى مقابل التأييد فى مجلس الأمن بالإجماع وعند الدعوة لزيارة أمريكا من وزير الخارجية الأمريكى والتباحث معه فى واشـــنطن فيتم الامتناع عن التصويت.. وهذا ما ذكره بيكر فى مذكراته.. فأين العراق.. صاحب المشكلة لم يكن موجودا أصـــلا فى المباحثـــات.. والصين تفعل الكثير والكثيـــر ولكن بهدوء معهود

وفـى قاعات الاجتماعات فقط فكل شـىء ممكن وإننـى اعتقد أن زيارة أولمـرت الأخيرة للصين لم تكن للتعاون الصينى الإسـرائيلى فقط ولكنها فى الأصل والأسـاس لتقديم عرض أمريكى مغرى للصين تتولى إسرائيل تفعيله بالتعاون التكنولوجى وإغراء يسـتحق المفاوضة وعظام والده غالية عليه وإكرامه واجب فى أرض الصين الرحبة.

أما الموقف الروسى فإنه لن يختلف كثيراً عن الموقف الصينى سوى أنه معلـن وأكثر وضوحا فى مواجهة الأطـراف ويبذل المزيد من التعاون وبيع الأسلحة والتى تفيد اقتصاديا ولا تؤثر بطبيعة الحال عند المواجهة مع قوى كبرى مثل أمريكا لأنه فى سوق الحرب الحديث هناك أسلحة للاستعراض العسـكرى وأسلحة للهو وأسـلحة للحرب.. وأسلحة الحرب هنا شئ آخر لـم يتم بعد بيعها أو الاتفاق عليها لأنها تخضع للتوازنات الدولية والتعامل الخلفى والتحتى وبكل الحذر والاتفاق طبعاً من خلال دول الثمانية الكبار.. ولكن ما يباع فإنه يخضع فى حقيقته للتنمية الاقتصادية وتمويل الأبحاث العسكرية المتطورة والاستخدام الأحدث وبيع الأقدم.. وعندما يجد الجد وتدور رحى المعارك فإنه يكون هناك أحاديث أخرى.. فقد حاولت روسـيا منع الحرب وضرب العراق ولكن عندما أصرت أمريكا ودارت رحى الحرب وعلمت بها روسـيا من أمريكا عن طريق وزيـر الخارجية وقتها «جيمس بيكر «طلبت روسـيا تأخير الضرب ولو لمدة أربع وعشـرين سـاعة فقط ولكن أصرت أمريكا على ضرب العراق فى الموعد المحدد ولم يحدث شـئ وقال «بيكر» معلقا على الموقف الروسـى فى الاجتماعات السرية «عندما اجتمعت مع وزراء خارجية الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن على عشاء عمل فى فندق «والدروف استوريا» بدون تواجد أى من العاملين أو المعاونين باسـتثناء المترجمين فقط.. قال شيفر نادزة: علينا أن نتكاتف معاً لأن صدام يعرف كيف يلعب على ما بيننا من تناقضات وإنه خطير لا يمكن توقع تصرفاته».

ردود الفعل :

وكيـف كانت ردود الفعل الروســية بعد الحرب وحادث ضرب ســيارة ســفير روســيا فى العراق والتى انتهت تبعاته باعتذار رقيق من كونداليزا رايس فى روسيا..

وكيف أن هذا الحادث المؤسف لا يجب أن يؤثر على العلاقة بين البلدين الصديقين.. وعبر بيكر فى وضع آخر عن أن «ميخائيل جورباتشوف» عبر بأنه من الضرورى أن تبقى روسيا فى الفلك الأمريكى أياً كانت الغضاضة التى يشعر بها شــخصياً كما أن استمرار الدعم المادى والمعنوى الأمريكى لبرنامــج إصلاحه الاقتصــادى المؤلم والمثير للجدل أمــر مهم ومن وجهة النظر السياســية كان يدرك تماماً أن مفتاح عدم انقطاع الدعم الإضافى لبرنامجه يقع فى يد واشــنطن.. فقد تدخلنا لدى السعوديين وأصدقائنا لتقديم الدعم المالى لروســيا وباختصار فهو مدين لنا ومحتاج لنا رغم أن استمرار تعاونه مع السياسة الأمريكية تجاه الخليج العربى يتعرض لمقاومة مســتمرة وضغوط داخلية مضادة وهائلة.. تلك كانــت رؤية جيمس بيكر للموقف الروســى.. مضيفا فهما جديداً وجديــراً بالذكر وهو أن الحرب فى إيران من منظور عاطفى تعتبر على أبواب روسيا وهو يفهم ذلك جيدا لأنها تشــبه فى هذا الصدد القلق الأمريكى تجاه نشوب حرب فى أمريكا الوسطى ومن ثم يمكن تفهمه..

وفى النهاية يرى بيكر أيضاً أن ضرب العراق الحليف والعميل الروسى القديم أعطى باقى دول المنطقة رؤية شبح مخيف يعنى ويسأل بدون شك عن مدى مصداقية وديمومة ارتباطها «بموســكو» وفى النهاية أيضاً يقول بيكر «إن الحرب البرية العراقية أظهرت وكشــفت بوضوح زيف أســطورة القوة العسكرية الروسية «ومما سبق يجب أن يعى ويقدر الجانب الإيرانى الموقف وأن يتذكر إن كان قد نسى أو تناسى بالإضافة إلى خسارته مجهودا وأرضية كانت فى صالحه فى الشرق الأوسط بكامله وألقت بستارة سوداء

على التعاطف معه من باب الإســلام الأوســع والأرحب وأظهرت الجانب الشيعى الملئ بالبقع السوداء التى لا يمكن إزالتها بسهولة.

تكاليف الحرب :

وبقيــت ملاحظــة واحدة فى هذه النقطة أريد وأرغــب فى أن يلم بها القــارئ العزيز ويعرفها وهى كيف تحســب التكاليف قبل الحروب عندما عرضت أمريكا على الســعودية حصتها فى كلفة درع الصحراء عام ١٩٩١ وقدرها ١,١ مليار دولار شهريا تزيد لو امتدت العمليات لأكثر من شهر ٨٠٠ مليون دولار معونة اقتصادية لتركيا ومليار دولار على مدى خمس ســنوات للصندوق الدفاعى التركى، ٨٠٠ مليون دولار لشــرق أوروبا لتعويض فرق ســعر برميل النفط فى حالة ارتفاعه نتيجة وقف ضخ البترول العراقى.. وكانت حصة الكويت صاحب المشــكلة والقضية نصف هذا المبلغ مما حدا بالســعودية وعلى لســان ســعود الفيصل أن يطلب أن يكون ما يطلب من الكويت مســاويا لما تدفعه السعودية خاصة أن الاحتياطى النقدى الكويتى أكبر من الاحتياطى النقدى السعودى؟!.

وعنــد العودة إلى الموقف العربى نجد أن أمريكا كانت فى أشــد القلق مــن الموقف العربى الذى كان واضحا ودون عناء من أنه ســوف يكون فى صالــح إيران وأحــداث حزب الله خير دليل على ذلــك.. ولذلك فالمؤتمر الــذى عقــد فى دبى والذى عقــد تحت رعاية ولى عهد أبــو ظبى ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإســتراتيجية.. وكان هذا المؤتمر هو الحادى عشــر وبعنوان «التحولات الراهنة ودورها المحتمل فى إحداث تغيير فى العالم العربى «فى قاعة زايد ابن سلطان آل نهيان بمقر المركز فى أبو ظبى.

وفى الحقيقة كان المؤتمر بغرض بحث جوانب عملية التغيير فى الشرق الأوســط والخليــج العربى وكيفيــة معالجة الخلل المحتمل فــى التركيبة الســكانية فى تلك الــدول وبروز القيادات الشــابة وتأثيرهــا فى عملية

الإصلاح وحضر جميع رؤسـاء مراكز الدراسـات التابعـة لمراكز البحث السياسية الأمريكية وعدد من أعضاء الكونجرس ومجلس الشيوخ ومرشح رئاسى أمريكى ديمقراطى سابق وقادة سابقون فى المخابرات الأمريكية.. وبعـض الصحفيين العرب القريبين من هذه الأنظمة ووزراء سـابقون فى عديـد من الأنظمة العربية وكان الهدف هو قياس الأفضل بالنسـبة لنا.. أن تضـرب أمريكا إيران أفضل.. أم تضربها إسـرائيل..؟! وليس العرض أن تضـرب إيران أو لا تضرب ولكن أكـرر أن تضربها أمريكا أفضل لا أو تضربها إسـرائيل؟ أيهما تفضل ؟! ومع ذلك فقـد أعطت إيران والنظام الشيعى العراقى الحجة الأمريكية والصلاحية والرضا عندما أعدم صدام حسين وذلك على طبق من الذهب المطعم بالماس والياقوت لأن هذا العمل الأهوج دمر كل أرضية شعبية كانت على الأقل ممكنه.

أمـا أمريكا والتى من الناحيـة الفنية البحتة وبغض النظر عن أى رأى شـخصى أو حتى عاطفى فقد تلقت أحـداث إعدام صدام بمناورة خبيثة وممتعـة أيضاً وحصلت على ما يعادل عـدة ملايين من الدولارات بعد أن تنصلت من إيران وهاجمتها وتنصلت أيضاً من الحكومة العراقية الحليفة المليئة بالحقد والتشـفى.. وتابعت ذلك وكالات الأنباء فى سـرعة وعجلة فى نشـر أنباء حول الحشد العسكرى الأمريكى فى الخليج وبكثافة عالية واستعدادات توحى بقرب الضربة الأمريكية لإيران.

المد الشيعى :

والأمور الكثيـرة توحى بذلك حيث أن الجانب العربى وبالذات الخليج العربى يشعر بالقلق البالغ من الوجه الشيعى والمد الشيعى وهناك احتمال بأن يكون هذا الحشـد كمـا يرى بعض المراقبين الدوليـين لإخافة إيران وبعث الاطمئنان فى قلوب الأنظمة العربية المعتدلة.. وإن كنت أراه احتمالا ضعيفـا من خبرة التاريخ فى التعامل مـع القيادات الأمريكية.. ولأن ذلك إن فلح فى هذه الأيام فماذا عسـاه أن ينفع فـى حالة إعداد إيران لعبور

نقطة النهاية بإعلان نفسها دولة نووية؟! ومهما كانت الظروف فلن تتحمل العلاقات العربية الأمريكية نتائج هذا الإعلان وبالتالى المشاعر والإحساس بالقوة اللانهائيــة لدى أمريكا تدفعها وهذا هو الاحتمال الأكبر للمواجهة و يرادف هذا الحشــد العســكرى زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية للشرق الأوســط ومعها مفتاح الهدوء والسكينة وهو عودة المفاوضات الإسرائيلية الفلســطينية وإعلان إسرائيل عن مبادرة جديدة للسلام وربما نرى وفاقا فلســطينيا. فلسطينيا بين فتح وحماس بين يوم وليلة وتعلن حكومة وحدة وطنيــة..؟! لأنه من الظاهر و الواضح أن الأبواب فى الشــرق الأوســط والمفتاح فى أمريكا؟؟

وبقى التغيير الأمريكى الســريع بالســير فى عكس مــا وضعته لجنة بيكر. هاملتون وبدأ الإعداد من جديد عن كون إيران وســوريا دولا راعية للإرهاب وإرهابية بعد أن تم الاعتراف بأدوارها فى الخليج والعراق ودعت اللجنــة إلــى التفاوض مع كل منهما وربما بعد فتــرة تكون كل منهما على علاقة بتنظيم القاعدة ؟!.

مغامرة عسكرية :

ومن الناحية العســكرية هل من الممكن أن تحارب أمريكا إيران وتغامر والجنود الأمريكيون على مرمى المدافع والأسلحة الإيرانية. لقد أحسست منذ فترة من تناولى المشكلة الإيرانية الأمريكية أن وجود الجنود الأمريكيين فى العراق وهــو الضمانة الكبرى لإيران لكى تســتكمل برنامجها النووى وهى تحســب الحسابات الخاصة بها ومعدل العمل على معدل الانسحاب الأمريكــى مــن العراق.. ولكــن بعد تغيــر الظروف والمواقــف والمصالح والأهــداف أيضاً فلابد من تغيير الخطط والتكتيكات العســكرية وأصبح من الطبع الأمريكى أن يكون هناك احتمال للضربة الأمريكية لإيران ويكون البترول الإيرانى مضافا للبتــرول العراقى «والبحر يحب الزيادة؟!» وإننى أجد إحساســا داخليا بأن أمريكا ربما تضرب إيران بقوة غاشمة وعنيفة

ولكــن موجهة إلى المفاعلات النووية الإيرانية وبرنامجها النووى.. ثم تعلن بعدها مباشــرة إنذاراً شــديد اللهجة بأنه فى حالة رد إيران على ضرب برنامجها النووى بضرب القوات الأمريكية فى العراق فإن أمريكا ســوف تقصف طهران نفســها وربما بقنابل ذريــة تكتيكية انتقاما وردعا..؟! هذا فى عمق الفكر والاحتمــال.. ولكن أيضاً هل يعرف الأمريكان أن الخلفية العراقية التى تستمر بمقتضاها المقاومة حتى الآن هو الإحساس كما قلت ســابقا بأنهم كانوا ســادة الدنيا أيام الحكم العباسى ولديهم صبغة دينية أيضاً.

وهــذا هو الخطأ الذى وقعت فيه أمريكا ولــم تكن تدركه حتى الآن.. وهذه هى المرة الثانية.. فالشــعب الإيرانى أيضــاً كان ومازال لديه نفس الإحســاس بحركة التاريخ وأنهم كانوا ســادة الدنيا فى عصر من العصور تغلبوا فيه على القوة الكبرى فى العالم وهم «الرومان «وسادوا الدنيا ايضاً وبعد دخول الإســلام لديهم صبغوا أيضــاً بالصبغة الدينية ولكن طباعهم أشــد وأقوى ولن تنتهى الحرب فى وقت قصير.. هــذا بالإضافة إلى أن نظام الحكم فى إيران لا يشــمل رئيساً على رأس الحكم أو ينفرد بالقرار باســتمرار الحرب أو التســليم ولكنه يعمل من خلال نظام شــيعى تتحكم فيــه مبادئ وآمال وأهداف.. ولم يعد ما أراه إذا ما اشــتعلت الحرب فى الشــرق الأوسط من جديد ســوى الدمار والخراب ولن ينتهى. يقول المثل الشــعبى «العاقل من تدبــر وعقل.. والغافل من تناســى وتجبر».. وليتهم يعقلون...؟!!.

الفصل الرابع

بين الردع.. والعدوان.. بمنظور أمريكى

أمريكا لا تتعلم من أخطائها :

يروى فى أساطير العرب أن شيخاً كبيراً كان يسير مع ابنه فى درب من دروب الصحراء مسافرا.. وعندما لاحظ أنه توجد فى الطريق فى مواجهة ابنــه حفرة صغيرة ربما يقع فيها.. فجذبه بعيدا عنها.. وعند العودة على نفس الطريق وعند الاقتراب من نفس الحفرة ترك ابنه يسير معتمدا على تحذيــره فى رحلة الذهاب، ولكنه وجد ابنــه يقع فى نفس الحفرة؟ فتألم والتوت قدمه واستفسر منه قائلاً «يا بنى ألم أحذرك وأمنعك عنها ونحن ذاهبون أم أنك لم ترها» فرد ابنه عليه : «بل رأيتها ولكننى أردت أن عرف ماذا ســيحدث لو أننى وقعت فيها ونحن ذاهبون.. ويروى أيضاً أن إبليس قال لنبى الله موســى عليه الســلام «ادع لى ربك فأنت كليمه أن يغفر لى ويتوب على فأنا عاص له ولســت مشــركا به» فســأل موسى ربه فقال له ربه : «لقد عصانى عندما أمرته أن يســجد لآدم فور أن خلقته.. وإذا أراد التوبــة.. فهو يعرف قبر آدم فليذهب إليه ويســجد عنده» وعندما عرض موســى هذا على إبليس رفض قائلاً «لم أســجد له حيا.. فهل أسجد له ميتاً.. ورفض أن يفعل» واستمر فى عصيانه لله.

لقد كانت هــذه الخواطر تجول فى خاطرى بعــد الأحداث المتلاحقة حول احتمالات الضربة الأمريكية لإيران.. بأن الإنسان وحتى الجان نادرا ما يستفيد من خطئه.. ولذلك كان الحساب يوما واحدا ومرة واحدة.. لأنه لو عاد ألف مرة لكان نفس الخطأ ونفس التصرف.

وهذا ما تفعله أمريكا الآن فى الشرق الأوسط، أو فى منطقتنا الإقليمية الملتهبــة والحرجة.. ولم تتعظ بخطأ فيتنام ولبنان والصومال ثم العراق.. وها هى تعاود الخطأ فى إيران ولا تقبل نصيحة حكماء العرب وتصر على أن تحصل على «نعم» باللغة العربية.

ولقد كنت اعتقد أملا أن تميل أمريكا لصوت الحكمة. ولكن الأحداث تلاحقت وتتابعت مما جعلنى أعود لأستمر فى الكتابة حولها غير مكترث بما أعلنه مجلس الشيوخ والكونجرس من أنه يوجد مشروع قرار موقع من أحد عشر عضوا بأن يرجع الرئيس الأمريكى إلى الكونجرس فى حالة عزمه ضرب إيران.. ولم ألتفت إلى ذلك مطلقا فالتعمية والتصاريح لن تجد من يصرح بها بعد أن تدور رحى الحرب وإلا فأين سفيرة أمريكا فى العراق قبل الغزو.

كان يدور الحوار عما نراه نحن وبمنظورنا نحن لمفهوم الآخرين ومختلف الأطراف. ولكننى اليوم أرى أن تكون الأحداث ومعللاتها طبقا للمنظور الأمريكى والعلم الأمريكى وخبراء أمريكا.. والمقدمة تعنى ما أقول تماما من أن أمريكا لا تتعلم من أخطائها السابقة كما لم يتعلم الإنس والجن أيضا.. وذلك على الرغم من الطلب الأمريكى للقادة العرب فى الدول الخليجية والمعتدلة.. والإلحاح فى الطلب «بنعم «والقادرة العرب وفى مقدمتهم مصر ينصحون بأن العلاج ليس فى «نعم» ولكنه فى أشياء كثيرة ومعروفة وواجبة التنفيذ والتطبيق.. ولكن الطلب الأمريكى كان «نعم» وقال العرب «لكم ما أردتم والعاقبة ستكون عليكم فى الأزمات وقالوا «نعمين» وليس نعم واحدة.

وبالتخطيط وفن إدارة الأزمة ذهب أولمرت إلى الصين بحثا عن «نعم» باللغة الصينية أيضاً.

أولمرت فى الصين :

وكانت زيارة أولمرت للصين فى الفترة من ٩ إلى ١١ يناير ٢٠٠٧ ليست بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لإقامة علاقتهما الدبلوماسية كما أعلن، ولكن دائماً ما يكون وراء الأمور أمور أخرى طبقا لقرب وتناغم أسلوب التعامل حتى كانت سلة التفاوض حول «نعم «ولكن باللغة الصينية.. ولا تعول عزيزى القارئ على فهم شىء واضح من إعلان النتائج فى مثل هذه

المحادثــات.. فكلا الطرفين أمكر من ذلك بكثير وإن ظهر شــىء فالباقى أكثــر وإن ظهر هذا الشــىء فهو أن أولمرت ســعى من خــلال زيارته إلى التركيــز على التعاون خلال المرحلة المقبلة على قطاعى الصناعة والتجارة البينيــة من ٣ مليارات دولار أمريكى فى نهاية العام ٢٠٠٦ إلى ٥ مليارات بحلــول عــام ٢٠٠٨ و ٧ مليارات بحلــول ٢٠١١ على الرغم من شــكاوى الإســرائيليين المتكررة من أن الصينيين تنافســيون. وعلق أولمرت قائلاً : «وأنا اعتبر الصينيين جيدين لأنهم تنافســيون» ثــم بدأت تقترب الأقوال مــن الحقيقة عندما قال أولمرت هناك، «إن الصين ليســت قوة اقتصادية فحســب، بل هى دولــة مهمة أيضا وتلعــب أدوارا محورية فى العديد من القضايا الإقليمية والدولية» ثم أضاف «لا عجب أن يشعر كل الإسرائيليين بالامتنان للشعب الصينى للطريقة الحارة والودية التى عاملوا بها خمسين ألف يهودى فى كل من «شنغهاى وهاربين «وعلقت صحيفة «جلوبال تايمز» على لسان الكاتب الصينى «تشاو» أن الواقع أن اليهود آنذاك كانوا عاطلين عــن العمل وتنقصهم المواد الغذائية التــى تبقيهم على قيد الحياة.. وكان يحظر عليهم الخروج بحرية إلى الخارج عن المناطق الســكنية المحددة لهم وبالتالــى لم يكن أمامهم أى خيارات أخرى ســوى أن يتبادلوا مع جيرانهم من أهالى مدينة «شــنغهاى» المواد الغذائية مقابل ما كان فى حوزتهم من حلــى ومصوغات ومواد ثمينة أخرى.. خاتم ذهب مقابل كذا رغيف خبز.. أو ســوار من الذهب مقابل كذا كيســا من الحبوب.. وهكذا وهو ما جعل اليهود يدركون حق الإدراك بأن فى العالم أناســاً مثلهم يتسمون بالدهاء.. بل قد يتفوقون عليهم.

وفيمــا يتعلق بالترويج لمقولــة أن اليهودى عندما يــرى مواطناً صينياً يتجول فى شــوارع إســرائيل يهرع إليه ويعانقه ويصر على استضافته فى منزله لتناول الطعام ردا للجميل فهى أيضاً ليست إلا كلاما لتهييج مشاعر الناس وعواطفهم.. والحقيقة أن صحفيا صينيا فى إسرائيل قام بإصدار مجلــة باللغة الصينية تنادى بحماية حقوق هؤلاء العمال.. فما لبث إلا أن وجد نفسه مطرودا من إسرائيل..

وفى النهايــة فإنى أرى أن الاختيار الأمريكى لعقد صفقة «نعم» باللغة الصينية كانــت موفقة جدا باختيار «أولمرت» بالــذات.. وعلامة ذلك هو قبول استقال «حالوتس» رئيس الأركان الإسرائيلى بما يعنى أن العجلة قد دارت والإجراءات كذلك تسير نحو الخطوات التالية..

وبقى شىء جديد يجعل من الصورة أكثر وضوحا.. ليس بالظلال ولكن بألــوان ظاهرة ومتعددة لتحكم المصالح والأغراض فى الأرواح والشــعوب أيضــا.. حيث أنه من الواضــح والمعروف أيضا أن تجــارة المعلومات هى مــن أكثر أنواع التجارة ربحية فى العصــر الحديث.. فهى مربحة للبائع.. ومربحة أيضا للمشــترى حيث تهيئ له الفرصــة للعمل الصحيح وفقا لما قدم له من معلومات.. وأســتطيع أن أؤكد أن فرنســا هى صاحبة الفضل والابتكار والسبق أيضا فى هذا المجال.. ومن مدة قصيرة حدث هذا أثناء غزو العراق وحصلت فرنسا بمقتضى المعاونة المعلوماتية على الحصة التى كانت تحلم بها فى كعكة إعادة اعمار العراق.. وها هى الآن تقوم بإرســال مستشــارها للأمن القومى «موريس موتو «وهو مستشار الرئيس الفرنسى الســابق جاك شــيراك للأمن القومى للاجتماع مع مسئول أمنى كبير فى إيــران فى عاصمة أوروبية.. وذلك من أجــل التباحث وتبادل المعلومات.. ويجمع ما يحصل عليه الفرنسى البارع من معلومات نتيجة إجابات محددة ومدروســة وإضافتها على ما تحصل عليه المخابرات الفرنسية بنفسها أو بتعاونها مع الغير أيضــاً وبتحليل كل ذلك يمكنها الخروج بحصيلة وعقار معلوماتــى جديد ومؤشــر يعطيها الحق فى ثمن مالى مناســب فى حالة حدوث الحرب فى إيران ومماثل أيضا لما حدث فى العراق ويغلف كل ذلك التصويت فى مجلس الأمن والمشــاركة فى رفــع أو خفض وتيرة الأحداث إعلاميا طبقا لما تقتضيه ظروف الأحداث.

تحليلات كيسنجر :

وعودة إلى الفكر والإستراتيجية الأمريكية من البداية حيث يحلل هنرى كيسنجر جذور السلبية فى السياسة الأمريكية مبينا أنها ترجع لتبنى فكرة

أن الوقـت فى صالح أمريكا.. وطالما أن النجـاح النهائى مضمون فإنه لا يعود هناك مجال للاهتمام بعوامل التجديد والمبادرة وتنشأ اتجاهات سابية لإرجاء اتخاذ القرارات الصعبة والانشغال بالاعتبارات التكتيكية اليومية.. ولذلـك فإن ما تتبعه أمريكا من سياسـات أصبحـت تنقصها الحيوية.. وأصبحـت المناقشـات العامة تركز على الأغراض لا على الأسـباب مما أدى إلى إصابة السياسـة الأمريكية بالعقم فى هذا الوقت بالذات.. فيما يطلـق عليه «العصـر الثورى» وإن عاد ليقول بأنـه يوجد مع ذلك جوانب مشرقة بإمكانية معالجة نواحى الضعف باتخاذ مبادرات جديدة وتتأرجح السياسـة الأمريكية ما بين القوة المضادة أو الردع المحدود، وينادى أنصار إسـتراتيجية القوة المضادة بأن الردع يسـتلزم ليس فقط احتمال تدمير الصناعة والسـكان المدنيين بل أيضا الهزيمة العسـكرية ومن ثم فالهدف الأول يجـب أن يكون القوة الضاربـة للعدو قمتى تحطمت.. ثم التأكد من النصر «نظرية كلاوتزفيتز» ولذا فإسـتراتيجية القوة المضادة تتطلب قوة انتقامية كبيرة ومحمية بدرجة تضمن لها تحطيم قوة العدو الهجومية.

ويعود هنرى ليؤكد حتمية تحصين القوة الانتقامية الأمريكية لأن وضع القوة الانتقامية لأمريكا فـى وضع غير محصن بينما القوات المعادية فى وضـع محصن يجعل مقدرة القـوة الانتقامية على الردع فى حالة الحرب الشـاملة منخفضـة جدا ضد أى هجـوم مفاجئ مقصـود.. وتكاد تكون عديمـة الفائدة فى حالة العدوان المحـدود.. ومن هنا وجب بادئ ذى بدء أن تكون القوات الأمريكية الرادعة فى وضع محصن ومحمى، وبما يمكنها من إحداث نتائج رائعة بالنسـبة لها.. وفى ظل هذه الظروف فإن المخرج الوحيـد الممكن قد يكون فى العمـل على إيجاد حالة تجمد بتوجيه ضربة لكيان العدو القومى.. وينتهى كيسـنجر فى هذه النقطة إلى استنتاج بأنه ما لم يحدث اكتشـاف تكنولوجى خطير فـإن النصر فى الحرب لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق هجوم مفاجئ.. ولكى يكون الردع فعالا فيجب أن تتوفر الشروط الآتية :

١ - أن يكون تنفيذ التهديد الرادع مصدقا من جانب الطرف الآخر المضاد بدرجة تكفى لئلا يؤخذ التهديد على أنه مجرد تمويه.

٢ - أن يفهـم العدو المحتمل تصميـم الطرف الآخر على مقاومة الضغط أو الهجوم.

٣ - أن يكون العدو عاقلاً بمعنى أنه يرعى مصالحه الخاصة فى تصرفاته بصوره يمكن التكهن بها.

٤ - أن يصل العدو المحتمـل.. عند تقدير مصالحه الخاصة للنتائج التى يسـعى الطرف الرادع إلى الإيحاء بها.. وبمعنى أخر أن يدرك ويصل إلى نتيجة إن خسائره فى المواجهة أكبر بكثير من فوائده.

طبيعة الحرب المحدودة :

لمـا كانت نتائج الحرب الشـاملة يـزداد الهلع منهـا وأصبح الاعتماد عليها كذلك أكثر سـخفا فالفجوة بين التهديد الموجه لأغراض الردع وبين الإسـتراتيجية المزمع تنفيذها سـتزداد اتسـاعا.. فأى زيادة فى التدمير يقابلها تشـكيك فى قيمـة الرد وفى إطار هذه الدائرة بالردع قد يفشـل الـردع فإن فشـل فإن الاعتماد علـى الردع الجماعى سـيضمن النتيجة المباشـرة.. ذلك أنه إما أن يؤدى إلى الاستسـلام أو أبشع أنواع الحروب المسـببة للكوارث وليس أمام أمريكا ما هو أكثر إلحاحا من أن تنسـق بين سياستها الرادعة والإستراتيجية التى هى على استعداد لتنفيذها.

وفى عصر الصواريخ سـوف يكتسب الجانب الذى يستطيع أن يضيف مزيدا من القوة دون أن يلجأ إلى حرب شاملة.

وهنا يرى كيسـنجر أن الردع والإسـتراتيجية لا يمكن الفصل بينهما، فالردع لا يعتمد فقط على الانتقام من العدو بل يتعداه إلى احتمال حدوث العدوان.. وهذان العاملان يرتبطان ببعضهما بنسـبة معكوسة.. فلو هبط إحدهما جدا فشـل الردع.. وإذا كان الجانب الـذى يبغى الردع يؤكد رده ألتدميرى على حساب الثأر فقد يشجع العدوان..

وإذا وضع اهتمام زائد على إســـتراتيجية تصل تكاليفها إلى أدنى حد فإن العقوبات ضد العدوان قد تصبح بســـيطة جدا بالنسبة للردع الفعال فالتحدى الذى يواجه السياســـة الأمريكية العسكرية هو إقامة أكبر توازن بين قوتها الرادعة وبين الإســـتراتيجية التى هى على اســـتعداد لتنفيذها لو فشــل الردع.. فالردع قد يكــون كافيا إذا لم يســـتطيع المعتدى إلحاق الهزيمة بالقوى العسكرية أياً كان الشكل الذى يتخذه العدوان. وهنا يقول كيسنجر:

«إن أصحاب النظريات فى الحرب المحدودة لا ينكرون أن الخطر الذى تفرضه هذه الإستراتيجية على المعتدى أقل من خطر الثأر الجماعى ذلك أن الغرض من إســـتراتيجية الحرب المحدودة هـــو أولا تقوية الردع وثانيا إذا حدث وفشـــل الـــردع فإنه توجد الفرصة للتســـوية قبل أن تحتمى بها ذاتيـــة القوى الثأرية.. والخلاصـــة أن الحرب المحدودة مبنية على نوع من المساومة الماكرة لا تتعدى قيودا معينة.

أشكال الحرب المحدودة :

ويوجد هناك ثلاث ضرورات لإستراتيجية الحرب المحدودة وهى :

١ - قـــدرة قوى الحرب المحدودة على منع المعتدى من العدوان بغية إقرار الأمر الواقع.

٢ - طبيعـــة تكوين هذه القوات بحيث لا يقيمهـــا الطرف الآخر على أنها مقدمة لحرب شاملة.

٣ - ربط هذه القوات بدبلوماســـية مقنعة بأن الحرب الشاملة ليست الرد الوحيـــد على العدوان بل أن ثمة رغبـــة ملحة على التفاوض من أجل تسوية حيث أن البعض يرى أن القوة الثأرية تناسب الحرب المحدودة بســـبب قدرتها علـــى الدخول فى ثأر تدريجى أو حرب إســـتراتيجية محدودة.. كما أن البعض الأخر يحبذ إســـتراتيجية الثأر غير المباشر الـــذى يهدف إلـــى معاقبـــة المعتدى فى مـــكان غير الـــذى وقع فيه العدوان.

وهنـــاك مدرســـة فكرية تركز علـــى أهمية الدفاع المحلـــى.. وكل هذه الإجــراءات لهـــا فائدتها فى منـــع أو ردع العدوان وتقـــديم بديل للحرب الشـــاملة.. ومقاومة سياســـة الأمر الواقع هى أساس الردع أو المنع.. فإذا قام الأمر الواقع فإن غرض الإســـتراتيجية لا يصبـــح حمل المعتدى الذى ينوى الاعتداء. على الإحجـــام عن المهاجمة فقط بل يجب أن ترغمه هذه السياســـة على الانسحاب ذلك أنه عندما يقرر المعتدى الهجوم فإن العبء السيكولوجى يقع عليه ولابد له من أن يتخذ خطوة ايجابية.. مما سيرغمه على التردد خاصة إذا بدأ أن هدفه بعيد المنال وعلى العكس فإن نال المعتدى بغيته فإن العبء السيكولوجى سيتغير لصالحه حيث يكون على المدافع أن يقدر خطر القيام باتخاذ الخطوة الأولى.. ويقول هنا كيسنجر:

انه عند مقاومة الاحتلال يكون على المدافع أن يختار بين الاستمرار فى الدفاع عن النفس أو الاستسلام.

فإذا كان المعتدى قد حقق غرضه بالفعل فيمكن للمدافع تحقيق السلام عن طريق التسوية على أساس الوضع الراهن الجديد.

ويوجد رأى فى دراســـة أمريكية مشابهة فى هذا الصدد يقول «إن دول الشرق الأوسط فى وضع لا يمكنها من مؤازرة بعضها البعض.. ويبقى هنا التساؤل الهام.

هل الحرب المحدودة نووية أم تقليدية؟

ويتحكم فى الوصول لهذه المعادلة حقيقتان ينبغى تفهمهما.

الحقيقة الأولى : لم تعد أيه حرب فى العصر النووى ـ تخلو تماما من شـــبح المواجهة النووية إلا إذا تقدمت إجراءات الرقابة على السلام تقدما كبيرا بحيث يمكن الاعتماد عليها إلى مدى بعيد.. فالواقع أن نشوب حرب بـــين قوتين نوويتين بأســـلحة تقليدية هو اعتـــداء لا يمنع أيا منهما من أن يضع فى الاعتبار إمكانية استخدام الأسلحة النووية.

الحقيقـة الثانية : أن الاختيار بين اسـتخدام الأسـلحة التقليدية أو النوويـة لم يعد متاحـا للولايات المتحدة فقد وجب علـى من يواجهها أن يدرك بإمكانية استخدامها.

مميزات الإستراتيجية النووية :

١ - سـوف تتشـتت الفرق العسـكرية بين متطلبات النصـر ومتطلبات المحافظة على البلاد ولكى تسـود الولايـات المتحدة فى حرب نووية فمـن الضـرورى أن تكون لديها وحدات صغيرة سـريعة الحركة أما الاحتفاظ بالأرض فيحتاج إلى تركيز أكبر وأضخم.

٢ - سـوف تفقد الحرب النووية تقديرات المعتدى ذلك أنها غير مألوفة.. فمع أنه يوجد خبراء كثيـرون فى الحرب التقليدية إلا أن تقديراتهم بالنسبة للحرب النووية لابد ومنطقيا أن تكون نظرية فقط؟

٣ - سـتكون الحـرب النووية وسـيلة فعالة فالحـرب النووية هى أفضل الوسائل لاستغلال متاعب العدو السياسية.

٤ - الأسـلحة النووية هى أفضل الأسلحة الموجودة لدى الولايات المتحدة الأمريكية بسبب تفوقها التكنولوجى.

٥ - فى حاله أتباع أى سبيل أخر سيفرض على الولايات المتحدة متطلبات مؤداهـا أن تكون لديها قـوة تقليدية متزايدة تتمتع بالأمن ووسـائل الحمايـة وبالقدرة علـى الحرب المحدودة.. وهذا مـا يحدث الآن.. وبعد كل تلك الجولة فى العقلية الأمريكية وعراب السياسة الأمريكية بالذات هنرى كيسـنجر فإنه مازال مقتنعاً «أنه ليس هناك من سبب فعلـى يجعل الولايـات المتحدة تتراجع عن حـرب نووية. بل أنه على العكس تؤكد كل الأسـباب ضرورة استخدامها لتمتع الولايات المتحدة بتكنولوجيا بالغة التقدم فى هذا الصدد وأننى أرى أن كيسـنجر منذ سـنوات مضت يؤيد الإسـتراتيجية النووية.. فقد بـدا له حينئذ أن الرادع الأكثر فاعلية لأى اعتـداء جوهرى هو التقيد من أن الولايات

المتحدة سوف تستخدم الأسلحة النووية منذ البداية.. ومع ذلك فإن الحاجة إلى قوات قادرة على خوض غمار حرب نووية محدودة تظل قائمة.. وبقى الشىء الذى يجعل من المستحيل إيجاد وصف متماسك لمفهوم الحرب النووية المحدودة.. فالسلاح الجوى يتصورها على أنها مراقبة فضاء جوى محدود.. ويعتبرها الجيش حيوية لتحطيم الأهداف التكتيكية التى يمكن أن تؤثر على العمليات الأرضية بما فيها مراكز المواصلات.

أما الأسطول فيهمه فى المرتبة الأولى التخلص من المنشآت فى الموانى.. وللتوفيق بين هذه الاتجاهات فقد سمح لكل سلاح بتدمير كل ما يعتبره ضروريا بالنسبة لمهمته، والحرب النووية المحدود التى تخوضها الولايات المتحدة على هذا النحو قد تصبح لا فرق بينها وبين الحرب النووية الشاملة.

ومازالت أمريكا تجد فى السلاح النووى الأمان والدرع والحماية.. فإن الأحداث الجسام تفرض شروطاً معينة لم تكن فى التقدير أو الحسبان وأكبر دليل على ذلك أن الولايات المتحدة لكى تدخل مثلا فى لبنان وهى بلد ضعيف للغاية تسبب ذلك فى سحب فرقتين من ألمانيا ومنعت عن العمل معظم وسائل النقل الاستراتيجى.. أى أنها أضعفت أكثر المناطق حساسية فى أوروبا فى الوقت واللحظة التى بلغ بها التوتر الدولى مداه..

وأخيراً عزيزى فقد حدثنى صديق سياسى أيضاً عن أن المجهود الذى بذل فى البحث عن احتمالات الضربة بين أمريكا وإيران قد باء بالفشل - خاصة بعد أن أعلن متحدث باسم البيت الأبيض عن عدم نية أمريكا ضرب إيران.. فقلت له «إذا سوف استمر فى كتابه البحث الثانى وفى نفس المنطقة ولكن بالمنظور الأمريكى... ووفقا لأقواله ونظرياته ومصلحته أيضاً.. فهل نحن من السذاجة بأن نصدق كل ما يقال».

ويقول المثل الشعبى «أسمع كلامك أصدقك.. أشوف أمورك استعجب «ومازلنا فى انتظار العجب..»

الفصل الخامس

وضحت الرؤية..

الترتيبات النهائية قبل ساعة الحسم :

عندما بدأ لى القدم الأمريكى يتجه نحو الغوص فى المستنقع العراقى وتلك مهنتى وفهمى.. وشكلت أمريكا لجنة بحث واستقصاء عملى على أرض الواقع فى العراق وعبر دوائر «الكونفرانس «لبحث كيفية الإنقاذ وقلت «عفوا.. كيسنجر» فليس اليوم يومك وأمريكا تحتاج إلى فكر آخر.. وفى النهاية توقعت أن ترفض كل الاقتراحات وسوف تعود أمريكا رغم كل الخسائر إلى فكر العراب السياسى الداهية هنرى كيسنجر، لأن ميول فريق الحكم فى أمريكا تميل إلى أفكار وغواية هنرى، وغاصت أمريكا فى المستنقع العراقى، وبدأت تنزلق نحو الأرض الفارسية الأعمق والأخطر وتم - كما فى المرة الأولى - تشكيل لجنة وهذه المرة بقيادة العراب الآخر «بيكر «وبمعاونة «هاملتون «، وتوقع الجميع خيرا وبدأت التباشير بالانسحاب وعودة السلام.. ولكن توقعنا أيضا أن ترفض لجنة بيكر - هاملتون ورفضت أفكارها، وعاد فريق الحكم إلى غواية كيسنجر أيضاً، وقلنا مرة أخرى «عفوا.. جاءت أمريكا لتبقى» وظهرت نتائج مناورة الحرب الالكترونية والتى أطلق عليها «المطرقة الاسبرطية» وهى أضخم مناورة تجسس للناتو فى اليونان وقام بها فريق خاص بجناح التجسس لحلف الأطلنطى على أحدث أجهزة التجسس والتصنت، وتشمل معدات التدخل الالكترونى والمراقبة والتصوير فى إطار التجهيز للحرب على الإرهاب فى البر والبحر. وقام الفريق الذى يبلغ أكثر من ألف خبير من ١٢ دولة تابعة للناتو منهم ٧٠٠ من بلدان غير اليونان واشتركت طائرات تجسس ذات إمكانيات تكنولوجية عالية وتمت المناورة فى المنطقة الواقعة بين شرق شبه جزيرة «البيلولونيز» و «لاديسا» فى الشمال وقاعدة «شوذا» فى جزيرة

«كريت».. وبدأ بزوغ الهلال.. وفى الاحتفالات والمناسبات الدينية فى عالمنا العربى والإسلامى ترتبط ارتباطا وثيقا بظهور هلال القمر أو اختفائه.. وتظل فى كل مناسبة وقبل حلولها بعدة أيام فى حالة ترقب وانتظار.. بل واختلاف أيضاً وفى كل مرة تظهر الفتاوى العديدة التى تتعلق بظهور الهلال ونسمع تارة عن فتوى الاشتراك فى جزء من الليل وهى توجب الالتزام على الجميع وتارة تختفى!! ومع ذلك فنحن نصوم ونفطر طبقا لما يريد أن يطبقه فضيلة مفتى الديار التزاما واقتناعا بالالتزام بالجماعة.. أما ما يحدث فى القلب فليس بأيدينا.. وعفوا فضيلة المفتى فرؤية أحداث الشرق الأوسط لم تعد خافية أو مشكوكا فيها وإنما ظهرت الرؤية واضحة تماما للعيان ولكل عين مبصرة وعقل فاهم.. وعفوا نحن فى حاجة إلى فتوى جزء من الليل.. لأن الليل سوف يكون بكامله وحالكا ومظلما على كل المنطقة فوجب على الجميع الاستعداد وحتمية ترتيب الأوراق.

تعاون الناتو :

وكالعادة وكما تعودنا دوما فقد ظهرت الرؤية كأول ما تظهر فى المملكة العربية السعودية الشقيقة حيث أعلن وزير الخارجية «سعود الفيصل «مؤكدا» تقدير السعودية لتوجيه حلف الناتو للتعاون مع دول المنطقة بما فيها دول الخليج العربى.. معتبراً أن التعاون فى مجالات تبادل المعلومات والخبرات والتقنيات المرتبطة بمكافحة الإرهاب وأمن الحدود ومكافحة الإرهاب وإدارة الكوارث ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل «وأشار خلال افتتاحه ندوة الناتو ودول مجلس التعاون الخليجى ضمن إطار مبادرة اسطنبول التى عقدت فى الرياض» إن أى تعاون مجد لابد أن يستند إلى احترام سيادة الدول وخصوصيات مجتمعنا وخياراتها السياسية والفكرية.. وهذا ما يعنى أن المشاركين معروفون والعازفين موجودون وللقرار متخذون.. «على نمط السيرة الهلالية.. «والشىء بالشىء يذكر وكالعادة أيضاً وتكراراً لأحداث العقود الأخيرة ظهرت الرؤية أيضاً فى

القاهــرة حيــث أوردت كل الصحف القومية المصرية أخبــار لقاء الفريق سامى عنان رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية والفريق «برايموند هينو «رئيس اللجنة العســكرية بحلف شــمال الأطلنطــى..» أليس ترتيب الأوراق بضرورة حتمية «وتناول اللقاء بحث ســبل دعم التعاون والعلاقات العســكرية بين قواتنا المســلحة والحلف.. وقد حضر اللقاء عدد من كبار قادة القوات المســلحة.. وهذا هو نص الخبر كما أوردته وأظهرته صحف القاهــرة القومية.. ثم جاءت الأنبــاء من تل أبيب حيث أنها وطبقا للفتوى - مشــتركة فى جزء مــن الليل.. ولو من باب المــكان والجغرافيا.. وبدأت اجتماعات المنتدى الســنوى للتعاون الاســتراتيجى الأمريكى - الإسرائيلى الــذى يركز البحــث فى البرنامــج النــووى الإيرانى وكيفيــة المواجهة.. والتهديــد الذى تشــكله إيران علــى المنطقة ومن أهم الملفــات المطروحة بحث التطورات العســكرية فى العراق ومكافحة الإرهاب وتمويله ووسائل الحفاظ على التفوق العسكرى الإسرائيلى على الدول الأخرى المحيطة فى الشرق الأوسط.. وأكد الســفير الإسرائيلى السابق فى واشنطن فى هذا الصدد «دانى يعالون» أن هذا المنتدى يعتبر مناســبة مهمة لإدراج المخاوف الإسرائيلية فى الأفكار الإســتراتيجية للولايات المتحدة.. «تمنح الولايات المتحدة إســرائيل ٣ مليارات دولار ســنويا بينها ملياران من المســاعدات العســكرية بينما يرتبــط الجانبان باتفاق للتعاون الاســتراتيجى...» وفى «عمان» عاصمة الأردن أعلن «خافيير ســولانا» الممثل الأعلى للسياســات الأمنية والدبلوماسية فى الاتحاد الأوروبى السابق أنه قد حان الوقت لبدء عملية سياســة تنهى حل الصراع العربى الإسرائيلى «.. وسبحان الله ولا إلــه إلا الله.. فيكاد العقل يجن من التعجب والاندهاش.. فما الجديد فى الشــرق الأوســط منذ ما يزيد على نصف قرن وحتى الآن.. ومن شهرين فقط حضر إلينا «خافيير سولانا» ولم يقل هذه الكلمات..

وهل يعقل أو نصدق أن الأوان قد آن لحل مشــكلة الشــرق الأوسط.. ولماذا كانت كل تلك المعاهد الشــرق أوســطية ومعاهد الدراسات الدولية

وشهادات الدكتوراه فى مشكلة الشرق الأوسط والحروب العديدة والأرواح والأموال والعلماء الذين لم يستطع واحد منهم أن يتنبأ بالأوان الذى آن لكى تحل مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى.. حتى جاءنا «خافيير سولانا» بالخبر اليقين والموعد المتين لكى تحل مشكلة الشرق الأوسط! ومعه أيضا المفتاح السحرى لحل القضية حيث أعلن «أنه كانت تنقصنا فقط وما نحتاجه.. هو الإرادة السياسية!!» «ألم أقل لك عزيزى القارئ سابقا إن مشكلة الشرق الأوسط والإيحاء بحصولها هو المفتاح السحرى للتعامل مع دول المنطقة وتجهيزهم لبلع ما يشتهى الغرب ويريدهم أن يبتلعوه..»

الإرادة السياسية :

وآه وألف آه من تلك الإرادة السياسية الملعونة والتى اختفت قرابة الخمسين عاما... سقط الملايين من الأبرياء والمدنيين والشهداء بحثا عنها.. وشكرا لله أن وفق مستر «خافيير سولانا» الذى دلنا عليها!!! وقد أعلن ذلك مضيفا فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى ختام زيارته للأردن وقبل توجهه إلى إسرائيل «نعلم جيدا أن نهج إدارة الأزمات لم يتم.. بل أدى إلى إطالة وتعميق معاناة الناس...» موضحا «أن الهدف من جولته الحالية هو سعى الأصدقاء فى العالم العربى والجهود والإرادة السياسية والحماس لبدء هذه العملية فى أسرع وقت ممكن..» ولم يعد لدى عزيزى القارئ ما أكتبه أو أعبر به تعليقا على هذه الكلمات سوى الدعاء بعد اختفاء تلك الملعونة «الإرادة السياسية» مرة أخرى والتى دلنا عليها «خافيير سولانا» والتى أخشى أن تظهر فى كوكب أخر ربما بلوتو أو المريخ... وربما عطارد.. «ولا ندرى متى ؟!! وطبقا لمنطق الرؤية وبهذه المناسبة حضر الرئيس الباكستانى السابق «برويز مشرف» إلى السعودية ثم إلى القاهرة فالأردن متجها إلى دمشق.. بحثا عن الأدوار وقراءة السيناريو الجديد للرواية الجديدة والاحتفال بالرؤية وظهور الهلال.. «أليست دولة إسلامية..» وتذكرنا بأنها لم تقم علاقة كاملة مع إسرائيل حتى الآن

وينطبق عليهـــا علم المواريث بالأحقية والأنصبة طبقا للقرابة والمشـــاركة ولو حتى من باب المثل الشـــعبى الذى يقول «إن هدم بيت أبيك.. فأســـرع وخذ منه ولو شباك..» وبعد لقاء القاهرة أعلن وزير الخارجية الباكستانى «خورشـــيد قاصورى «أن هنـــاك اتفاقا على ضرورة العمل المشـــترك بين القوى الإســـلامية بما يؤدى لتحقيق انفراجه فى الأوضاع وتســـويات على الأرض فـــى العالمين العربى والإســـلامى.. وكان يتحدث بعمق وترو معبرا ومتأثرا كما أوضح «إن ما يحدث فى العالم الإسلامى خلال الفترة الماضية يؤثر على باكســـتان مباشـــرة «ومعبرا فى نهاية اللقاء وبحســـرة وألم «انه ســـوء الحظ فإن باكستان مازالت تدفع الثمن..» ولذلك لا يمكننا أن نظل فـــى موقع المتفرجين وفى النهاية أضـــاف «قاصورى» إن هناك حاجة إلى التوافق بين الدول الإسلامية والعربية أو غير العربية ولابد أن نفكر بذلك الجهود لإيجاد آفاق جديدة أفضل.. ولذلك فإننا لا نركز فقط على العالم الإســـلامى وإنما على العالم ككل.. ولأنه ما لم نشـــرك أطرافا أخرى فى العالم فلن نحقق أهدافنـــا.. وهناك مربط الفرس والمغزى من كل ما قال وإلـــى هنا نقـــول «لافض فوك» وكفاية.. لم نعد نرغـــب فى المزيد وفهمنا أكثر ممـــا نتوقع أن نفهم ونعرف..!! ولكن بعد كل هذا وما لا أعرف كيف أربـــط أو أعبر عنه هو كيفية ربط العلاقة بين أقوال وزير الخارجية وقول الرئيس الســـابق «برويز مشـــرف» فى أثناء الجولة أيضا «باكســـتان تثمن العلاقات الـــودود مع إيران!! فهى جارة قريبة تتشـــارك معها فى التاريخ والجغرافيـــا والدين والثقافـــة.. ونحن نحترم حق إيـــران فى طاقة نووية سليمة تتبع محددات الأمان وضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وكما نعتقـــد أيضا أنه يتعين على إيران التفكير فى اتخاذ تدابير لبناء الثقة مع العالم فيما يتصل بالطبيعة السلمية لبرنامجها النووى!!!

فهامة جاهين :

ولم أفهم كى ادعى الذكاء وفكرت فيمن أعرفه حتى يكون وسيطا للأخ العزيز بهاء جاهين كى يعيرنى «فهامة» والده العزيز المرحوم صلاح جاهين

كـــى أفهم بهـــا متعهداً بإرجاعها فى اليوم التالى ســـواء فهمت أو لم أفهم وحاولـــت البحث فى المراجع القديمـــة أو المخطوطات حتى لا أخطئ «هل هناك نبوءة.. أو فتوى» بأن يكون السلاح النووى فى يد إسرائيل وباكستان فقط!! وهل هو خيار قدرى محتوم «وهذا بصرف النظر عن الرأى الخاص بـــى فى هذا الشـــأن».. ولكنـــه التفكير المنطقى الواجـــب حتى يباح لهما هذا الســـلاح والباقى عليه أن يتخذ خطوات بناء الثقة بأن هذا البرنامج للأغراض الســـلمية لأنه ما عدا ذلك فهو حرام ووســـاوس شيطانية يجب أن يؤدب ويعزر عليهـــا من يتطاول عليها حتى يتبرأ منها!! أليس الحقيقة والحق أن يكون الشـــرق الأوسط خاليا من أسلحة الدمار الشامل بما فيها الســـلاح النووى..!! فهى منطقة مســـالمة وهادئة بطبيعتها ولكونها كذلك اختارها الله مهبطاً للوحى لدياناته السماوية وكتبه المقدسة !! لقد حاولت الفهـــم وليتنى فهمت..!! ولم أتوقع أن الرئيس الباكســـتانى نفســـه ووزير خارجيتـــه أن (روليت السياســـة للقطبية الواحـــدة) كان يتجه عليه وعلى دولته الباكستانية بعد أن كان يتحدث بثقة (وهل توجد ثقة فى أيام الريبة والشك) وعوقب على مواقفه فى بداية الحرب الأمريكية الأفغانية وتلاعب مؤشر العقاب فى الداخل الباكستانى وخلع برويز مشرف وحضرت بنظير بوتو باســـتدعاء امبراطورى أمريكى و دخلت باكستان لتجد القدر المحتوم و تغتال فى الشارع الباكستانى ثم يتولى زوجها؟؟ وجارى البحث منذ ذلك اليوم باكســـتان و من يجدها يتصل برقم...؟؟؟ (انظر برويز مشـــرف فى شخصيات بين الأسطورة والواقع للكاتب).

وعودة إلى منطق الأحداث والرؤية فإن حركة الأحداث يومية وبأســـرع بكثير من المعدل الطبيعى وحتمية الاستعداد والتقدير.. و رغم أن الأحداث جسام وتتضاءل أمامها أى خلافات أيا كان مقدارها أو معيارها وطبقاً للفتوى فليـــس هناك جزء من الليل ولكنه الليل كله بســـواده الحالك وعلى المنطقة بكاملها ، فوجب الصيام عن الكلام وفرض الفعل ومصلحة الشـــعوب..! و رغم أن أمريكا دولة غير إســـلامية ولكن أصبح بها جالية إسلامية داخلية

أو مهاجـرة إليها وعددها لا بأس به فوجـب الإعلان عن الرؤية ولا يوجد أحد أفضل من أحد إلا بالتقوى.. وليس بالنووى.. فقد أعلن عن تهديدات أمريكية صريحة باستخدام القوة ضد إيران إذا لزم الأمر.

والمهم أن الرؤية على لسـان نيكولاف بيرتزى مسـاعد وزير الخارجية الأمريكية للشـئون السياسية «بأن بلاده سـوف تستخدم القوة العسكرية ضد إيران إذا لزم الأمر..» وقال فى محاضرة ألقاها فى مركز دراسـات الخليـج فى دبى «إن إيـران يجب أن تفهم وتدرك جيداً أن واشـنطن لن تسـمح لها بالهيمنة على الشرق الأوسط ودول الخليج..» ويتم هذا بالطبع كنوع من الاطمئنان لدول الخليج لتجهيز الفاتورة الدولارية والتى يجب أن تكون بالطبع عربية وهى الجانب الأكبر من المسـاهمة.. وإلا لماذا ارتفعت أسـعار النفط فى الفترة السابقة وبدون سابق إنذار وبأسباب واهية وفى الحقيقة فإنـه عندما وصلت عوائد فروق الأسـعار إلى ما يكفى الإنفاق الحالى.. عادت الأسـعار لتنخفض أكثر من عشـرين دولارا للبرميل مرة واحدة ودون أسـباب أيضاً والمصب واحد مهما كانت المنابع وسـوف يدفع العرب بالرضـا وإلا.. والتجربة عودتهم أنهم سـوف يدفعون ما يأخذون بعد خصم رسوم التحصيل فقط بالطبع! بعد أن أوضحت أمريكا لهم بأن مارد الفرس بدأت تدب فـى أوصاله الحياة من جديد وبدأ يتململ داخل المصباح فى انتظار التعويذة النووية وحنت قلوب العرب شوقاً إلى ذكريات الشعر العربى مرة أخرى.

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم

منا غطاريف ترجو الموت وانصرف

لقـوا ململمـة شهبـاء يقدمهـا

للموت لا عاجـز فيهـا ولا خـرف

بيض الصفائح لا سود الصحائف

فى متونهن جـلاء الشـك والريـب

دور البطولة :

ألــم أقل لــك عزيزى القــارئ إن التاريخ يعود دوماً .. أوليســت إيران دولة إســلامية أيضا ولم لا تظهر فيها الرؤيــة وبأى فتوى أو زاوية تريد؟ فالدين الإســلامى روحه ســمحة والدين لله والوطن للجميع.. فقد أتهم ســكرتير مجلس مصلحة النظام فى إيران «محســن رضائــى» الولايات المتحــدة بالتخطيــط لنقل المواجهة إلــى داخل إيران مؤكــدا أن مواجهة أمريكيــة إيرانية «قادمة لا محالة «وأوضح فى مقابلة مع صحفية «البيان» الإماراتية أن واشــنطن تخطط خلال الشهرين المقبلين لنقل المواجهة إلى الداخل الإيرانى لإثارة الفتن المذهبية وتحريض الناس ضد الثورة وتقديم المساعدة للحركات المعادية لإيران والقيام بعمليات فى الداخل الإيرانى، ولم يســتبعد رضائى قيام الولايات المتحدة الأمريكية بشن هجمات صاروخية ضــد مواقع إيران النووية. وعقب الرئيــس الإيرانى محمود أحمدى نجاد مجــدداً «بــأن القرار الذى اتخــذ مجلس الأمن ضد بــلاده لن يؤثر على سياساتها النووية «حتى وإن أصدر عشرة قرارات أخرى مثلها».. وإلى هنا عزيــزى القارئ فلم يعد للشــك فى الرؤية مــكان وظهرت الرؤية واضحة كاملة لمن يرى.. ومن منا بعد ذلك لا يســتطيع أن يتخيل ويرى ويدرك ما يحدث فى مثل هذه المناســبات لما يحفظه فى ذاكرته من تكرارها، ولاشك أن دور البطولة ربما يكون هذه المرة «لحلف الناتو «كما حدث من مشاركة وتحالف فى الحرب ضد محمد على باشا وتحالف حرب كوريا والتحالف الدولى الأخير فى العراق..

ثم يأتى فــى دور البطولة النســائية بعض الدول الأســيوية بحثا عن الشهرة والرزق أيضا ، فقد ذكرت صحيفة «زمان اليوم» التركية أن الجيش يســتعد للقيام بعملية عسكرية بالتنســيق مع القوات الأمريكية فيما وراء الحدود للقضاء على الإرهاب. وأشــارت الصحيفة إلى أن العملية ستكون بنهاية شــهر فبراير وبداية شــهر مارس، وعلى صعيــد آخر أجرى رجب طيب أردوغان رئيس الوزراء التركى محادثات مع وزير الخارجية السعودى

سـعود الفيصل الذى زار أنقرة لبحـث عدد من الموضوعات الإقليمية كما أعلن، كما اجرى الوزير السـعودى محادثات مـع نظيره التركى «عبد الله جول وربما يكون فى أرضية مسـرح الأحداث القوات الأمريكية الأساسية فـى قواعد ثلاث فـى العراق محمية بكثافة بصواريـخ وطائرات ومدافع عنها براً وجواً ثم تشـارك البوارج وحاملات السـفن والطائرات من بعد، وكما حدث أيضاً بصواريخ «كروز» أو أى أسـلحة أخرى لم يعلن عنها ولم لا ولم يعد لدينا إلا سؤال الله السلامة والأمان وحتماً يوجد بيننا من هو متقبل الدعاء ولو أقسم على الله لأبره..

الفصل السادس

رؤية كيسنجرية

فى دراسة جديدة وكاتبها يستحق الدراسة على أى شيء يكتبه وهو هنرى كيسنجر وبصدر رحب انطلاقا من مبدأ الرأى والرأى الآخر وتكون بعدها الأيام هى الفصل والختام.. أليست تلك هى الأمانة فى عنق الكاتب وذلك هو عهد القلم واحترامه.. وتحوى الدراسة أن ثمة أمما قليلة فى العالم يكون لدى الولايات المتحدة أسباب أقل للتشاجر معها أو مصالح أكثر توافقا معها مما هو الحال مع إيران.. ورغم أن الشاه فى السبعينات أصبح رمزاً للصداقة بين البلدين فهذه المصالح لم تعتمد قط على شخصية واحدة فهى تعكس حقائق سياسية وإستراتيجية لاتزال مستمرة إلى يومنا هذا.. وليس لدى الولايات المتحدة مصلحة يمكن تخليها فى السيطرة على إيران كما يدعى الحاكمون الآن... تلك كلمات كيسنجر.

خطط كيسنجر للتهدئة :

ففى أثناء الحرب الباردة كانت مصلحة أمريكا فى المحافظة على استقلال إيران بعيدا عن الخطر الروسى الذى كان دوما هو المصدر التاريخى للضغوط والاعتداءات على تلك الدولة.. ففى القرن التاسع عشر حال التدخل البريطانى يحفزه الدفاع عن الهند والطرق البحرية الموصلة إليها دون وقوع أجزاء كبيرة من إيران فى قبضة روسيا الإمبراطورية، كما حصل مع دول أسيا الوسطى المجاورة التى احتلها القياصرة، ولولا تدخل أمريكا فى عام ١٩٤٦ لكان إقليم اذريبجان شمال غربى إيران قد وقع فى قضية الاتحاد السوفيتى كخطوة أولى نحو تفكيك البلاد وخلال الحرب الباردة ساعدت إيران فى مقاومة الضغط الروسى على أفغانستان والنفاذ إلى الشرق الأوسط.. وتماشت مصلحة أمريكا مع طلب إيران بالاستقلال

فقد شعر العديد من صانعى السياسة الأمريكيين فى تلك الحقبة والمراقبون والمهتمون وبمن فيهم أنا بالامتنان العميق لدعم الشاه للولايات المتحدة فى أزمات الحرب الباردة المختلفة.. «غير أن حافزنا الأساسى لم يكن العاطفة بقدر ما كان تقدير أهمية جغرافية إيران ومواردها ومواهب شعبها».. ولا يوجد حافز جيوسياسى أمريكى للعداء بين إيران والولايات المتحدة غير أن إيران مستمرة فى توفير الأسباب التى تبقى أمريكا بعيدة عنها فقد عبرت الولايات المتحدة عبر العديد من الإدارات عن استعدادها لتسويه العلاقات مع إيران «وقدر إيران لعب دور حيوى - وحاسم أحيانا - فى الخليج وفى العالم الإسلامى» ولا تحتاج الحكومة الأمريكية الحكيمة إلى أية توجيهات بشأن الرغبة فى تحسين العلاقات مع إيران.

حكومات طهران :

ولاتزال العقبة الأساسية متمثله فى الحكومة فى طهران منذ الإطاحة بالشاه سنة ١٩٧٩ والحكم فى إيران منخرط فى سلسلة خروقات لمبادئ السلوك الدولى المقبول. العديد منها موجه بصراحة ضد الولايات المتحدة فما بين ١٩٧٩، ١٩٨١ احتجز طلاب إيرانيون خمسين دبلوماسيا كرهائن لمده أربعين شهرا وخلال الثمانينات كانت المنظمات الممولة والمدعومة من طهران مسئولة عن عمليات اختطاف استهدفت أمريكيين وغربيين آخرين فى بيروت، كما وفر النظام فى طهران الدعم الأساسى للمجموعات التى قتلت عدة مئات من الجنود الأمريكيين فى بيروت. وهو يمول أيضا مخيمات التدريب فى السودان.. كما أن الدلائل الموجودة تشير إلى أن مجموعات ترعاها إيران هى التى فجرت الثكنات العسكرية الأمريكية فى أبراج الخبر فى السعودية والتى أسفرت عن مقتل عشرة أمريكيين فى عام ١٩٩٦ وفى فرنسا جرى اغتيال مسئول إيرانى سابق من قبل عملاء إيرانيين أطلق سراحهم لاحقا فى عملية تبادل مقابل الإفراج عن رهينة فرنسية احتجزت فى بيروت، وأصدر آيات الله الإيرانيون حكما بقتل

سلمان رشدى لم ينقض حتى الآن، برغم أن الحكومة «نأت» بنفسها عنه بصرف النظر عما يعنيه ذلك.. وإذا تجاوزنا عن ذلك وجدنا إيران فعلت ما بوسعها لإضعاف دبلوماسية السلام فى الشرق الأوسط فطهران هى الراعية لحزب الله الذى يستمر فى مقاومته المسلحة للسلام مع إسرائيل.. كما تقدم إيران دعما ماديا كبيرا لحركة حماس والجهاد الإسلامى اللتين تدعيان المسئولية عن الهجمات ضد المدنيين الإسرائيليين.. ويعمل النظام الإيرانى الآن على تطوير برنامجه النووى وبناء صواريخ بعيدة المدى ومتوسطة قادرة على ضرب الشرق الأوسط ومعظم أوروبا الوسطى ويسعى إلى تطوير القدرات النووية السرية باستخدام تكنولوجيا مزدوجة كانت من الغرب مع بعض الدعم من روسيا ثم تحولت إلى دعم كامل من روسيا مع نهاية الدعم الصينى التكنولوجى.. برغم توقيعها على معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية والسؤال الأساسى المطروح على صانعى السياسة الأمريكيين هو هل هذه التصرفات جزء من طبيعة النظام فى طهران أم أنه من الممكن إنشاء علاقة ترتكز على عدم الاعتداء المتبادل. لقد أصبحت هذه القضية جزءاً من الخلافات مع الحلفاء الأوروبيين بما يعرض العلاقة الأطلسية إلى الاختبار.

تحسين العلاقات :

حيث يستند الخلاف فى أحد جوانبه على ما إذا كانت الشركات الأوروبية والشركات الأمريكية المقيمة فى أوروبا تخضع للجزاءات التى أجازها الكونجرس الأمريكى ضد منتهكى العقوبات.. لقد أشرت فى مواضع أخرى إلى القلق حول مدى الاستخدام المبالغ فيه للعقوبات فمن الصعب تبرير تطبيق قوانين خارج حدود الأراضى الأمريكية على الحلفاء.. وهذا يتطلب إعادة النظر فى الموقف لكن القضية الأساسية ليست فى الأساس القانونى للإستراتيجية الأمريكية ولكن فيما إذا كان تحسين العلاقات مع طهران يمكن أن يتم بتقديم تنازلات من جانب واحد

بدون طلب شـــىء فى المقابل ؟ فهل الاندفاع نحو طهران عقبة أمام اقامه علاقات ودية هى نفسها ليست موقع خلاف؟ وهل سيساعد تقديم تنازلات مســتمرة من جانب واحد فى وجه السياسات الإيرانية المتصلبة أم سيعيق تحقيق هدف متفق عليه من أجل علاقة أفضل؟ وفى خضم هذا الاختلاف نجد إصرار الحلفاء الأوروبيين على ما يســمونه «بالحوار الحرج مع إيران وهم يرون بأن حوارهم يقصد منه استكشـــاف احتمالات تلطيف سياســة إيران وســوف يتضمن دائما انتقاداً لانتهاكات حقوق الإنســان فى إيران وغيرها من الأفعال غير المقبولة وباختصار ســيكون إســهاما فى تخفيف التوتــرات «دون أن نذكــر التوقيع على العديد مــن صفقات النفط والغاز المربحة» والاقتراح بأن الإيماءات أحادية الجانب ســوف تخفف بشكل أو بأخــر العدائية الإيرانية يمثل فى جوهــره التطبيق «الصحيح من الناحية السياسية» للنظرية النفسية على السياسة أنظر إلى مرتكب الجريمة على أنه ضحية انحراف كما يزعم نتيجة ضغوط خارجة عن إرادته وسيطرته..» ولكن عندما تطبق على الانتهــاكات الإيرانية لن يوجد أدنى دليل يدعمها ومن المرجح أن تعمل التنازلات أحادية الجانب على تعزيز التصلب الإيرانى بدلا من تخفيفه فما الداعى إلى التغيير عندما لا تكون أهداف السياســة المستندة إلى الأيديولوجية تواقة جدا إلى التكيف؟ وفى كل الأحوال ينبغى أن يتعدى النقاش التوقعات النظرية.

وإذا ما أريد تحسين العلاقات مع النظام الإسلامى الإيرانى ينبغى أولا ربطها بالتخلى عن تصدير الإرهاب والثورة بالقوة والتدمير وكبح الإرهاب ووقف التدخل فى دبلوماســية السلام فى الشــرق الأوسط وبالتزامن مع ذلك يتعين حصول تقديم بالنســبة إلى حيازة إيران للصواريخ والأســلحة النووية.. وإذا كان هناك استعداد جدى من قبل إيران للتقدم نحو تحسين العلاقات يمكن القيام بسلســلة خطوات متوازنــة ومتبادلة لتحقيق تقدم ملموس بشرط أن يكون حكام إيران على استعداد لتقبل علاقات اعتيادية. ولن تكون آلية مثل هذا النهج صعبة التحقيق وتســتطيع الإدارة الأمريكية

الجديدة أن تعين ممثلا موثقا به أو ناطقا موثقا «غير رسمى «لتسيير الأمور سرا فى البداية فإذا ما كان من الممكن الموافقة على سلسلة من التدابير المتبادلة التى تؤدى إلى تحسن تدريجى فى العلاقات بل أن الولايات المتحدة قد توافق بعد الحوار التمهيدى على اتخاذ بضع خطوات رمزية أولا شرط أن تتبعها تحركات إيرانية فى إطار زمنى ذى صلة واضحة بالتحركات التمهيدية.. وإذا كان حلفاء أمريكا يعتقدون أنها لم تستكشف الخيارات الدبلوماسية بما فيه الكفاية فعلى الولايات المتحدة أن تكون مستعدة للشروع فى دبلوماسية جدية مشتركة .وينبغى نظريا على الأقل أن تكون هناك مجموعة مصالح ستكون الدول الأوروبية أولى ضحايا انتشار الأصولية الإسلامية والصواريخ الإيرانية متوسطة المدى وعندما تصبح دولة نووية ستثبت إيران أنها أكثر خطرا على أوروبا من الولايات المتحدة.. وإذا انفجر الخليج ستكون الدول الأوروبية أول من يطلب النفاذ إلى موارد الطاقة الأمريكية لكى تتجنب كارثة اقتصادية.

هدف بعيد المدى :

والسياسة الخارجية تخلص دائما إلى اتخاذ القرارات وتتطلب السياسة الفعالة لمقاومة الإرهاب وانتشار الأسلحة من الغرب والاستعداد لتقديم تضحيات من أجل هدف أكبر بعيد المدى وهناك أوقات يتعين فيها أن تكون المصالح الاقتصادية مستعدة للخضوع للمصالح الأمنية الأوسع والزعامة الأمريكية ضرورية للتوصل إلى هذه المقايضة بخصوص إيران.. وفى نفس الوقت إذا تحول الحلف إلى ركوب مجانى لطرف واحد فإنه لن يحظى بمساندة الرأى العام.. وينبغى بذل مجهود رئيسى للتوصل إلى إجماع عبر الأطلسى يربط الدبلوماسية بضغوط معقولة ومقترحات دبلوماسية متفق عليها تجاه إيران أو بإتباع سياسة ثابتة ومتماسكة وتصالحيه يمكن استعجال اليوم الذى تصبح فيه إيران مستعدة لاتخاذ إجراءات ملموسة تمثل الأساس الوحيد الذى يعتمد عليه من أجل علاقة

تعاون بعيدة المدى.. عزيزى القارئ وبكل الشجاعة كان الاستعراض الأمين للنظرية والدراسة الكسنجرية الجديدة ولكن فى نفس الوقت وتزامنا مع بداية الإعداد لهذه الدراسة والمواقف صدرت تصريحات للرئيس الفرنسى السابق جاك شيراك حيث جمع مندوبو ثلاث صحف شهيرة فى باريس وصرح لهم بأنه لا توجد ثمه أهمية كبرى لأن نترك إيران تنتج أسلحة نووية وإذا ما حاولت ضرب إسرائيل فقبل أن تغادر هذه الصواريخ إيران بمائتى متر (٢٠٠ متر) فسوف تمحى طهران من الوجود..» وكما نعلم أن جاك شيراك ليس من الرؤساء الذين يصرحون بتصريحات غير مدروسة أو معمقة وفق البحوث والدراسات والقرارات أيضاً ولكن وعلى ما يبدو وكان الانتقاد من الحلفاء والأصدقاء قوية للدرجة التى جعلته يجمعهم مرة أخرى فى اليوم التالى يقول لهم أن هذه التصريحات كأن لم تكن؟!! وإن كنت أرها متفقة فى السياق مع دراسة كيسنجر الجديدة.. وفى اليوم الثالث أعلنت هيلارى كلينتون بأنها تريد إجراء محادثات مع إيران وسوريا وحركة المقاومة الإسلامية «حماس» وحزب الله اللبنانى وأكدت بأنه يمكن الحصول على معلومات قيمة ونفوذ من خلال التعامل مع هذه الدول والمنظمات.. وأضافت بأنه «إننا فى حاجة لاستخدام كل الوسائل المتاحة لنا بما فيها الدبلوماسية والاقتصادية وبالإضافة إلى التهديد باستخدام القوة العسكرية «ومن خلال التصريحات لهيلارى ودراسة كيسنجر وما فعله وقاله شيراك يوجد هاجس يعنى أنه ربما كانت هناك فكرة بأن تبقى إيران شوكه فى الجانب الأيمن فى الجسد العربى مع استمرار شوكة القلب فى إسرائيل وبذلك يكون الجسد العربى فى حاجة ماسة إلى المهدئ والمطمئن.. ولكن لكى يكون مؤثرا فيجب أن يكون غربيا أو أمريكيا وبالتالى يتناسب مع غلاء الأسعار فى الأدوية ومتطلبات العصر وخاصة إذا وصل إلى حد الإدمان.. ويقول المثل الشعبى «إن كبر ابنك خاوية..» أى أجعل منه أخا لك..؟ فهل كبرت إيران إلى هذا الحد فى عيون أمريكا..؟

أم نطبق الحكمة الشعبية القائلة.. «اللى ما تقدرش عليه العب معاه..»؟

الأرض والسلام :

وفـــى تعليق خاص لدى وهو أن هنرى كيســـنجر هو صاحب سياســـة خطوة خطوة والتى طبقها بدبلوماسية المكوك والتى نفذها بنجاح ومازلنا نعانـــى من نتائجها حتى الآن.. بل والذى ســـوف نعانـــى منه لفترة طويلة قادمة.. وكانت سياســـيته تلك تعنى استبعاد الحل الشامل والوصول للحل المرجـــو على خطوات يتم فيها اســـتبدال قطعه صغيـــرة من الأرض بقطة كبيرة من الســـلام وبين كل خطوة وأخرى فترات طويلة تسمى باختبارات النوايـــا.. ومن هنا نقول أن السياســـة قتال.. والقتال سياســـة.. وهذا هو مفهوم الصراع بين الدول فى العصر الحاضر ولازلت عند التحليل والرأى الـــذى رأيته ما لم نكـــن قد وصلنا إلى عصر «مبادئ للبيـــع.. قيم للبيع.. بيكيا؟!!..

الفصل السابع

أمريكا وإيران

الأزمة تغلى والطرق مظلمة والحلول مؤجلة

نص الاتفاقية الأمريكية الإنجليزية للبترول :

الأزمـــة بين إيران والولايات المتحدة متشـــعبة لكثرة المؤثرين والمتأثرين بها ولكن كل ما كتب عنها كان أشـــبه والى حد كبير بالأدوار والمتناقضات فى نقاط متعددة لا تؤدى فى النهاية إلى نظرة موحدة أو فهم واحد والمهم الفهم ثم لكل صاحب دور أو مصلحة الحق فى الانحياز إلى دوره أو رأيه.. ولكـــن المهم كمـــا أرى أن نلم جميعـــاً بكافة نقاط المشـــكلة ورؤية الصورة واضحة تماما ولحســـن الحظ فإن الوثائق كثيرة ومتوفرة ويمكن أن تؤدى فى النهاية إلى صورة شاملة ومكتملة الظلال والألوان.

أولاً : إن الطلاق واللعان الذى بدأ بين إيران وأمريكا ليس وليد اليوم.. أو المفاعـــل النووى الإيرانى ولكن بدأ فور التخلى عن عرش الطاووس فى إيران والتنكر لشـــاه إيران والمساهمة فى سقوطه ولو عبره الترانزيت فى باريس «ولســـت فاهماً حتى الآن الأسباب الرئيسية والحقيقية التى كانت وراء التخلى عن شـــاه إيران حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت فلم يجد مستشفى يعالجه فى العالم غير مستشفى المعادى بمصر كنوع من الشفقة الإنســـانية ولم يجد مكانا يوارى جثمانه فى مصر ســـوى مدفن من بقايا حكم ســـابق فى مصر؟ لم يفتح الملف حتى الآن ولم تظهر الوثائق بوضوح وأمانه ولكـــن ما يعنينا هنا هو التوقيت للطريق المظلم أو بمعنى أخر زمن ومكان نقطة البداية.

ثانياً : بعد نجاح الثورة الإسلامية بقيادة خومينى والتى هلل لها الغرب رمزا للديمقراطية والحرية وتحركت شعلتها مضيئة باهرة من باريس إلى

طهران فى استقبال شعبى نادر لزعيمها الروحى أيه الله خومينى والصحف الغربيــة ترحب بتلــك الإرادة الشــعبية وتندد بحكم الشــاه الديكتاتورى البهلوى؟ ثم هدأت العاصفة وذهبــت العواصف والأفراح وجاءت النوائب والأشباح..

ثالثاً : بدأ الطريق المظلم فى العلاقة بمحاولة بدائية من ممثلين هواة لا يعــرف كل منهم حجم دوره أو قدرته على أدائــه وذلك بوثيقة موجودة ومعروفة وســبق «ذكرهــا فى كتاب شــخصيات بين الأســطورة والواقع للمؤلف» والتنويه بجزء أخر منها وســوف نعرض لجزء أخر بســيط لكى يحدد النقطة التالية بعد نقطة البداية الســابق ذكرها حيث دار الاجتماع بين شارون ونميرى وخاشقجى فى كينيا وتناولوا موضوعات كثيرة يخصنا هنا جزء إيران حيث عرض خاشــقجى أن يمول صفقة تقدر بحوالى ٨٠٠ مليون دولار تكون ثمنا لأسلحة أصبحت فى حوزة إسرائيل وليس لإسرائيل بهــا فى حاجة فيمكن أن تخزنها فى الســودان ويتم تدريب مرتزقة عليها لقلب الثورة الإســلامية فى إيران وانه على استعداد لزيادة قيمة الصفقة إلى مليار دولار..

وبعــد عرض الخطة وعلم الولايات المتحدة بها تم إجهاضها وبســرعة للأسباب الآتية :

١ - الإمكانيات الفنية والقدرات للموســاد الإسرائيلى فى اغتيال فرد أو مجموعــة، أى العمل المحدود وليس على نطاق واســع.. لأنه يخضع لإمكانيات أكبر من إسرائيل.

٢ - إن الثورة الإسلامية فى إيران ذات شعبية قوية وجارفة لا يمكن معها التعامل الخشــن الآن ومازالت عواطفها جياشة.. والطقس لا يمكن معه السماح لرياح التغيير أن تهب على المنطقة..

رابعــاً : مما ســبق نجد أن الوجه العبوس قبــل الصدام والمواجهة كان ظاهراً من فترة طويلة والنية مبيته وليس لتخصيب اليورانيوم أدنى علاقة

بالمواجهـــة.. ولذلك من الخطأ على ساســـة إيران التضحية أو المســـاومة بالورقة العراقية بعد الأرض التى اكتســـبوها ويجب ألا ينســـوا أن الحرب العراقية بدأت (أ) حظر الطيران ووافق العراق (ب) الســـماح للمفتشـــين الدوليـــين ووافق أيضـــا (ج) عدة قرارات دولية مـــن الأمم المتحدة ووافق أيضا العراق (د) ثم من أجل أســـلحة الدمار الشامل ولم يجدوا شيئاً (هـ) وأخيرا من اجل الديمقراطية ثم كانت النهاية وبدأ غزو العراق.. لا تنسوا فقط..

مـــن هنا بـــدأت الولايات المتحدة اللعـــب الكبير وعلى المســـتوى الذى يليـــق بالحـــادث أو بالمشـــكلة الإيرانية وبـــدأت فى إعطـــاء المهمة لقوات (DELTA) ولكـــى نتعرف عليها فهى اختصار وهـى تتولى القيام بعمليات مناهضـــة للإرهاب الموجـــه ضد المصالح الأمريكية وهـــذه القوة الخاصة جـــداً بدأت على يد الكولونيل الأمريكى تشـــارلز باكـــوث الذى كان يخدم فى القوات الجوية البريطانية، الخاصة وتم تدريبها وتشـــكيلها على نمط القوة الخاصة البريطانية وفى يوم ١٤ نوفمبر ســـنة ١٩٧٩ تم إبلاغ (دلتا) لعمل مضن وشـــاق نحو وضع خطة لإنقاذ الرهائن بالسفارة الأمريكية فى طهران وعددهم ٥٣ شـــخصاً وثلاثة بمبنـــى وزاره الخارجية وكان رئيس دلتا الكولونيل باكوث قد أصبح الجنرال باكوث وأطلق على العملية اســـم «مخلب النســـر «وعملية المروحيات اسم «عمليه الضوء المسائى» وعمليات C.١٣٠ اســـم «الخـــط الأزرق» وعمليات C.٤١ اســـم «الخط الأحمر «ثم الاســـتيلاء على مطار بنزريا العســـكرى الإيرانى علـــى بعد ٣٥ كم جنوب طهران وفشلت العملية وسبب فشلها يتمثل طبقا للوثائق السرية ليوميات العملية ومختصر بالطبع ولكن ما أخذ هو بالنص من أخطاء التنفيذ :

(أ) بعد إقلاع المروحيات الثمانية من على متن الســـفينة الحربية .USS NIMITZ التى كانت على بعد ٥٠ ميلاً عن الشاطئ الإيرانى وحدث عطل مفاجئ فى المروحية السادسة «بريشة المروحة» استدعى هبوطا اضطراريا.

(ب) أدت عاصفة غبار حادة إلى خلل فى نظام الملاحة فى طائرة قائد السرب أجبر بسببها على العودة والهبوط ترافقه المروحية الثانية.

(جـ) تعرضت المروحية الثانية إلى انتكاسه أثناء الطيران.

(د) انفجرت المروحية الرابعة والطائرة C.١٣٠ أثناء التزود بالوقود فى الجو ومات كل أفراد الطائرتين.

(هـ) مالت المروحية الثالثة أثناء الإقلاع وسقطت.

ونريد أن نقول أن أمريكا بدأت التدخل العسكرى المباشر ضد إيران والتى كانت من وقت قريب من أعز الأصدقاء وفشلت العملية وبطريقة غير متوقعه رغم الإعداد الجيد لها وتحولت إلى إيران جيت أو فضيحة إيران وأدت إلى نهاية الرئيس الأمريكى كارتر.

والى هنا عزيزى القارئ نكون قد وصلنا إلى منتصف الطريق وانقسمت الصورة إلى جزءين أو شقين.. الشق الأول فى الولايات المتحدة والشق الثانى فى إيران ثم ظلال الصورة وملامحها فى الاتفاقية الأمريكية الانجليزية للبترول ، وهى وثيقة رسمية موجودة فى لندن وبذلك نكون قد وصلنا إلى اكتمال الصورة وظلالها ثم ألوانها على نمط كليلة ودمنة؟

أولاً : الشق الأول فى الولايات المتحدة وعلى المستوى الاستراتيجى :

١ - مده الاحتياطيات البترولية بإيران طبقا لمعدلات الإنتاج ٥٥ سنة (مكتب الموازنة بالكونجرس).

٢ - تهديد إيران بغلق مضيق هرمز يجعل هناك ضغطا على السعودية يحد من مواجهتها لإيران بصورة سافرة أو ظاهره (تقرير الكونجرس).

٣ - لم يعد النفط مجرد سلعه اقتصادية بل أصبح مصدرا للنفوذ السياسى (تقرير الكونجرس).

٤ - ســوف يظل كثير من الدول الصناعية خلال العشــرين سنة القادمة معتمدا بشكل كبير على النفط المستورد من دول غير مأمونة وخاصة دول الخليج (تقرير الكونجرس).

٥ - ارتفع اســتهلاك بريطانيا للنفط معتمدا على الخليج الفارســى إلى ١,٩ مليــون برميل يوميا والولايات المتحدة إلــى ١٨,١ مليون برميل يوميا ثم فى عام ١٩٩٧ ارتفع استهلاك بريطانيا إلى ٦٤ مليون برميل يوميا والولايات المتحدة إلى ٣٢ مليون برميل يوميا وهذه الأرقام قابلة للزيادة وتشــمل الاســتهلاك الفعلى والاســتغلال للبيع (إدارة الطاقة بالكونجرس).

٦ - لن تستطيع الولايات المتحدة إجراء اكتفاء ذاتى للطاقة فى هذا القرن من الزمن (تقرير الكونجرس).

٧ - يجــب أن تقــوم الولايــات المتحــدة بتطويــر خططها بالتشــاور مع حلفائها للاســتعداد لأى طــوارئ فى الطاقة (توصيــه لجنة الطاقة بالكونجرس).

٨ - إذا أدت النزاعــات العنيفة فى منطقة الخليج إلى توقف تام عن إنتاج النفــط لمده عام كامل فقد ينكمش الناتج القومى الإجمالى إلى ١٥٪ : ٢٠٪ فى أمريكا، ٢٠٪ : ٢٥٪ فى أوروبا (تقرير الكونجرس).

٩ - يجب على الولايات المتحدة وحلفائها الاتفاق على سياســات مشتركة لتجنب مزايدة الدول المستهلكة للنفط (تقرير الكونجرس).

١٠- للعــب على الخلافــات العرقية والمذهبية داخل إيــران فإنه يوجد ٥ ملايين أذربيجانى يقطنون الشــمال الغربى فى إيران ويتحدثون اللغة التركية، ٤ ملايين كردى فى الجنوب وقتل منهم ١٥٠٠ شــخص خلال أســبوعين فقط بأمر من الخومينى عندما طالبوا بالاســتقلال. وإذا اتجهنــا جنوبا أكثر نجد أن هناك حوالى مليونى عربى يعيشــون فى خوزســتان الغنية بالنفط معظمهم ســنة والباقى خليط بين الشــيعة

والســنة وهم لا يدينــون بالولاء الكامل للحكومــة الإيرانية كما يوجد ٢,٥ مليون بهلوى مع الجانب الباكســتانى فى الشمال الشرقى وهذا يجعل نظام وتوحيد الأمة الإيرانية أمرا مشــكوكا فيه وقابلاً للجدال (تقرير الكونجرس).

١١- أكــدت وزيرة الخارجية السـابقة كونداليزا رايس أنه حتى لو علقت إيران نشــاطاتها لتخصيب اليورانيوم فإنه مــن غير المرجح أن توافق الولايات المتحدة على محادثــات ثنائية معها.. وأضافت رايس : «لقد كانــت إيران ولا تــزال بمثابة المصرف المركــزى لتمويل الإرهاب»؟ ثم قالــت أيضا وفى حال تخلت إيران عن برنامجها النووى فإن مثل هذا القرار لن يمثل تطورا يقتضى منا شيئا بالمقابل.

ثانياً : الشـق الأول على الجانب الأمريكى ولكن من الناحية العسكرية :

١ - مجلــس الأمن القومى الأمريكى حصل قبل أربعة أشــهر على الضوء الأخضر لتنفيذ سلسلة عمليات سرية داخل إيران تستهدف برنامجها النووى وكبار المسئولين فيها.

٢ - ثمة تقارير تشــير إلى أن المخطط يشمل إدخال فيروسات فى أنظمة الكمبيوتر لدى القيادة العسكرية وفى أجهزة المفاعل النووى الرئيسية و تم بالفعل و نجحت الحرب الالكترونية الأمريكية فى تعطيل حاسوب أجهزة الطرد المركزى الايرانية ولكن ما لبثت إيران أن أعلنت عن فك شفره الفيروس وإعادة التشغيل.

٣ - ثمة خطة أمريكية معدة ســلفاً بعدم الســماح لإيــران بامتلاك قنبلة نووية مهما كان الثمن وإن بلغ حد المجازفة بالحرب الشاملة وإن كانت محدودة والسيناريو المتوقع من الصين وروسيا هو أن طائرات إف ١٥، إف ١٦ الإســرائيلية ســتتولى تنفيذ هجمات أوليــة ضد أكثر من ٦٠ هدفا نوويا وعسكريا إيرانيا تم اختيارها.

٤ - توقفـت أجهزة اسـتخباراتية أوروبية عند تقاريـر تتحدث عن قيام قيادة المارينز بإعداد دراسـات خاصـة بالتوزيع العرقى والمذهبى فى إيران واعتبرتها مقدمة لإعداد خطة عسكرية تهدف إثارة حرب أهلية لإسقاط نظام الملالى.

٥ - كشـفت صحيفة واشنطون بوسـت الأمريكية النقاب عن خطة لرفع إعداد القوات الأمريكية الخاصة لمسـتويات قياسـية مشـابهة لفترة حرب فيتنام وستوزع الزيادة فى القوات الخاصة بين قوات GREEN BERETS وقوات دلتا وقوات الرنجرز وقوات السيلز البحرية ومجمل القوات الخاصة يصل إلى ٥٢٠٠٠ ألف مقاتل.

٦ - أما القوات والأسـلحة النظامية وغير التقليدية فهى معروفة وسـبق الحديث عنها ولا يمكن بطبيعة الحال إدخالها فى نطاق المقارنة.

٧ - وفى نهاية الشق الأول الأمريكى يقول هنرى كيسنجر إنه عند مقاومة الاحتـلال يكون على المدافع أن يختار بين الاسـتمرار فى الدفاع عن النفس أو الاستسلام فإذا كان المعتدى قد حقق غرضه بالفعل فيمكن للمدافع تحقيق سـلام عن طريق تسـوية على أساس الوضع الراهن الجديد. (نظرية الحرب المحدودة).

ثالثـاً : الشـق الثانـى مـن الصـورة علـى الجانـب الإيرانـى الاستراتيجى :

١ - حلم إيران بتأسـيس الإمبراطورية الفارسية وترى أنه اقترب تحقيقه بعد سـيطرتها غربـاً على العراق وامتدادها شـمالاً فـى أذربيجان وتوسعها شـرقا فى أفغانسـتان وباختصار وتعمل إيران على تحقيق توسع إمبراطورى يستند إلى التوسع الإسلامى الشيعى فى البداية ثم يحتوى الآخرين فى إطاره ويعتمد على السلاح النووى والنفط.

٢ - يصعب على أوروبا الغربية أن تستغنى عن نفط وغاز إيران.

٣ - التلويح بغلق هرمز وسيكون مؤلما على تصدير الغاز والنفط السعودى «١١ مليون برميل يومياً».

٤ - التلويـح بالورقة العراقية والورطة الأمريكيـة فيها وقواتها فى مدى الأسلحة الصغيرة الإيرانية.

رابعاً : الشق الثانى من الصورة على الجانب الإيرانى العسكرى :

١ - تقارب الشيعة مع السنة فى الداخل وتم تكليف محمد اسحق مدنى مستشار خامئنى لشئون السنة بهذا الملف وذلك على الرغم من شوائب ومنغصات فى هذا التقارب فى إقليم بلوشستان وأقوى جماعة سنة فيه هى جماعة جند الله البلوشسية الإيرانية التى تنتمى إلى حركة الفرقان بقيادة عبد الملك ريقى وحركة الجبهة الديمقراطية الشعبية للشعب العربى هوزى المعارض والتى تتخذ من لندن مقراً لها لمحاولة الاستقلال وهى تنتمى لإقليم عربستان (إقليم خورستان).

٢ - تؤكد مصادر إيرانية أن إجراءات مشددة اتخذت لتعزيز حماية أركان النظام تحسباً لتعرضهم لمحاولات اغتيال مع تركيز خاص على حماية أية الله خامئنى والرئيس أحمدى نجاد ولهذه الغاية تم تعيين رئيس جديد لقوات أنصار المهدى وأوكلت قيادة التنظيم التابع للحرس الثورى إلى العميد عبد العلى نجفى القائد السابق لقوات الباسيج فى إقليم فارس الجنوبى.

٣ - كانت روسيا قد قدمت عرضا لإيران فى الرابع والعشرين من ديسمبر سنة ٢٠٠٥ وتزامن العرض الروسى مع إعلان مسئول كبير فى وزارة الدفاع الروسية أن موسكو ستسلم أنظمة الدفاعات الجوية من طراز تور إم - ١ إلى إيران كاملة فى يناير سنة ٢٠٠٦ على الرغم من معارضة الولايات المتحدة ، كما يوجد تقرير استخباراتى أوروبى يؤكد تطوير إيران صواريخ شهاب -٢ وذلك يوم ٤/١/سنه ٢٠٠٦.

٤ - بالإضافة إلى القوات المسلحة النظامية لإيران والمتطورة فإنها قامت بتجهيز القوات الآتية :

(أ) فيالق الحرس الثورى الإسلامى وهو جيش مواز للجيش النظامى وتضم ٢٠٠ ألف مقاتل ولها قوات جوية وبحرية وست فرق مدرعة.

(ب) جماعة ذو الفقار (السيف المسلول) من ٦٠ ألف جندى ومهمته حماية طهران ضد أى محاولة لقلب نظام الحكم.

(ت) قوة الباسيج المستضعفين (قوات التعبئة الشعبية) وهى تنظيم عسكرى غير نظامى مؤلف من ٤٠ ألف جندى.

(ث) ألوية كربلاء وهى قوات غير نظامية مؤلفة من ١٠٠ ألف جندى مهمتها التدخل فى مناطق الريف والبلدان النائية ومخصصة لحرب الشوارع والمدن.

(ج) حركة الانتقام الإلهى (جيش ثأر الله) وتتألف من ١٠٠ ألف جندى لديها أسلحة خفيفة وتتنقل بالدراجات النارية وسيارات جيب.

(ح) خاران زينب (أخوات زينب) عبارة عن جيش نسائى يضم ٥٠ ألف امرأة أكثرهن من طهران.

وإلى هنا تكون الصورة قد وضحت فى شقيها الإيرانى والأمريكى ولم يعد غير ظلالها وهو العمل على تفعيل الاتفاقية البترولية بين أمريكا وبريطانيا والتى كانت فى طى الكتمان ثم ظهرت وثائقها بعد ذلك وتنص على الأتى :

المادة الأولى :

١ - ضمان وجود مستودعات كافية للبترول ومشتقاته فى ميدان التجارة الدولية لسد احتياجات الأسواق المتزايدة.

٢ - العمل من أجل أن تكون موارد البترول فى العالم كافية.

٣ - إنمـــاء تجارة البترول عن طريق عقـــد اتفاقية بترول دولية بين جميع البلدان ذات المصالح المشتركة.

٤ - أن الحكومتين متفقتان على أن تجارة البترول يجب أن تدار وفق خطة منظمة مع الوضع فى الاعتبار الآمن العسكرى بحيث يجب أن يحافظ على مصالح البلدان المنتجة له.

المـادة الثانيــة : توجــه الحكومتان المتعاقدتـــان جهودهما نحو احترام كافــة عقود الامتيازات النافذة والحقوق المكتســبة واحترام مبدأ الفرص المتســاوية فيما يتعلق بالحصول على حقوق التنقيب والاستثمار ويجب ألا تعرقل جهود التنقيب بقيود لا تتمشى مع هذه الاتفاقية.

المـادة الثالثــة : التفاوض لإنشـــاء مجلس للبتــرول الدولى الدائم كما تتعهدان بالتشاور مع الحكومات الأخرى ذات الصلة.

المادة الرابعة : للجنة أن تؤســـس المنظمات التى تراها ضرورية للقيام بوظائفها المنصوص عليها فى هذه الاتفاقية.

المـادة الخامســة : أن تســعيا للحصول على معاونـــة حكومات البلدان المنتجة والمستهلكة الاخرى لتحقيق مبادئ الاتفاقية.

المادة السادســة : أن تنشر اللجنة ما تراه ما لم تقرر إحدى الحكومتين خلاف ذلك فى قضية معينة.

المادة الســابعة : ليس فى هذه الاتفاقية ما يعطل أو يعدل أى قانون أو تشريع فى بلاد كل من الحكومتين.

الخاتمة : أن المقصود بالبلدين حكومة المملكة المتحدة العظمى وأيرلندا الشمالية والمســتعمرات البريطانية والأقاليم فيما وراء البحار التى تحت إدارة تلك الحكومة.

وحكومـــة الولايات المتحدة فـــى القارة وجميع الأقاليــم الواقعة تحت اختصاص للولايات المتحدة ونفوذها طرفاً ثانياً.

وأخيراً عزيـــزى القارئ وفى أدب الأطفال وعلى غرار كليلة ودمنة «أن أسداً جائعاً نظر حوله فى الغابة فلم يجد سوى فأر صغير ولم يجد الأسد أى حجة أو سبب ليأكل الفأر فأمره أن يعبر به النهر فى قارب ووافق الفأر أمـــلاً فى النجاة وظل الفأر يكافح بقوة ليعبر به النهر وفى منتصف النهر أحـــس الأســـد أن الفأر قد ينجح فى نقله عبر النهـــر فقال له ما كل هذا الغبار الذى تحدثه وأصاب عينى؟ فنظر الفأر إلى الأسد مستغرباً والعرق يتصبب منه وأين الغبار فى عرض النهر؟ فقال له الأســـد هى مشـــاغبتك دى اللى هاتخلينى آكلك وآكله» وانتهت القصة والسلام.

الفصل الثامن

هكذا شاركت إيران فى انتخاب أوباما!

كان هناك ما يقرب من أربعة عشر مرشحا للرئاسة الأمريكية، وكتبت محللا وبذات العنوان «بين جون ماكين وأوباما بن عم حسين «ولم يكن ذلك من باب التخمين أو المضاربة ولكنه كان لرؤية واضحة لمعالم السياسة الدولية. وتحققت النبوءة وقت أن كانت هيلارى كلينتون الأقرب إلى البيت الأبيض. وعارض رؤيتى الكثيرون ولكننى كنت مقتنعا للحد الذى لا أرى فيه ما يغير من وجهة نظرى، وفى نهاية التحليل كنت أميل إلى أن «جون ماكين» هو الأقرب إلى البيت الأبيض، ولكننى استدركت قائلاً : «ما لم تحدث أشياء أخرى» وظهرت النتائج النهائية وفاز بها «باراك أوباما» كما كنت أتمنى فى عمق النفس ولكن على غير ما رجحت فى الأولوية ووقفت كثيرا أمام ما كتبت فربما كان هناك خطأ فى المدخلات أدت إلى تغير فى الترجيح أدى إلى فشل «جون ماكين» وبالمزيد من التمعن والتفكير لكافة الملابسات والأحداث اتضح وجوب فوز «باراك أوباما» ليس لخطأ فى التحليل ولكن لسرعة التغير فى الأجداث، وهى على ما يبدو حتى غير واضحة المعالم أمام الكثيرين ممن كتبوا حول النتائج واستمعت لهم جيدا فقد رأيتها بمنظور آخر.

أولاً : أحداث حرب الخليج والإنفاق العالى جدا لها وما تبعه من نتائج لم تكن على خرائط العسكريين والمخططين الاستراتيجيين الأمريكيين بل والأوروبيين أيضاً، مما أدى إلى أن ترفع الولايات المتحدة (فى بداية عهد بوش عام ٢٠٠٠) من أسعار النفط مما يقرب من ٢٣ دولارا للبرميل إلى ما يقرب من ١٢٨ دولاراً ولا تستطيع أو يمكن لدولة منتجة أو مصدرة أن تفعل ذلك، وكلنا يعلم ما حدث عند رفع سعر البرميل إلى أربعين دولاراً للبرميل وقت أحداث حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، وما يمكن أن يؤثر فى الاقتصاد

العالمى أدى إلى اعتبار عودة الضخ قبل الاتفاق على السلام، ثم أتبعت ذلك بخفض قيمه الدولار إلى النصف لعـدم زيادة العائد المادى الذى حصلت عليه الدول العربيـة المنتجة وحتى عاد التوازن المالى للتعاملات الدولارية على مسـتوى العالم بأكمله؟؟ ومن المعـروف أن أمريكا هى المهيمن الأكبر والمسـتفيد الأعظم من تلك التجارة، لأنها تنتج وتأخذ ولا تستهلك فقط، ولكـن تبيع أيضا وما يأخذ المنتجون هو ما يشـبه حق الانتفاع فقط، ومع كل ذلـك فهو لايزال قابعا فى خزائن البنوك الأمريكية ويسـتهلك الباقى فى أمور عسكرية ولوجستية وأكثرت أمريكا فى التعامل الدولارى النقدى على تلك الأمور ودون الاستخدام فى التعامل التجارى و بنقد مكشوف أدى إلى صـراخ وليس تحذير من رئيس البنك المركزى الأمريكى من الكسـاد المتوقع. وزاد تحذيره وصراخه من أن تحول بعض الدول القابع فى أرضها النفـط لتعاملاتها على النفط بعملات أخرى ربمـا يكون اليورو الأوروبى «وسبق تحليل ذلك أكثر تفصيلا» وتدخلت الأوامر السياسية للإمبراطورية الأمريكية لتحول دون وقوع تلك الكارثة ولكن بقيت تداعياتها حتى الآن.

ثانياً : مما سـبق نتجت الكارثة الاقتصادية الحالية والتى كانت ماثلة أمـام من يرى أو يدرك، ولكن لم تسـتطع أمريكا الرجـوع أمام تداعيات الأحـداث فى العـراق وأفغانسـتان، وبالتالى التراجع عـن التصعيد فى القوقـاز، وبالتالى لم تسـتطع أمريـكا ترجيح كفة الداعـين إلى ضرب إيران وفتح حرب جديـدة لم يعد يتحملها الاقتصاد الأمريكى بل والعالمى أيضا، وكان مرشـحا لقيادتها «جون ماكين» بكل خبراته وجرأته السياسية والعسـكرية ولم يعد هناك إمكانية إيجاد مشروعية فى الأمم المتحدة بعد أحـداث القوقاز وزيـادة التقارب الإيرانى الروسـى والصينى أيضا. مما يصعـب من الحصول على قرارات دولية تمكن التحالف الغربى من شـن تلـك الحرب وعلى ما يبـدو عدلت أمريكا من سياسـتها التى تتجه نحو الهاوية والحرب إلى التعامل السياسى والضغوط السياسية والاقتصادية. وبالتالى أصبحت فى حاجة إلى شـخص أخر يتعامل (وفق المؤسسـات) الإستراتيجية لكى يتأهل لاتخاذ مثل تلك القرارات الصعبة.

ثالثاً : مما سبق أيضا تلاحظ خفوت أو نضوب حدة التوتر والتصعيد من أمريكا والدول الست الكبرى بالنسبة لأزمة البرنامج النووى الإيرانى، وخروج تقرير المخابرات المركزيـــة الأمريكية لكى يقلل من أهمية وحتمية ضرب إيران لبعد الفترة الزمنية التى تؤهلها إلى إنتاج فعلى لســـلاح نووى وبالتالى توجد مســـافة ووقت للضغوط الاقتصادية والسياسية أيضا وتبع ذلـــك هدوء ملحوظ علـــى الجبهة العراقية، وتكاد تنتهـــى أخبار وأحداث العنف والمقاومة العراقية، وبسرعة غير متوقعه مما يدل على أنه ربما كان هناك اتفاق تحتى أو خلف الأبواب المغلقة بين إيران وأمريكا على ذلك، ثم تبع ذلك عدم الرغبة فى تهيئة الشـــرق الأوسط لمسرح العمليات الذى كان متوقعـــا عند ضرب إيران، وانتهت فصول «أنابوليس» بكل مالها وما عليها وانتهت التعهدات الأمريكية بحل المشكلة قبل خروج جورج بوش من البيت الأبيض. وعـــادت الأمور إلى نقطة الصفر مرة أخـــرى وانتهت كما بدأت ومـــا بدأ يظهر فى الأفق هو تبعـــات التهدئة لا تتحرك عن اتفاقات ورقية ومؤتمرات سياســـية احترفها كل العاملين فيها من خبرات ســـابقة قاربت على الســـتين عاما الماضية وتبع ذلك عودة التوغل الإســـرائيلى فى قطاع غزة مع بشائر الشتاء الحالى ، ثم تلى ذلك التباعد وربما التنكر لبعض ما اتفق عليه بين سوريا وإسرائيل ولم يعد الثمن حاليا على الأقل فى مصلحة أيه تنازلات إسرائيلية فى هضبة الجولان السورية، واتفق الطرفان السنى والشيعى على التهدئة ، فلم يعد هناك ما يمكن أن تأخذه الطائفة السنية، فلم يعـــد الوقت ملائما لإعادة فتح ملف «رفيق الحريرى» مره أخرى، ولم يعـــد أمام حزب اللـــه ما يمكن أن يأخذه فى الوقـــت الحالى وخاصة بعد تبادل الأســـرى الأخير. وتلقى ما يكفى من إشارات بذلك من القيادة الأم فى إيران وتراجع الجانب الســـورى عن التشدد المعهود وحضر إلى مؤتمر الأورومتوسطى الذى حضرته إسرائيل أيضا ودون مقابل أيضا.

رابعاً : يضاف إلى ما ســـبق فشل جميع مســـاحيق وعمليات التجميل لوجـــه أمريكا فـــى العالم، أرض الأحـــلام وراعية حقوق الإنســـان، فأين

حقوق الإنســان وأحداث معتقــل أبو غريب، وليس بجديــد كل ما حدث فيه من أحداث يندى لها جبين الإنســانية، وليس فقط أمريكا، ثم أحداث أفغانستان، وما يجرى حتى الآن على أرضها ثم معتقل «جوانتانامو» والذى لازال يحــدث رغم محاولة أمريكا غلق الملــف (ولم يحدث حتى الآن)، ثم أحــداث الصومال وليســت ببعيدة وضرب قرية «بوكمال» فى ســوريا ثم محاكمات جنائية للمقاومة العراقية، ومن محكمة عراقية بتهمة قتل جنود أمريكان (إســقاط شرعية المقاومة ضد الاحتلال)، كل ذلك أدى ألى فشل جميع المؤسسات الموكل إليها تجميل وجه أمريكا أمام العالم بأسره، وليس فى الشــرق الأوســط وحده، بل وفى داخل أمريكا نفســها بالتالى كانت أمريكا فى أشد الحاجة بل وحتمية تغيير وجه أمريكا أمام العالم بعد فشل عمليات التجميل وهو اختيار موفق لشــخصية سوداء ومن أصول أفريقية وجذور إســلامية، هللت له كل عواصم العالم بعد ظهور نتائج الانتخابات، فكان من مجمل التحليلات أن انتخاب الأمريكيين «لباراك أوباما» رئيســا موافقا لرغبة غالبية شــعوب العالم فى التغيير، لاسيما بعد معاناة العالم كله طوال ثمانى ســنوات من حروب متعددة ومن أزمة اقتصادية قد تدفع بالاقتصــاد العالمى إلى حافة الهاوية غير المســبوقة منذ عقود وأن العالم ربح كثيرا اقتصاديا وسياسيا بانتخاب «اوباما «كيف ذلك؟ لا أدرى وهو لم يدخل البيت الأبيض بعد، ونسى الجميع أن أمريكا إمبراطورية وحيدة فى العالم تحكمها مؤســســات ضخمة ومتشعبة تعنى بكل صغيرة قبل الكبيرة فى كافة أنحاء المعمورة وأنها تعمل وفق نظام مؤســســى كامل ومترابط لا يتقيد برئيس ورأيه الأوحد فقط.

وهناك شعار وحيد يحكم الجميع فى أمريكا وربما العالم بالتالى التابع والضعيف منه بأن «أمريكا فوق الجميع» ولم يعجبنى، بصفة شخصية، فى تحليل النتائج النهائية سوى كلمة الرئيس الكوبى السابق «فيدل كاسترو»، عندما علق قائلا : «إن باراك اوباما أذكى وأكثر ثقافة وهدوءا من منافسة العجوز المولع بالقتال» وكان «الكيجولا ثالث إمبراطور فى روما طاغية فظاً،

ومع ذلك يحكى أن فكرة راودته تدل على قلة احترامه لما تمثله شخصية عامه فقام بتعيين حصانة المفضل «إنستاتوس» أولا فى مجلس الشيوخ ومن ثم حاكما، وربما كان «كاليجولا» يعنى بهذا أن آلية الإمبراطورية الرومانية كانت تعمل من تلقاء نفسها، فما أن انطلقت تستطيع الاستغناء حتى عن قياصرتها.. وما أعنيه ليست المشكلة فى غباء «بوش» الكارثى أو فى حماسة الرئيس المقبل بل فى المشيئة الخاصة لإمبراطورية ولدت من الحرب ضد أسبانيا (١٨٩٨) ثم نظمت «السلام الأمريكى» بعد الحرب العالمية الثانية.

الموقف الشرق أوسطى :

بعد إعلان نتائج الانتخابات الأمريكية حذرت إسرائيل من إعلان الرئيس الأمريكى المنتخب «باراك أوباما» استعداده للحديث مع إيران، وزعمت أن ذلك قد ينظر إليه فى الشرط الأوسط على أنه مؤشر ضعيف فى الجهود الرامية إلى إقناع طهران بالتخلى عن برنامجه النووى، وردا على سؤال حول تأييدها لأى حوار مع إيران قالت «ليفنى» وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة (حتى الآن لا)؟؟؟، وأعلن السفير الأمريكى لدى إسرائيل «جيمس كانينجهام» أن رئيس الولايات المتحدة باراك أوباما سيكون رئيسا عظيما وصديقا كبيرا «لتل أبيب» ولكن التحليلات التى خرجت من إسرائيل أضافت أنه من المحتمل أن يكون فوز «أوباما» له تأثير مثير على استمرار السفير الأمريكى الذى لم يمض على وجوده فى إسرائيل أكثر من ثلاثة شهور فقط.

أما على المستوى الإعلامى العربى فقد كان التهليل والابتهاج والأفراح العاطفية التى لازالت تحكم الشرق الأوسط هى الغالبة، وبصورة قد تكون أكثر وضوحا مما يحدث فى أمريكا نفسها، ولنا سوابق كثيرة من التاريخ فى ذلك، عندما كان يهلل العرب كلما كان الغلبة فى الصراع بين الإمبراطورية «الرومانية» والإمبراطورية «الفارسية» ونسى الجميع أن كلتا

الإمبراطورتين فى شكل استعمارى ذاق الأمرين من كلتيهما ويمكن اختصار كل تلك المشـاعر فى مانشيت كبير لإحدى الصحف العربية الهامة «أوباما يصنع التاريخ بفوز سـاحق» ولست أدرى كيف صنع هذا العملاق الفذ مع كل الاحترام لشـخصه الكريم وكل التفـاؤل أيضا كيف يصنع التاريخ وهو لـم يكن دخل البيت الأبيض بعد ومن بعد (وسـبحان اللـه) وأخيراً يقول «أوباما» (كلاهما تعرض للاضطهاد) مسـاويا بين اليهود والسـود ونقول «معلش» تصريحات انتخابية ثم يقول فى مؤتمر «إيباك» سـتبقى عاصمة إسرائيل (القدس) وموحدة أيضا ونقول أيضا معلهش تصريحات انتخابية ثم نستبق الأحداث من باب الاحتياط إذا ما حدث قرار فعلى «يجب إعطاء الرجل فرصة لدراسـة الموقف فى الشـرق الأوسـط، فهى قضية معقدة وتحتاج إلى دراسـة وتأن فقد مضى عليها ما يزيد على ستين عاما ثم فى العام القادم» مازالت الأمور الخارجية والشـرق أوسطية خارج الأولويات الحالية فى أمريكا، وهناك أمور أخرى مثل الموقف الاقتصادى والكسـاد، وفـى العام بعـد القادم معلهش أيضـا، فأمريكا بدأت تجهـز لانتخابات جديدة لا تسـتطيع مها اتخاذ قرار حاسـم فى الشرق الأوسط، وبدلا من كل هذا فإننى أرى وجوب وحتمية تحويل القمة العربية الاقتصادية المقبلة إلى قرارات سياسـية إضافية وإستراتيجية تتناسب مع المتغيرات الدولية المقبلة، نعرف فيها القدم من الرأس بدلا من التشجيع والتبرير. فنحن فى أشـد الحاجة إلى تحديد موقع اسـتراتيجى حقيقى فى الشرق الأوسط يحدد المكانة والمـكان فى تلك البقعة الهامة والخالدة على أرض المعمورة، وأن كان هناك حلول أفضل فنحن فى أشـد الحاجة إليها الآن وهل الربيع العربى لم يعد كافيا للفهم والتحرير أم ننتظر الزلزال والعواصف..

الفصل التاسع

خلف الأبواب المغلقة

فى العمق الخشن :

كانت الولايات المتحدة تلعب منذ فترة لعبة القطة والفأرة مع الإيرانيين بشأن رغبتهم المعلنة فى امتلاك التكنولوجيا النووية التى يراد استخدامها فى الظاهر فى برنامج نووى لإنتاج الطاقة فى حين رأت أمريكا وإسرائيل أن ذلك ليس سوى جزء من نية أكبر لامتلاك أسلحة نووية.. وفى أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتى تقربت إيران من الحكومة الروسية الجديدة المتعطشة للمال على عهد بوريس يلتسن وأبرمت صفقة فى مطلع عام ١٩٩٥ بلغت قيمتها ٨٠٠ مليون دولار يقوم الروس بموجبها ببناء مفاعل وحيد بقدرة ١٠٠٠ ميجا وات فى بوشهر ووافقت أداره كلينتون على الصفقة وعلى الفور انتقدت الحكومة الإسرائيلية تلك الصفقة وكانت جهات إيرانية قد أجرت زيارات لكازاخستان فى العامين سنة ١٩٩٢-١٩٩٣ بهدف شراء يورانيوم متدنى التخصيب لإمداد مفاعلها بالطاقة (وهذا ما دفع أمريكا إلى تنفيذ برنامج بلغت كلفته عده ملايين من الدولارات للتخلص من كافه المحزونات التى فى حوزة كازاخستان من اليورانيوم عالى التخصيب وبدأ السعى الإيرانى إلى التقرب من شركات فرنسية وصينية من أجل امتلاك مصانع مكتملة البناء تفيد فى إنتاج سادس فلوريد اليورانيوم وهو الوقود المستخدم فى تخصيب اليورانيوم باستخدام طريقة الطرد المركزى.. وهنا أيضا ضغطت أمريكا على كل من فرنسا والصين لوقف هذا التعاون وبدأ التنسيق الإسرائيلى مع لجنة «إيباك «الممثلة للوبى الإسرائيلى فى الكونجرس والمؤيد القوى لإسرائيل وسرعان ما ضغط الكونجرس على الحكومة الأمريكية لفرض عقوبات صارمة على إيران لا تشمل الاستثمارات والمبادلات التجارية الأمريكية مع

إيران وحسب ولكن تشمل كل شركة أجنبيه تقوم بمثل هذه المبادلات.. وفى حجة إسرائيلية بأنه لا يوجد لدى إيران أيه حاجة منطقية لبرنامج الطاقة النووية وبالتالى فإن أى جهد فى ميدان النشاط النووى لا يخدم سوى كونه غطاء لبرنامج سـرى لإنتاج الأسلحة النووية خاصة عندما ارتبط ذلك مع مسـاعى إيران للحصول على التكنولوجيا النووية من روسـيا والتطورات الجارية على صعيد نقل تكنولوجيا الصواريخ بطريقة سـريه من روسـيا إلى إيران وولد ذلك ما يشـبه الهستريا فى دوائر الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية خاصة عندما أكتشف أقمار التجسس الأمريكية تجربة لمحرك إيرانى يعمل بالوقود السـائل يراد اسـتخدامه فـى الظاهر فى الصاروخ شـهاب ٣ وكان الإسـرائيليون مقتنعين بأن هذه التجربة لم تكن لتتم لولا معونة ومسـاعده الخبراء الروس فى إيران.. (والحقيقة أن المحرك الذى جـرى اختباره حصلت عليه إيران من كوريا الشـمالية ولم تكن أيه علاقة مـن قريب أو بعيـد بالتعاون الروسـى الإيرانى فى مجـال الصواريخ).. وبالتأثير المشترك للجنة التسريبات الخاصة بالتعاون الاستخباراتى والتى يتولى ملفها من الجانب الإسـرائيلى رجل الموساد النشط فى هذا المجال (عاموس جلعاد) ثم فرض عقوبات على الشـركات الروسـية التى تعرف بأنها تتعامل مع إيران..

محاولات إسقاط النظام الإيرانى :

بدأ الإسـرائيليون يفكـرون بجديه فى الظروف التـى ربما تؤدى إلى إسـقاط النظام والحكومة الايرانية وأدرك عاموس جعلاد ورفاقه ضباط الموساد بأن تلك المهمة أكبر من أن تتمكن إسرائيل بمفردها من إنجازها.. وفى الواقع هناك دوله وحيده فى العالم يمكنها إنجاز تلك المهمة ألا وهى الولايات المتحدة الأمريكية..وبوصف جلعاد العقل المدبر بدأت الاستخبارات الإسرائيلية بضخ المعلومات إلى المجلس الوطنى للمقاومة فى إيران والذى يعمل فى واشـنطن (بعد نقل نشـاطه من العراق) واستخدمت فى الغالب

مابات يعرف باللوبى الإسرائيلى كوسـيط والمجلس الوطنى للمقاومة فى إيران بمثابة الواجهة السياسـية لمجاهدى خلق أو «ميك» وبذلت إسرائيل جهودا جبارة لفصل صفه الإرهاب عن المجلس الوطنى للمقاومة فى إيران عـن جماعة مجاهدى خلـق وبذلك بدأ أعضاء الكونجـرس بالتعبير عن دعمهم العلنى للمجلس الوطنى للمقاومة فى إيران لإسـقاط نظام الملالى فى طهران وكان فى الواقع الهدف من تلك العملية ذا شقين : **الأول** غرس فكرة تغيير النظام فى نفسيه الجسم السياسى الأمريكى كسياسة **والثانى** العثور على منفذ قابل للنفى لنشـر المعلومات الاستخباراتيه الأمريكية فى أوساط الرأى العام الأمريكى.

النقطة الحرجة :

وهى أول نقطة حرجة والمفجر الأساسـى للأزمة النووية الإيرانية فى أمريكا وأوروبا والعالم (خاصة الشرق الأوسط) ففى يناير سنه ١٩٩٩ بدأ المجلـس الوطنى للمقاومة فى إيران بعقد مؤتمر صحفى كشـف فيه عن التقدم الذى أحرزته إيران فى ميدان الأسلحة الكيميائية والجرثومية.

بداية التفاعل :

ادعت إسـرائيل بأنه بفضل التعاون الاسـتخباراتى مع تركيا فى مجال أكراد الشـرق الأوسط عادت إلى البروز المشكلة الكردية الإيرانية مستغله فى ذلك ما فعلته الحكومة الإيرانية عندما اعتقلت خمسه وعشرين عضواً من الحزب الديمقراطى الكردى العراقى الذى يتزعمه مسـعود البرزانى نجل مصطفى البرزانى واتهمتهم بالتجسس لصالح الإسرائيليين والأتراك وبمسـاعده من الحكومـة التركية تمكنت إسـرائيل من تأسـيس وجود استخباراتى لها فى أذربيجان حيث بدأت الحكومة الإسرائيلية بحلول عام ١٩٩٦ ببث نشـرات دعائية فى شـمال إيران الذى يسكنه الأذريون دعماً لحركة وطنيه أذرية معادية للنظام إضافة إلى تنفيذ عمليات مكثفة لجمع

المعلومات تضمنت التصنت على الاتصالات وعبور الحدود من قبل أذريين موالين لإسرائيل.. وباستخدام وتوظيف خدمات المجلس الوطنى للمقاومة فى إيران قامت إسرائيل فى الثانى من أغسطس عام ٢٠٠٢ بالكشف عن وجود نشاطات نووية إيرانية سرية لزيادة التركيز الدولى على إيران بعبارات بأبعاد نوويه صرفه مع ربط ذلك بالتعاون الإيرانى مع حزب الله فى لبنان والعناصر الرديكالية داخل حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية ومستغل فـى ذلك أيضا الخطاب العنيف الإيرانى والمعادى لإسـرائيل ودعم إيران المستمر للإرهاب الدولى فى مرتبة ثانية بعد الملف النووى.. ثم قامت لجنة مراقبة نووية أمريكية خاصة؟!! تدعى معهد العلوم والأمن الدولى برياسة دافيد أولبرايـت وهو عالم فيزيائى عمل لفترة وجيزة كمفتش فى الوكالة الدوليـة للطاقة الذرية (خدم فى بعثـه التفتيش فى العراق) بعرض صور التقطتها القمار الصناعية وقام بشراء تلك الصور مع زميل له وهى خاصة لمنشـأتى ناتانز وأراك فى إيران بهدف دعـم المزاعم التى أعلنها المجلس الوطنى للمقاومة فى العراق وسـارعت الحكومة الأمريكية بالتجاوب علناً مع التقرير الذى نشـرته «سى. إن. إن» السالف ذكره بمعرفة معهد العلوم والأمن الدولى حيث صرح ريتشـارد باوتشر الناطق باسم وزارة الخارجية أن الولايات المتحدة توصلت إلى استنتاج مفاده أن إيران تعمل على تطوير قدرات تمكنها من صنع أسـلحة نوويه وناقش باوتشر مسألة منشأه للمياه الثقيلة فى أراك واحتمال وجود منشـأه فـى ناتانز لتخصيب اليورانيوم.. وسـارعت إيران إلى التعبير عن انزعاجها من التعليقات التى صدرت عن وزاره الخارجية الأمريكية ورد نائب الرئيس الإيرانى السيد أغازاده بالقول أن الاتهامات الأمريكية تخص الوكالة الدولية للطاقة الذرية وليس الولايات المتحـدة وأكد الرئيس الإيرانى محمد خاتمى بأن البرنامج الإيرانى ما هو إلا برنامج سـلمى وإيران لا تسعى إلى امتلاك أسلحة نووية؟!... وأضاف بأن إيران اكتشفت وجود احتياط من اليورانيوم وقامت باستخراجه ونحن عازمون على استخدام التكنولوجيا النووية فى الأغراض السلمية ومن حق إيران القيام بذلك.

وفــى عام ٢٠٠٣ طلب الســفير الأمريكى من الوكالــة الدولية للطاقة الذرية تقدم تقرير يحدد بالضبط ما عثرت عليه الوكالة فى إيران تمهيداً للقيــام بعمل ضد إيران فى تتطلع إلى أحاله القضية الإيرانية إلى مجلس الأمــن مما يفتح الباب أمام فرض عقوبــات اقتصادية على إيران أو حتى التصريح باستخدام القوة العسكرية فى حال لم تتجاوب إيران مع الإجماع المتنامــى علــى ضرورة تعليــق برنامجها النووى ككل والكــف عن تطويره وخصوصــاً فى النواحــى المتعلقة بامتلاك دوره للوقــود النووى الكاملة.. وتلــك كانت النقطة التالية للنقطة الحرجــة والانتقال لنقطة البداية؟!... حيث أوضحت وثيقة إستراتيجية الأمن القومى الأمريكى فى نقاط عديدة نوايا أمريكا فى أنها تبنى قدرات استخباراتية أفضل وأكثر تكاملاً لتوفير معلومات دقيقة وفى الوقت المناســب عن الأخطار فى أى مكان ربما تنشأ فيه ومن المحتم التنســيق عــن قرب مع الحلفاء لصياغة تقييم مشــترك لأعظــم الأخطار وتحويل القوات المســلحة لإمكانية ضمــان القدرة على تنفيذ عمليات ســريعة ودقيقة لتحقيق النتائج المرجوة بغرض التخلص من أى تهديد لأمريكا أو حلفاءها وأصدقاءها أيضا وســتكون الأســباب التى تقف وراء أعمالنا واضحة والقوة محسوبة والقضية عادلة؟!! و بالإضافة إلى إســتراتجية الأمــن القومى الأمريكى لعــام ٢٠٠٦ فقد أوضحت بأن الولايات المتحدة ملتزمة بسياســة تغيير النظام فى إيران وإنها تســتخدم البرنامج النووى الإيرانى كســتار لتســهيل عمليــه التغيير وكما أوضحت مذكرة دوانتج اســتريت لن تتردد الإدارة الأمريكية فى تلفيق الحقائق بما يخدم هذه السياســة وهذه هــى الحقيقة المزعجة التى تميز أى تطور فى الدبلوماســية المتأرجحة التى ميزت التطــورات المتعلقة بالبرنامج النووى الإيرانى ليكون الهدف السياســى المقبول والوحيد هو تغيير النظام؟! وهو ما يظهر أيضاً فى محرك التصعيد «بولتون» وهو الموظف المسئول فى وزارة الخارجية الأمريكية فى شــئون المنظمات الدولية والذى ساعد على إلغاء

قرار مثير للجدل أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى السبعينيات يساوى بين الصهيونية والعنصرية؟!! وأشهر ما قيل عنه «بأنه لا يوجد شىء يشبه الأمم المتحدة؟! وانه لو فقد مبنى أمانه سر الأمم المتحدة فى نيويورك عشره طوابق ما كان ذلك سيحدث فارقاً؟!» ويعتبر تغيير النظام فى إيران موضوعاً يعرفه كل شخص فى واشنطن العاصمة ولكن أحداً لا يريد مناقشته فى العلن على الأقل ومن الأمور المعيارية المترتبة على هذه المقاربة تصريح جون بولتون أيضا فى مايو سنة ٢٠٠٦ حيث علق على احتمال أن تؤدى حزمه الحوافز إلى حمل إيران على وقف برنامج تخصيب اليورانيوم والتخلى عنه «بأن هذه اشارة إلى حكام طهران بأنهم فى حال أوقفوا دعمهم الطويل للإرهاب وتخلوا عن سعيهم إلى امتلاك أسلحة دمار شامل يمكن أن يبقى نظامهم ويمكن أن يقيموا علاقة مختلفة مع الولايات المتحدة وباقى أنحاء العالم «ولكن تبقى الحقيقة الكامنة فى الكلام الذى لم يقله فى أنه فى حال أحجمت إيران عن لعب الكرة فلن يسمح للنظام الإيرانى حسبما يفكر صانعوا السياسة فى واشنطن بالبقاء ويبقى على الجانب الآخر ما قالته وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندوليزا رايس (وهى قبل ذلك كانت مستشارة للأمن القومى) «إن إيران ليست العراق وفى حين إن إيران لاتزال خاضعة لحظر اقتصادى أحادى من جانب الولايات المتحدة فهى لاتزال قادرة على إجراء مبادلات تجارية مع باقى دول العالم وبناء على ذلك تظل إيران أشبه بدولة حديثة يمكنها الوصول إلى مجموعة كاملة من التكنولوجيات المتوفرة لباقى الدول فى العالم بما فى ذلك التكنولوجيا العسكرية وأن مساحة إيران أكبر بكثير من مساحة العراق كما أن عدد سكانها وجيشها أكبر بكثير والشعب الإيرانى شعب يفتخر بنفسه وثقافته وتاريخه واستقلاله وأية فكرة تقول أن الشعب الإيرانى سيقف موقف المتفرج فيما تقصف الولايات المتحدة بلده أو تحتل أرضه خاطئة على نحو مأساوى. وليكن معلوماً ستقاوم إيران

أى هجوم يســتهدف أراضيها بكافة الوسائل المتوفرة لديها.. وسينتج عن أى قصــف جوى لإيران هجوم صاروخى إيرانى مباشــر على أهداف فى إســرائيل يليه قصف صاروخى من قبل حزب الله لشــمال إسرائيل وفى حال تم نشر قوات أمريكية فى أى بلد يقع ضمن مدى الصواريخ الإيرانية ففى الإمكان توقع تعرض ذلك البلد لهجوم إيرانى وســتطلق إيران ســيلاً مــن صواريخها على القوات الأمريكية الموجودة فى العراق ثم تشــتبك مع قوات الاحتــلال التابعة لأى تحالف على الأرض إما بقوات إيرانية شــبه عسكرية أو باستخدام وكلاء عراقيين على شكل مجموعات من الميليشيات الشــيعية الموالية لإيران وســتزول حريــة الحركة الأمريكية بين عشــية وضحاها.. وســتقطع خطوط الاتصال بين القواعد اللوجستيه الأمريكية فى الكويــت والأردن ولن يعود فى الإمكان حماية خط الاتصالات الوحيد المتبقى الذى يمر عبر كردســتان نحو تركيا وهو ضعيف أصلاً؟ وستصبح القوات الأمريكية معتمدة بشكل شبه كامل على الإمدادات الجوية وهو ما ســيعرض الطائرات العمودية والطائرات ثابتة الأجنحة لخطر عظيم من صواريخ أرض جو الإيرانية وســيجبر الأمريكيــون على التخلى عن بعض قواعدهم بغرض دمج الموارد وســتجبر أمريكا فــى نهاية المطاف للتفكير فى الانســحاب أو التعرض لخسائر كبيرة وربما يذكرنا ذلك بما حدث فى فيتنام وســيتم وقف الإمدادات البترولية فى الخليج بالطبع أما عبر شــن هجمات صاروخية أو بعمليات مباشــره ينفذها نشطاء من الشيعة الموالين لإيــران أو قوات كوماندوز إيرانية ويكون من المحتمل أيضا تعرض القوات البحرية الأمريكية العاملة فــى الخليج للخطر أيضا مع احتمالات بتنفيذ عمليات إرهابية وخطف فى أنحاء العالم ضد المصالح الأمريكية والحلفاء أيضا فى أنحاء العالم المختلفة وربما يكون الســيناريو الأكثر احتمالا أشبه بالتجربة الأمريكية التى خاضتها القوات الأمريكية فى كوريا ســنة ١٩٥١ عندما دخلت الصين الحرب وإذا قامت أمريكا بضربات نوويه ربما تخرج

المعادلة عن نطاق التوقعات ويتعذر عندئذ تقدير الأضرار ويمكن أن ينقلب مجـرى التاريخ العالمى ذلـك كان جزء من تحليـل كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية السـابقة ومستشارة الأمن القومى الأمريكى وبالنص الحرفـى له واقف هنا متحيرا وقلمى عاجـزا أيضا عن التحليل والتخيل لمـا يمكن أن يصيب العالم من هذا السـيناريو المخيـف.. أليس ذلك رداً كافياً على تعليق أحد المسـئولين السياسـيين العرب والملمين أيضا بالملف الاستخباراتى عندما يقولون للأمريكان محفزين أو محرضين «إن القوى لا يهدد؟! بل يفعل؟!» هل هذا قول حق أو حتى معقول؟ لست أدرى؟

الباب السابع

محاولة للتفاؤل

الفصل الأول

سنة وشيعة

حيرة .. وخوف .. وأمل :

عندما بـدأت فى معالجة هذا الفصل أحسسـت بالخوف وما تعودته فلا يوجد لدى شخصياً ما أخاف عليه وما وصلت إلى منصب إلا وعملت بجد واجتهاد وكرهت كرسـيه وفرحت بترك العمل وكرسيه بحثاً عن عمل جديد ناسـياً الارتباط والعاطفة وليس فى رغـد العيش لى نصيب حتى أخـاف تركه بل حياة كلها كفاح وبحث عن الذات فكيف يكون للخوف باب أو مدخل؟! وهنا القول الفصل .. نعم أخاف لأن العقاب سيكون فى الدنيا والآخـرة وبقـدر من أقتنع بالـرأى إن كان خطأ ومن تبعـه أيضا!! ورغم اعترافى بحقيقة أننى درسـت ولسنوات دراسـة منتظمة وعالية فى عده فروع فى الدراسات الإسلامية وعلى يد أكبر العلماء والفقهاء فى عصرهم وفـى كل أرجاء الأرض وتلك شـهادة حق أيضا .. إلا أننى شـعرت أيضاً بالجهل والخوف من أن أحذف أو أضيف برأى أو فتوى ولكن أمانه الكلمة تركت لى مسـاحة الحيـرة والأمل لأن أنقلها إلى القـارئ العزيز صاحب الفضل لكل كاتب أو مفكر لأنه الهدف والغاية من الكتابة ...

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم فى سـورة آل عمران الآية « ٦٤ » ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ وهنا كانت الحيرة؟! فإذا كان الله يدعونا إلى كلمة سـواء وإلى الحوار الهادئ وإلى التعايـش وقبول الآخر مع الديانات الأخرى فما هو الحال فى المذاهب المختلفة فى الدين الإسـلامـى نفسه؟! بالطبـع لابد أن يكون هناك سـبلاً وطرقاً وأسـاليب للتفاهـم والتعاون والتجاوز المباح نحو الأفضل لكى تكون كلمة الله هى العليا ..

قول أهل السنة :

يحذر الدكتور صفوت حجازى من أن من سب أصحاب النبى فقد سب النبـى ﷺ فمثلاً كيف يقول النبى ﷺ على خالد بن الوليد : «سـيف من سـيوف الله» وعندما يدعو النبى ﷺ لخالد بـن الوليد «اللهم أعل قدره وآته ما تحب» ثم يأتى واحد ويقول : خالد بن الوليد مجرم حرب مشـيراً إلـى أن من يتهم خالد بن الوليد بهذا الاتهام فهو اتهام للنبى ﷺ لأنه هو الذى ولى خالداً أميرا وقائدا ومن المعروف أنه عندما جاء خالد إلى النبى مسلماً قام يلقاه فرحا مهللاً وقد روى عن البخارى فى صحيحة أن النبى ﷺ قال **«لا تسبوا أصحابى فو الذى بعثنى بالحق لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».**

ثم يشـير الدكتور صفوت حجازى إلى ما رواه الإمام مسلم فى حديثه من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وأرضاه .. يقول أبو موسى : «صلينا مع رسـول الله ﷺ المغرب فكنا ننتظر حتى نصلى معه العشـاء لعلنـا ننال من الأجر فخـرج علينا النبى ﷺ قال : **«ما أجلسـكم؟** قلنا يا رسـول الله جلسنا حتى صلينا المغرب ثم جلسنا حتى نصلى العشاء فقال **خيراً صنعتم أو خيرا فعلتم»** فقال أبو موسـى ثم نظر النبى ﷺ للسماء وكان كثيراً ما ينظر للسماء ثم نظر إلينا وقال **النجوم آمنة .. للسماء فإذا ذهبـت النجوم آتى السـماء مـا توعد وأنا آمنـه .. لأصحابى فإذا ذهبت أتـى أصحابـى ما يوعـدون وأصحابـى آمنة لأمتى فـإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون»** وهنا يشـير الدكتور حجازى إلى أن هذا ما حدث بالفعل فعندمـا ذهب النبى جاء الخلاف بين الصحابة ولأن الصحابة هم أمان لهذه الأمة فإذا ذهب هذا الأمان أتى الأمة ما توعد. كما روى الإمام أحمـد وأبـو داود والترمذى عـن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قـال جابر قال رسـول الله ﷺ: **«الله الله الله فى أصحابى الله الله الله فى أصحابى لا تتخذوهـم غرضـاً بعدى فمـن أحبهم فبحبى أحبهـم ومن أغضبهم فبغضى أبغضهم»** ويقول الإمام السـيوطى رحمة الله : «من أغضب أحدا

من أصحاب الرسول فهو كاره لرسول الله وإن زعم أنه يحبه» وكان الشيخ عطيه محمد سالم رحمة الله عليه يقول : «ومن أغضب الصحابة أغضبه النبى ومن أحب الصحابة أحبه النبى ﷺ.

ثم يعبر الدكتور حجازى عن أسفه الشديد من بعض الناس فى هذه الأمة وهم الذين اتخذوا أصحاب النبى غرضا يصوب إليه سهامه ثم يشير لقول الرسول ﷺ عن الصحابة : «**ومن آذاهم فقد آذانى**» موضحا الإيذاء الكبير الذى يتعرض له صحابة النبى ﷺ ومنهم أبو هريرة وأبو بكر الصديق وعمر وعمرو بن العاص متسائلا هل هناك إيذاء أكبر من هذا؟ وهل يقبل أحد من البشر أن يسبه أحد بأبيه أو أمه أو يتهم بالفاحشة مشيراً إلى أن الإنسان قد يقبل أن يسرق منه المال على أن يسب سبه واحدة لأن العبد ـ فقط ـ هو الذى يسب ويضرب» أما الحر فكلمة اللسان عليه أشد من مئات السياط فالحر تكفيه الإشارة والعبد يضرب بالعصى.

قلوب الصحابة :

وهنا يؤكد الدكتور صفوت حجازى أنه ليس هناك أحرار كأصحاب رسول الله، والنبى ﷺ هو الذى يتحدث ويقول : «**من أذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد أذى الله ومن أذى الله يوشك الله أن يأخذه**» ثم يروى الإمام آحمد بن حنبل حديثا صحيحاً ثابتا عن عبد الله بن مسعود يقول ابن مسعود فيه : «إن الله نظر إلى قلوب العباد فما وجد قلباً أنقى ولا أطهر من قلب محمد، فاصطفاه الله لنفسه نبيا ورسولا، وأختصه بنبوته ورسالته، ثم إن الله نظر فى قلوب العباد نظرة أخرى فما وجد أطهر ولا أنقى من قلوب أصحاب محمد فاصطفاهم الله لرسوله فوجدنا أصحابه يموتون تحت رايته وينشرون دينه فالله الله فى أصحاب رسولكم، والإمام البخارى يروى لنا حديثاً فى منتهى الأهمية يقول فيما يرويه جابر بن عبد الله رضي الله عنه بعد صلح الحديبية وبعد عمره القضاء وكان المشركون قد تركوا مكة للمسلمين جلس سيدنا بلال وسيدنا صهيب وسيدنا سلمان

عند الكعبة فرأوا أبا سـفيان يمر من بعيد فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله شـيئاً فكانوا يتمنون أن تأخذ سـيوفهم رقبة أبى سفيان وسمعهم أبو بكر الصديق وهم يتحدثون وكان أبو بكر من أطمع الناس أملا فى إسلام أبى سـفيان فقام غاضباً وقال لبلال وصهيب وسلمان أتقولون هذا على شيخ قريش وسيدها والله ما أفلحتم ... ثم ذهب غاضباً فقابله النبى ﷺ فقال له : ما بك يا أبا بكر، وعندما علم النبى ما حدث قال النبى لأبى بكر : **يا أبا بكر أصحابى إياك أن تكون قد أغضبتهم فيغاضبونك عند الله**، فأسـرع أبو بكر إلى صهيب وسلمان وبلال وقال إخوتى فى الله أغضبتكم فقام ليقبلهم فقالوا لا تفعل قد رضينا عنك يا أبا بكر.

وهنا يعبر الدكتور صفوت حجازى عن حزنه الشـديد متسـائلا : ألم يقـرأ الناس البلهاء الذين يسـبون الصحابة هذه الأحاديث ليعرفوا مكانة الصحابة؟!! مشـيراً إلى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده: يأتى على الناس سـنوات خداعات يكذب فيها الصـادق ويصدق فيها الكاذب ويؤتمـن فيها الخائن ويخـون فيها الأمـين ويتكلم الرويبضـة قالوا وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال **الجاهل يتكلم فى أمر العامة**.

يضيـف الدكتور حجازى : إن القـرآن الكريم عندما تكلم عن أصحاب النبـى قال للرسـول : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهـف : ٢٨)، فهـذه الآية خطاب للنبى ﷺ يأمره اللـه تعالى فيها بأن يصبر نفسـه مع هؤلاء الصحابة وهم الذين معه كما تشير الآية الكريمة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ...﴾ (الفتـح : ٢٩) فالمعيـة هنا معية خاصة ومعيـة عامة، معية خاصة هـى خصوصية الصحابـة والمعية العامة هى كل الأمة. وهنا يشـدد الدكتور صفوت حجازى على أن عقيدة المسـلم فى أصحاب النبى هى عقيدة أهل السنة والجماعة فى أصحاب النبى ـ أيضاً ـ ومن ثم يجـب أن نوالى من والى أصحاب النبى ونعادى من عاداهم وأن نحب أصحاب النبى صلى الله كما ورثناها عن علماء الأمة.

يؤكــد فضيلة إمــام أهل الســنة الدكتــور محمد المختــار المهدى أن القــرآن الكريم أثنى كثيراً على صحابة رســول اللــه ﷺ وقال ربنا فيهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة : ١٠٠) موضحا أن الله تعالى قــد رضى عنهم وأعد لهم جنــات، وكان ذلك فى حياتهم أى أن الله تعالى بشرهم بأنهم من أصحاب الجنة، ومن ينكر هذه الآيات فهو كافر.

يضيف فضيلة الإمام أن السيدة عائشة رضوان الله عليها نزلت براءتها من فوق سبع سموات ويقول القرآن الكريم عنها إنها مؤمنة وأنها محصنة مبــرأة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ (النــور : ٢٦) ، ثــم يصفها القرآن الكريم بأنها طيبة فيقول ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ وعلى هذا فإن من يتهمها بالفاحشــة منكــر لأية من كتاب اللــه عز وجل ونحن عندما نســمع قوله تعالــى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ..﴾ (الفتــح : ٢٩) ، أى أن اللــه تعالى يصفهم بوصف المؤمنين الخاشعين الركع السجود ثم يأتى من ينكر هذا وبالتالى يكون كافرا.

ثــم يطمئن فضيلة الإمــام الناس بأن هؤلاء الذيــن يكرهون الصحابة ويكرهــون الرســول ﷺ يتوعدهم القرآن الكريم بأن الله ســيقطع كل ما يتمنونه فــى الدنيا والآخــرة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣) ولهــذا فنحن مطمئنون إلى مكانة صحابة رســول الله نقله الوحى محذراً فى الوقت نفسه من أن الهجوم على الصحابة هو وسيلة من وسائل الإهانة للإســلام كله لأن الذى أوصل إلينا هذا الدين هم الصاحبة، فإذا نســب إليهم كذب فســيكون ما نقلوه إلينا من أحاديث رســول الله ﷺ ومن كتاب الله تعالى كذباً - أيضاً - هذا ما يريده أعداء الإســلام فأعداء الإسلام لا يواجهون الأمر بإعلان الكفر الصراح وإنما يبحثون عن وســائل وخطوات تؤدى بعد ذلك لما يريدون تحقيقه عندما ينكرون سنة رسول الله ﷺ فماذا

بعد إنكار السنة إلا إنكار القرآن لأن السنة هى البيان للقرآن الكريم. وأضاف فضيلة الإمام انه لا تعارض بين وصف من سب الصحابة بالكفر كما روى عن الإمام مالك وأبى حنيفة ووصفهم بالفسق والابتداع كما نقل عن الإمام الشافعى فمن ينكر الآيات التى وردت فى فضلهم فهو كافر ومن نسب إليهم أنهم أخطأوا على أنهم بشر ولم ينكر القرآن فهو فاسق لأن أخطاءهم اجتهاد يثابون عليه.

ويقول أهل الشيعة :

حيث ذهب وفد صحفى كبير من مصر إلى إيران يحمل معه العديد من النقاط والقضايا التى تشغل أهل السنة فى حوارهم مع الشيعة مثل قضايا سب الصحابة وزيارة قبر أبو لؤلؤة الماجوسى وزواج المتعة الذى يدور حوله جدل كبير، وما يقال حول إيمانهم بأن على بن أبى طالب كان الأحق بالخلافة لكن أبا بكر وعمر حرماه من هذا الحق لصالحهما وكان اللقاء بالمرجع الشيعى آية الله جعفر السبحانى وهو أكبر المراجع العلمية فى مدينة قم التى تمثل المدينة العلمية أو المرجعية فيما يتعلق بأمر الدين.. كما أن السبحانى من علماء الدين الذى زاروا مصر وعاشوا فيها فكان الحوار معه مهم لتوضيح الحقيقة كما أنه يأتى على خلفية واضحة من طبيعة أهل السنة خاصة فى مصر.. وكان السؤال الأول حول إباحة زواج المتعة وأن عليه ملاحظات كثيرة إلى درجة أنه يوصف بأنه زنا مقنن؟! كانت الإجابة «لابد أن تعلم أن زواج المتعة لا يمثل قاعدة.. لأننى أرى أن من لا يعرف يتصور أنه أساس الزواج فى إيران... وهو عكس الحقيقة فزواج المتعة دواء وليس غذاء.. أى وليس القاعدة فى العلاقة الزوجية فى فقه الشيعة وإنما هو سلوك استثنائى يضطر إليه الإنسان حتى لا يقع فى الزنا... ومن يقول أن زواج المتعة أمر شنيع كما ذكرتم نقول إن الله لا يشرع أمراً شنيعاً ؟! فأهل السنة يعترفون بأن رسول الله شرعه... وملحق السؤال أن رسول الله نسخ ذلك وقال ما معناه كنت قد أمرتكم

بالمتعة وأنهاكم عنها؟ وكانت الإجابة «إذن فرسـول الله شرع المتعة وما دام الرسـول شرعها ونسخت ونحن نقول أنها لم تنسـخ إذن كلانا يؤمن أنها شـرعت والخلاف فى النسخ من عدمه ونحن نقول أن الله لا يشرع شيئاً قبيحاً أو شنيعاً كما قال البعض أبدا فلو كان الأمر شنيعاً لما أباحه الرسول مطلقاً كما أن زواج المتعة لا يختلف عن الزواج العادى سـوى بتحديد المدة والحرمان من الإرث إلا إذا اشـترطت الزوجة الإرث فى حالة وفاة الزوج والزواج قائم أو أثناء العدة خاصة أن فى زواج المتعة عدة بعد نهايته كما أن البكر لا يسـمح لها بزواج المتعة وإنما يسمح للثيب (التى سبق لها الزواج) ودعنى أسألك لماذا يبيح أهل السنة زواج المسيار ويرفضون زواج المتعة ... فـى حين أن كلا الزوجين للضرورة فقـد يكون طالباً فى بلد غريب ويقيم مدة طويلة فما هو الأولى له الذهاب إلى الأماكن المحرمة أم الزواج ؟ وما هـو الأفضل.. نفاق الزوجة وبإعلانه أن الزواج أبدى وهو يضمر أنه فترة الدراسة أو انتهاء المهمة أية كانت أم أن يكون صريحاً واضحاً بلا نفاق من الطرفـين؟! كما أن زواج المتعة قد ينتهى إلـى زواج دائم إذا رأى الزوجان ذلك...

السؤال الثانى : وكيف يكون دواء كما ذكرتم؟! وكانت الإجابة بأنه دواء لأنه ليس القاعدة ويتم فى ظروف خاصة سـواء للزوج الذى يلجأ له بدلاً من الزنا فى حالة سـفر أو غيره كما أن الزوجة عادة ما تكون لها سـابقة زواج وفى حاجة إلى زوج..

سؤال حرج؟!

متـى ينتهى الصراع بين الشـيعة والسـنة وأنتم أحد مفكـرى العالم الإسلامى؟!

- الخلاف بين الشيعة والسنة خلاف فى الفروع وليس فى الأصول وبالتالى فلا يصح أن يأخذ هذه الأبعاد التى نراها ... فالشـيعة والسـنة ليسا طرفين وإنما هى شئ واحد فقد يرى الإنسان شيئاً يظنه حيواناً ضارياً

فـإذا اقترب منه ظنه حيواناً أليفاً لأنــه لا يهجم عليه فإذا اقترب أكثر ظنه إنســاناً لأن له هيئة البشر فإذا اقترب أكثر ظنه أحد مواطنيه بعد أن بدأ يتبين شــكله الذى يشــبه مواطنيه فإذا تلاقيا وجده عزيزاً عليه افتقده منذ فترة ... فليس هناك فرق بين الشــيعة والسنة إلا فى فروع بســيطة تتعلق بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن أصحاب المصلحة يضخمون الأمر ويصورون كل طرف للآخر على أنه العدو الذى يريد أن يتغلب عليه وأن الشــيعة يســعون إلى نشر التشيع بين السنة وأن السنة يريدون القضاء على الشــيعة فضــلاً عن فتاوى التكفير وغير ذلك مما يوسع الهوة ليتمدد فيها الأعداء.

- وماذا عن إيمان الشيعة سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان اغتصبوا الخلافة من سيدنا على بن أبى طالب رغم أنه كان قاضياً للأمة فى عهد ســيدنا عمر بن الخطاب وأبى بكر حتى قال سيدنا عمر : لولا على لهلك عمر .. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه فى رده على من لامه على فشل خلافته هو وعثمان ونجاح خلافة الشــيخين عمر وأبى بكــر : لأن أبا بكر وعمر كان معهما علــى وعثمان يعينونهــم .. أما أنا وعثمان فكنتم أنتــم معنا ..!! فكانت الإجابة نحن نؤمن بأن رســول الله ﷺ عين الإمام على فى وصية غدير خم التى أوصى فيها أن يتولى الأمر من بعده والســنة يقولون لم يوصى بشــئ .. وهذه مســألة لا يصح أن تكون حاجزاً بين أبناء الأمة الواحدة وفى الوقت ذاته لا يطلب منا نحن الشــيعة أن ننساها فالإمام على رغم أنــه كان يعلم أنه الأحــق بالخلافة إلا أنه أبى أن يطالب بها فى ظروف ارتد فيها قوم كثيرون عن الإســلام وأبو بكر يستعد لمحاربتهم فرأى أن الاستمساك بالحق يقضى على الإسلام ذاته ..

- متى يتحقق التقريب الحقيقى بين المذاهب؟

- يتحقق التقريب الحقيقى بين المذاهب عندما نعلم أنه ليس ذوباناً لمذهب فى آخر وإنما تفويت فرص الآخرين فى اســتغلال الخلاف فى الوقيعة بيننا وذلك بتوضيح الفروق البســيطة بيننا والتأكيد على أنها ليست فى الأصول.

- لكن الناس يزورون قبر أبى لؤلؤة الماجوسى ويسبون الصحابة ولا تنكرون عليهم ذلك؟! فكانت الإجابة بأنه توجد فتوى للقائد الأعلى للثورة بتحريم سب الصحابة وللأسف يتجاهلها الذين يريدون إذاعة هذه التهمة فنحن نرفض سب الصحابة.. أما زيارة قبر أبى لؤلؤة فى كاشان فلابد أن تعلم أن العقل يقول أنه من المستحيل أن ينقل إلى كاشان جسد رجل قتل فى المدينة على بعد آلاف الكيلومترات فى الظروف والإمكانات التى وقعت فيها.

- الأحداث وبالتالى فوجود قبر لقاتل سيدنا عمر فى مدينة كاشان خرافة وما يوجد فى كاشان لا علاقة له بقاتل الخليفة الثانى بل أن الدولة سداً للذرائــع هدمت ضريحاً هناك لأنها رأت أنه قد يوقع فتنة بين الســنة والشيعة.

- وإلــى هنا عزيزى القارئ فلم يكن لــى تحليل أو تعليق وإنما حيرة وقلق وأمل فى وحدة الأمة الإســلامية بقدر الإمــكان والتعايش وخوفاً منى أيضــاً أقول دعاء النبى ﷺ **«أعوذ بالله من أن أضـل أو أضل أو أجهل أو يجهـل علـى» وأعوذ بك ربى أن أكـون قد أغضبتك أو تجاوزت فيما لا أعلـم بالقدر الكافـى»** ولكن وجب الحديث والذكر والكتابة من زاوية سياســية فقط وجب ألا أكون غافلاً عنهــا وهذا الحديث إحقاقاً للحق نشــر فى جريدة الجمهورية القاهرية تحت عنوان رســالة قم للأستاذ فريد إبراهيم وما نشــرته من مواجهة ســاخنة بين (العدد الأسبوعى) والمرجع الشيعى آية الله السبحانى ولله الأمر من قبل ومن بعد ...

نص قرار مجلس الأمن ١٨٠٣ ضد إيران

القرار ١٨٠٣ (٢٠٠٨)

القــرار الذى اتخذه مجلــس الأمن فى جلســته ٥٨٤٨ المعقودة فى ٣ مارس/آذار ٢٠٠٨.

إن مجلــس الأمن، إذ يشــير إلــى بيان رئيســه S/PRST/٢٠٠٦/١٥ المؤرخ بــ ٢٩ آذار/مــارس ٢٠٠٦ وإلى قراراتــه ١٦٩٦(٢٠٠٦) المؤرخ ٣١ تموز/يوليو ٢٠٠٦ و١٧٣٧ (٢٠٠٦) المؤرخ ٢٣ كانون الأول/ديســمبر ٢٠٠٦ و١٧٤٧ (٢٠٠٧) المؤرخ ٢٤ آذار/مارس ٢٠٠٧، ويعيد تأكيد أحكامها،

وإذ يؤكــد من جديد التزامه بمعاهدة عدم انتشــار الأســلحة النووية وضرورة وفــاء جميع الدول الأطراف فى تلك المعاهــدة وفاء تاما بجميع مــا عليها من واجبات، وإذ يشــير إلــى حق الدول الأطــراف فيها، وفقا للمادتــين الأولى والثانيــة من المعاهدة، فى تطوير أبحــاث وإنتاج الطاقة النووية واســتخدامها للأغراض الســلمية دون أى تمييز، وإذ يشــير إلى قرار مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة الذرية (GOV/٢٠٠٦/١٤) الذى يعلن أن من شأن حل المسألة النووية الإيرانية أن يساهم فى الجهود العالمية لعدم الانتشــار وفى بلوغ هدف جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أســلحة الدمار الشــامل، بما فى ذلك وسائل إيصالها، وإذ يلاحظ مع القلق الشــديد أن إيران على نحــو ما أكدته تقارير المديــر العام للوكالة الدولية للطاقة الذريــة المؤرخة ٢٣ أيار/مايو ٢٠٠٧ (GOV/٢٠٠٧/٢٢) و٣٠ آب/أغسطس ٢٠٠٧ (GOV/٢٠٠٧/٤٨) و١٥ تشرين الثانى/نوفمبر ٢٠٠٧ (GOV/٢٠٠٧/٥٨) و٢٢ شباط/فبراير ٢٠٠٨ (GOV/٢٠٠٨/٤) لــم توقف بشــكل تــام ودائم جميــع الأنشــطة ذات الصلــة بالتخصيب

وإعــادة المعالجة والمشــاريع ذات الصلــة بالماء الثقيل علــى النحو الوارد فــى القــرارات ١٦٩٦ (٢٠٠٦) و١٧٣٧ (٢٠٠٦) و١٧٤٧ (٢٠٠٧)، ولــم تســتأنف تعــاونها مــع الوكالة بموجــب البروتوكول الإضافــى، أو تتخذ الخطوات الأخرى التى طلبها مجلس محافظى الوكالة، ولم تمتثل لأحكام قرارات مجلــس الأمــن ١٦٩٦ (٢٠٠٦) و١٧٣٧ (٢٠٠٦) و١٧٤٧ (٢٠٠٧) وهــى أمــور لا بد منها لبناء الثقة، وإذ يشــجب رفض إيــران اتخاذ هذه الخطــوات، وإذ يلاحظ مع القلق أن إيران أنكــرت على الوكالة حقها فى التحقق من معلومات التصاميم التى قدمتها عملا بالقانون المعدل ٣-١، وإذ يشدد على أنه وفقا للمادة ٣٩ من اتفاق الضمانات الخاص بإيران لا يمكن تعديــل القانون ٣-١ أو تعليقه من جانــب واحد، وعلى أن حق الوكالة فى التحقق من معلومات التصاميم التى تقدم إليها هو حق ما زال ساريا وغير مرهون بمرحلة بناء منشــأة ما أو وجود مواد نووية فيها، وإذ يؤكد عزمه على تعزيز ســلطة الوكالة، ويؤيد بقــوة دور مجلس محافظى الوكالة، وإذ يشيد بالوكالة الدولية للطاقة الذرية على ما تبذله من جهود لحل المسائل العالقــة ذات الصلة ببرنامج إيران النووى والــواردة فى خطة العمل التى وضعت بالاتفاق بين أمانة الوكالة وإيران (GOV/٢٠٠٧/٤٨) المرفق، وإذ يرحــب بالتقدم المحرز فى مجال تنفيذ خطة العمل هذه على النحو الوارد فى تقريرى المدير العام للوكالة المؤرخين بـ١٥ تشرين الثانى /نوفمبر ٢٠٠٧ (GOV/٢٠٠٧/٥٨) و٢٢ شــباط/فبراير ٢٠٠٨ (GOV/٢٠٠٨/٤) وإذ يشــدد على أهمية تحقيق إيران بسرعة وفعالية نتائجَ ملموسة عن طريق تنفيذ خطة العمل بأكملها بوســائل عدة منها الإجابة على جميع الأســئلة التى تطرحها الوكالة بحيث يتســنى لها، بتنفيــذ التدابير المطلوبة للعمل بشــفافية، تقييم مدى اكتمال إعلان إيــران ودقته، وإذ يعرب عن اقتناعه بأن وقف الأنشطة المذكور فى الفقرة ٢ من القرار ١٣٧٣ (٢٠٠٦)، وامتثال إيران لجميع متطلبات مجلس محافظى الوكالة امتثالا تاما يتم التأكد منه،

أمران يساهمان فى التوصل إلى حل دبلوماسى تفاوضى يضمن أن برنامج إيــران النووى مخصص حصرا للأغراض الســلمية، وإذ يشــدد على أن الاتّحاد الروسى وألمانيا والصين وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة على اســتعداد لاتخاذ المزيد من التدابير العملية للبحث عن إســتراتيجية شاملة من أجل تسوية مسألة إيران النووية عن طريق التفاوض استنادا إلى المقترحات التى قدمتها فى حزيران/يونية ٢٠٠٦ (S/٢٠٠٦/٥٢١) وإذ يشير إلى تأكيد هذه البلدان أنه حالما تتم اســتعادة ثقة المجتمع الدولى بالطابع السلمى الخالص لبرنامج إيران النووى، فإن إيران ستعامل بنفس الطريقة التى تعامل بها أى دولة طرف فى معاهدة عدم انتشــار الأســلحة النووية غير حائزة للأسلحة النووية، وإذ يضع فى اعتباره حقوق الدول وواجباتها فيمــا يتعلق بالتجارة الدولية، وإذ يرحــب بالتوجيهات الصادرة عن فرقة العمل للإجراءات المالية بشــأن مســاعدة الدول على الوفاء بما عليها من واجبــات مالية بمقتضى القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦)، وإذ يعقد العزم على إنفاذ مــا يقرره باعتماد التدابير اللازمة لإقناع إيران بالامتثال للقرارات ١٦٩٦ (٢٠٠٦) و١٧٣٧ (٢٠٠٦) و١٧٤٧ (٢٠٠٧) ولمتطلبــات الوكالة، وعلى تقييد تطوير إيران للتكنولوجيا الحساسة لدعم برنامجها النووى وبرنامجها المتعلق بالصواريخ، وذلك إلى أن يقرر مجلس الأمن أن أهداف هذه القرارات قد تحققت، وإذ يســاوره القلق إزاء مخاطر انتشــار الأسلحة النووية الناجمة عن برنامج إيران النووى، وفى هذا السياق، عن عدم قيام إيران حتى الآن بالاســتجابة لمتطلبات مجلس محافظى الوكالة والامتثال لأحكام قرارات مجلــس الأمن١٦٩٦ (٢٠٠٦) و١٧٣٧ (٢٠٠٦) و١٧٤٧ (٢٠٠٧)، وإذ يأخذ فى الاعتبار مســؤوليته الأساسية عن صون السلم والأمن الدوليين الملقاة على عاتقه بموجب ميثاق الأمم المتحدة، وإذ يتصرف بموجب المادة ٤١ من الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة؛

الخاتمة :

١ - يؤكد من جديد أن على إيران أن تتخذ دون مزيد من التأخير الخطوات التى طلبها مجلس محافظى الوكالة فى قراره (GOV/٢٠٠٦/١٤) وهى الخطوات التى لا بد منها لبناء الثقة بأن برنامجها النووى مخصص حصرا لأغراض سلمية، ولحل المسائل العالقة، وفى هذا الصدد، يؤكد ما قرره بأن تتخذ إيران دون أى تأخير الخطوات المطلوبة منها فى الفقرة ٢ من القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦)؛ ويشدد على أن الوكالة طلبت من إيران تأكيد أنها ستطبق القانون ٣-١ المعدل؛

٢ - يرحب بالاتفاق المبرم بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية لحل جميع المسائل العالقة ذات الصلة ببرنامج إيران النووى وما تحقق من تقدم بهذا الصدد على النحو المبين فى تقرير المدير العام المؤرخ فى ٢٢ شباط/فبراير ٢٠٠٨ (GOV/٢٠٠٨/٤) ويشجع الوكالة على مواصلة عملها من أجل إيضاح جميع المسائل العالقة، ويشدد على أن من شأن ذلك أن يساعد على إعادة الثقة الدولية فى الطابع السلمى المحض لبرنامج إيران النووي، ويؤيد قيام الوكالة بتعزيز ضماناتها بشأن أنشطة إيران النووية، وفقا لاتفاق الضمانات بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية؛

٣ - يدعو جميع الدول إلى توخى اليقظة وضبط النفس حيال دخول أراضيها أو عبورها من قِبَل الأفراد الذين يشتركون فى أنشطة إيران النووية التى تمثل مخاطر على مستوى انتشار الأسلحة النووية أو تطوير منظومات إيصال الأسلحة النووية أو يرتبطون بهذه الأنشطة بشكل مباشر أو يقدمون لها الدعم، ويقرر فى هذا الصدد أن تقوم جميع الدول بإخطار اللجنة المنشأة عملا بالفقرة ١٨ من القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) (المشار إليها هنا بـ«اللجنة») بدخول الأشخاص الواردة أسماؤهم فى مرفق القرار ١٧٣٧(٢٠٠٦) أو المرفق الأول للقرار،

أو عبورهم أراضيها، والأشـخاص الإضافيين الذين يسـميهم مجلس الأمن أو اللجنة بوصفهم مشتركين فى أنشطة إيران النووية التى تمثل مخاطر على مسـتوى انتشار الأسلحة النووية أو فى تطوير منظومات إيصال الأسـلحة النووية أو بوصفهم مرتبطين بهذه الأنشـطة بشكل مباشـر أو يقدمون الدعم لها، بطرق منها الضلوع فى شراء الأصناف والسـلع والمعدات والمواد والتكنولوجيا المحظورة المحددة فى الفقرتين ٣ و٤ مـن القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) الخاضعة للتدابير الواردة فيهما، إلا إذا كانت عمليتا الدخول والعبور هاتان تجريان لتنفيذ أنشـطة تتصل مباشرة بالمواد المنصوص عليها فى الفقرتين الفرعيتين ٣ (ب) '١' و '٢' من القرار ١٧٣٧(٢٠٠٦)؛

٤ - يشدد على أنه ليس في الفقرة ٣ أعلاه ما يقتضى من دولة ما رفض دخول رعاياها إلى أراضيها، وأن على جميع الدول مراعاة الاعتبارات الإنسـانية فى سـياق تنفيذها لما يـرد فى الفقرة أعـلاه، ومن بينها الواجبات الدينية وضرورة تحقيق أهداف هذا القرار والقرارين ١٧٣٧ (٢٠٠٦) و١٧٤٧ (٢٠٠٧)، بمـا فى ذلك حيثما تطبق المادة الخامسـة عشرة من النظام الأساسى للوكالة؛

٥ - يقرر أن تتخذ جميع الدول التدابير اللازمة للحيلولة دون دخول الأفراد المدرجين بالمرفق الثانى لهذا القرار إلى أراضيها أو مرورهم العابر بها، وكذلك الأشـخاص الإضافيين الذين يسمِّيهم مجلس الأمن أو اللجنة بوصفهم مشـتركين فى أنشـطة إيران الحساسـة من حيث الانتشار النـووى أو فى تطوير منظومات إيصال الأسـلحة النووية أو بوصفهم مرتبطين بها مباشـرة أو يقدمون لها الدعـم بطرق منها الضلوع فى شـراء الأصناف والسـلع والمعدات والمـواد والتكنولوجيات المحظورة المحددة فـى الفقرتين ٣ و٤ مـن القـرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) والخاضعة للتدابيـر الواردة فيهما، باسـتثناء الحالات التى يكـون فيها الدخول أو المرور العابر لغرض أنشـطة تتصل مباشـرة بالأصناف الواردة في

الفقرتـين الفرعيتـين ٣ (ب) ' ١' و ' ٢' مـن القـرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦)، وشريطة ألا يكون فى هذه الفقرة ما يرغم دولة ما على منع مواطنيها من دخول أراضيها؛

٦ - يقـرر أن التدابيـر المفروضـة بموجب الفقرة ٥ أعـلاه لا تطبّق فى الحـالات التى تقـرر فيها اللجنة، فى كل حالة علـى حدة، بأن لذلك السـفر ما يبرره من أسباب إنسـانية، بما فى ذلك الواجبات الدينية، أو عندما تخلص اللجنة إلى أن الإعفاء سـيخدم بشـكل آخر أهداف هذا القرار؛

٧ - يقـرر أن التدابير المحددة فى الفقرات ١٢ و١٣ و١٤ و١٥ من القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) تنطبـق أيضا على الأشـخاص والكيانات المدرجة فى المرفقـين الأول والثالـث لهذا القرار، وأى أشـخاص أو كيانات تعمل نيابـة عنهم أو وفقا لتوجيهاتهم، وكذلك على الكيانات المملوكة لهم أو التى تحت سيطرتهم، وعلى الأشخاص والكيانات الذين يحدد المجلس أو اللجنة أنهم ساعدوا الأشخاص أو الكيانات المحددة أسماؤهم على تفـادى الجزاءات، أو علـى انتهاك الأحكام، الواردة فـى هذا القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦)، أو القرار ١٧٤٧ (٢٠٠٧)؛

٨ - يقرر أن تتخذ جميع الدول التدابير الضرورية للحيلولة دون توريد أو بيع أو نقل ما يلى لإيران، بطريقة مباشـرة أو غير مباشـرة، انطلاقا من أراضيها، أو من جانب رعاياها أو باسـتخدام السفن أو الطائرات التى ترفع أعلامها، أو لاستخدامها فى إيران أو لاستفادة إيران منها، سواء أكان مصدر هذه المواد من أراضى هذه الدول أم لا؛

(أ) جميـع الأصناف والمواد والمعدات والسـلع والتكنولوجيات الواردة فـى INFCIRC/٢٥٤/Rev.٧/Part ٢ بالوثيقة S/٢٠٠٦/٨١٤ باسـتثناء التوريد أو البيع أو النقل، وفقا للاشتراطات الواردة فى الفقرة ٥ مـن القرار ١٧٣٧(٢٠٠٦)، للأصنـاف والمواد والمعدات

والسـلع والتكنولوجيات الواردة فـى الفرعين ١ و٢ من مرفق تلك الوثيقة، والفروع ٣ إلى ٦ حسـبما تم إبلاغه مسـبقا للجنة، ولا يكـون ذلك إلا بغـرض اسـتخدامها حصرا فى مفاعـلات الماء الخفيـف، وحينما يكـون ذلك التوريد أو البيـع أو النقل ضروريا للتعـاون التقنى الذى توفِّره الوكالة الدولية للطاقة الذرية لإيران، أو يُوفَّر تحت إشراف الوكالة حسبما هو منصوص عليه فى الفقرة ١٦ من القرار ١٧٣٧(٢٠٠٦)؛

(ب) جميع الأصناف والمواد والمعدات والسلع والتكنولوجيات الواردة فى البند ١٩ ألف - ٣، الفئة الثانية، بالوثيقة S/٢٠٠٦/٨١٥؛

٩ - يهيـب بجميع الدول اتخاذ الحيطة عند الدخول فى التزامات جديدة بالدعم المالى المقدم من القطاع العام للتجارة مع إيران، بما فى ذلك منح ائتمانات أو ضمانات أو تأمين للتصدير، سـواء لمواطنيها أو للكيانات الضالعـة فى هـذه التجارة، مـن أجل تفادى أن يسـاهم هذا الدعم فى أنشـطة إيران الحساسة من حيث الانتشـار النووى أو فى تطوير منظومات إيصال الأسلحة النووية حسبما أشير إليه فى القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦)؛

١٠- يهيب بجميع الدول اتخاذ الحيطة حيال أنشـطة المؤسسـات المالية القائمة فى أراضيها مع جميع المصارف التى تتخذ من إيران مقرا لها، ولا سيما مع مصرف مللى ومصرف سـديرات، وفروعهما وتوابعهما بالخارج، من أجل تفادى مسـاهمة تلك الأنشـطة فى أنشـطة إيران الحساسـة من حيث الانتشـار النووى أو فى تطوير منظومات إيصال الأسلحة النووية حسبما أشير إليه فى القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦)؛

١١ - يهيـب بجميع الدول أن تقوم فى مطاراتها وموانئها البحرية، وطبقا لسلطاتها وتشـريعاتها القانونية الوطنية، وبشكل يتمشى مع القانون الدولى، ولا سيما قانون البحار والاتفاقات الدولية ذات الصلة المتعلقة

بالطيران المدني، بتفتيش الشحنات المتوجهة إلى إيران أو القادمة منها، المحملة فى الطائرات أو السفن التى تملكها أو تشغلها شركة إيران للشحن الجوى وشركة الجمهورية الإسلامية الإيرانية للملاحة، بشرط أن تكون هناك مبررات معقولة للاعتقاد بأن الطائرة أو السفينة تنقل بضائع محظورة بمقتضى هذا القرار، أو القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) أو القرار ١٧٤٧ (٢٠٠٧)؛

١٢ - يطلب من جميع الدول، فى حالة الاضطلاع بالتفتيش المذكور فى الفقرة أعلاه، أن تقدم إلى مجلس الأمن فى خلال خمسة أيام عمل تقريرا خطيا عن التفتيش يحوى، على وجه الخصوص، شرح الأسباب التى دعت إلى إجراء التفتيش، إضافة إلى معلومات عن وقت ومكان التفتيش والظروف التى أحاطت به ونتائجه والتفاصيل الأخرى ذات الصلة؛

١٣ - يهيب بجميع الدول أن تقوم بتقديم تقرير إلى اللجنة فى غضون ٦٠ يوما من اتخاذ هذا القرار بشأن الخطوات التى اتخذتها بغرض تنفيذ الفقرات ٣ و٥ و٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ أعلاه تنفيذا فعالا؛

١٤ - يقرر أن ولاية اللجنة على النحو المحدد فى الفقرة ١٨ من القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) تسرى أيضا على التدابير المفروضة بمقتضى القرار ١٧٤٧ (٢٠٠٧) وبمقتضى هذا القرار؛

١٥ - يؤكد رغبة الاتحاد الروسى وألمانيا والصين وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة مواصلة تعزيز الجهود الدبلوماسية الرامية للتشجيع على استئناف الحوار والمشاورات على أساس عرضها المقدم إلى إيران، بغية السعى إلى إيجاد حل شامل وطويل الأجل ومناسب لهذه المسألة يفسح المجال لتطوير علاقات شاملة وتطوير التعاون مع إيران على نطاق واسع على أساس الاحترام المتبادل، وبناء الثقة الدولية فى الطابع السلمى المحض لبرنامج إيران النووى، والبدء فى جملة أمور،

فى محادثات ومفاوضات مباشرة مع إيران ما دامت إيران تعلِّق جميع أنشطتها المتعلقة بالتخصيب وإعادة المعالجة، بما فى ذلك البحث والتطوير، حسبما تتحقق منه الوكالة الدولية للطاقة الذرية؛

١٦ - يشجع الممثل السامى للسياسة الخارجية والأمنية المشتركة للاتحاد الأوروبى على مواصلة الاتصالات مع إيران دعما للجهود السياسية والدبلوماسية الرامية إلى التوصل إلى حل تفاوضى، بما فى ذلك المقترحات ذات الصلة من جانب الاتحاد الروسى وألمانيا والصين وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة بهدف تهيئة الظروف الملائمة لاستئناف المحادثات؛

١٧ - يشدد على أهمية اتخاذ جميع الدول، بما فيها إيران، التدابير اللازمة لكفالة عدم تقديم أى مطالبة بمبادرة من حكومة إيران، أو أى شخص أو هيئة فى إيران، أو أفراد أو كيانات محددة وفقا للقرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) والقرارات ذات الصلة، أو أى شخص يتقدم بمطالبة نيابة عن هذا الشخص أو الكيان أو لمنفعته، فيما يتصل بأى عقد أو صفقة أخرى حيل دون تنفيذهما بسبب التدابير المفروضة بموجب هذا القرار أو القرار ١٧٣٧(٢٠٠٦) أو القرار ١٧٤٧ (٢٠٠٧)؛

١٨ - يطلب من المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية أن يقدم فى غضون ٩٠ يوما تقريرا آخر إلى مجلس محافظى الوكالة، وتقريرا موازيا لنظره فى مجلس الأمن، عما إذا كانت إيران قد برهنت على تعليق جميع الأنشطة المشار إليها فى القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) بشكل كامل ودائم، وكذلك عن عملية امتثال إيران لجميع الخطوات المطلوبة من قبل مجلس الوكالة وللأحكام الأخرى المنصوص عليها فى القرار ١٧٣٧(٢٠٠٦) والقرار ١٧٤٧ (٢٠٠٧) وفى القرار الحالى؛

١٩ - يؤكد مجددا أنه سيقوم باستعراض الإجراءات التى ستتخذها إيران فى ضوء التقرير المشار إليه فى الفقرة أعلاه، وأنه:

(أ) سيعلق تنفيذ التدابير عند وطوال قيام إيران بتعليق جميع الأنشطة المتصلة بالتخصيب وأنشطة إعادة المعالجة، بما فى ذلك البحث والتطوير، على النحو الذى تتحقق منه الوكالة الدولية للطاقة الذرية، لإفساح المجال أمام مفاوضات تجرى بحسن نية من أجل التوصل فى أقرب وقت إلى نتيجة مقبولة للجميع؛

(ب) سينهى التدابير المحددة فى الفقرات ٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و١٢ من القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) وكذا الفقرات ٢ و٤ و٥ و٦ و٧ من القرار ١٧٤٧ (٢٠٠٧) والفقرات ٣ و٥ و٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ أعلاه، حالما يثبت لديه، بعد تلقى التقرير المشار إليه فى الفقرة المذكورة أعلاه، أن إيران امتثلت امتثالا تاما لالتزاماتها بموجب قرارات مجلس الأمن ذات الصلة ولبّت متطلبات مجلس محافظى الوكالة، على نحو ما يؤكد ه مجلس الوكالة؛

(جـ) سيقوم إذا تبين من التقرير المشار إليه أن إيران لم تمتثل للقرار ١٦٩٦ (٢٠٠٦) والقرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦) والقرار ١٧٤٧ (٢٠٠٧) والقرار الحالى باتخاذ تدابير ملائمة أخرى بموجب المادة ٤١ من الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة من أجل إقناع إيران بالامتثال لهذه القرارات ولمتطلبات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ويؤكد أنه سيجرى لزوما اتخاذ قرارات أخرى إذا تطلب الأمر اعتماد هذه التدابير الإضافية؛

٢٠ - يقرر إبقاء المسألة قيد نظره.

المرفق الأول :

١ - أمير مؤيد على (ضالع فى إدارة تجميع وهندسة أجهزة الطرد المركزى).

٢ - محمد فدائى آشيانى (ضالع فى إنتاج كربونات يورانيل الأمونيوم وإدارة مجمع ناتانز للتخصيب).

٣ - عباس رضائى آشتيانى (مسؤول كبير فى مكتب شؤون الاستكشاف والتعدين التابع لمنظمة الطاقة الذرية الإيرانية).

٤ - هالة بختيار (ضالعة فى إنتاج مغتريوم يبلغ تركيزه ٩٩،٩ فى المائة).

٥ - مرتضى بهزاد (ضالع فى صنع مكونات أجهزة الطرد المركزى).

٦ - الدكتور محمد إسلامى (رئيس معهد التدريب والبحث للصناعات الدفاعية).

٧ - سيد حسين حسينى (مسؤول فى منظمة الطاقة الذرية الإيرانية ضالع فى مشروع مفاعل البحوث الذى يعمل بالماء الثقيل فى آراك).

٨ - السيد جواد كريمى ثابت (رئيس شركة نوفين للطاقة التى حدد اسمها فى القرار ١٧٤٧ (٢٠٠٧).

٩ - حميد رضا مهاجرانى (ضالع فى إدارة الإنتاج فى منشأة تحويل اليورانيوم فى أصفهان).

١٠ - العميد محمد رضا نقدى (النائب السابق لرئيس أركان القوات المسلحة لشؤون اللوجستيات والبحوث الصناعية/رئيس الجهاز الحكومى لمكافحة التهريب، وهو مشترك فى جهود ترمى إلى الالتفاف على الجزاءات المفروضة بموجب القرارين ١٧٣٧ (٢٠٠٦) و١٧٤٧ (٢٠٠٧).

١١ - هوشان نوبارى (ضالع فى إدارة مجمع ناتانز للتخصيب).

١٢ - عباس رشيدى (ضالع فى أعمال التخصيب فى ناتانز).

١٣ - قاسم سليمانى (مدير عمليات تعدين اليورانيوم فى منجم اليورانيوم فى صفند).

المرفق الثانى :

أ - الأفراد المدرجة أسماؤهم فى القرار ١٧٣٧(٢٠٠٦).

١ - محمد قنّادى، نائب رئيس منظمة الطاقة الذرية الإيرانية المسؤول عن البحث والتطوير.

٢ - داوود آغـا ــ جانى، رئيس مصنـع تخصيب الوقـود التجريبى (ناتانز).

٣ - بهمان أصغربور، مدير العمليات (آراك).

ب - الأفراد المدرجة أسماؤهم فى القرار ١٧٤٧(٢٠٠٧).

١ - سيد جابر صفدرى (مدير فى منشآت ناتانز للتخصيب).

٢ - أمير رحيمى (رئيس مركز أصفهان لبحوث وإنتاج الوقود النووى، وهو جزء من شـركة إنتاج وشـراء الوقود التابعة لمنظمة الطاقة الذرية الإيرانية الضالعة فى أنشطة متصلة بالتخصيب).

المرفق الثالث :

١ - Abzar Boresh Kaveh Co. (BK Co.) (ضالعة فى إنتاج مكونات أجهزة الطرد المركزى).

٢ - Barzagani Tejarat Tavanmad Saccal companies and Saccal System companies (حاولت هذه الشركة شراء سلع حساسة لصالح كيان اسمه مدرج فى القرار ١٧٣٧ (٢٠٠٦).

٣ - شـركة سـنام للإلكترونيات Electro Sanam Compancy (E. S. Co/E. X. Co.) (شـركة واجهة لمؤسسة الصناعات الفضائية الجوية ضالعة فى برنامج القذائف التسيارية).

٤ - مجموعة الاتحاد التقنية (شركة واجهة لمؤسسة الصناعات الفضائية الجوية ضالعة فى برنامج القذائف التسيارية).

٥ - مصانع الآلات الدقيقة (مصانع أدوات القياس)، (استخدمتها مؤسسة الصناعات الفضائية الجوية فى بعض محاولات الشراء).

٦ - جابـــر بن حيان (مختبر تابع لمنظمة الطاقة الذرية الإيرانية ضالع فى أنشطة دورة الوقود).

٧ - Joza Industrial Co (شـــركة واجهة لمؤسسة الصناعات الفضائية الجوية ضالعة فى برنامج القذائف التسيارية).

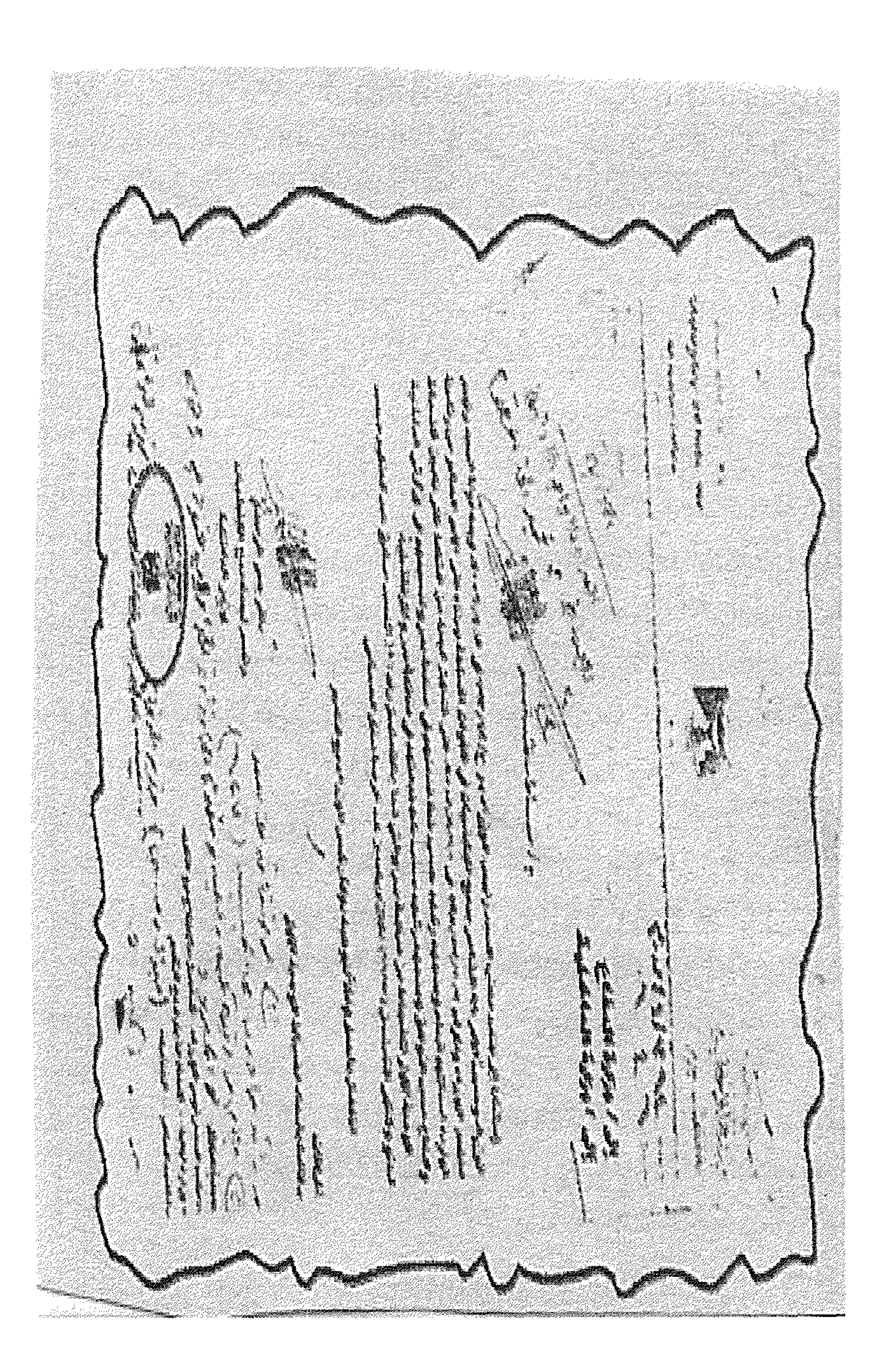
٨ - صناعات تعدين خراســـان (فرع لمجموعة صناعـــات الذخائر التابعة لإدارة العمليـــات الصناعيـــة. وهى ضالعة فى إنتـــاج مكونات أجهزة الطرد المركزى).

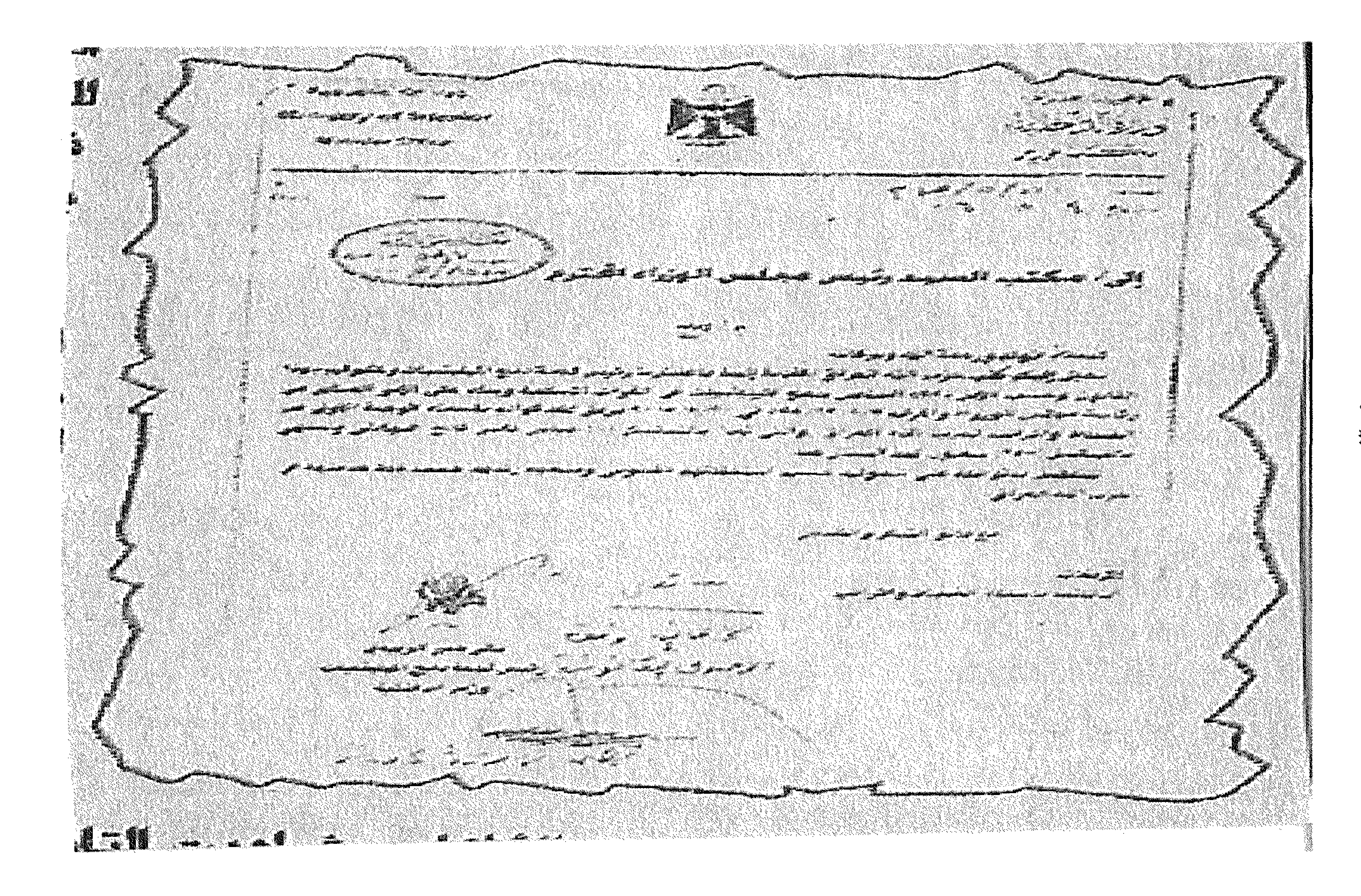
٩ - شركة نيرو لصناعة البطاريات (فرع لإدارة العمليات الصناعية. دورها هو صناعة وحدات الإمداد بالكهربـــاء للجيش الإيرانى، بما فى ذلك منظومات القذائف).

١٠ - صناعات بشـــغم (الرائدة) للطاقة (شـــاركت فى بناء منشأة تحويل اليورانيوم فى أصفهان).

١١ - شـــركة شـــراء معدات السلامة (شـــركة واجهة لمؤسسة الصناعات الفضائية الجوية ضالعة فى برنامج القذائف التسيارية).

١٢- TAMAS Company (ضالعة فى أنشطة متصلة بالتخصيب. وتعد شـــركة TAMAS كيانا رئيسيا أنشـــئت أربعة فروع تابعة لها أحدها لاســـتخلاص اليورانيوم لتركيزه وآخر مسؤول عن معالجة اليورانيوم وتخصيبه ونفاياته).





إلى مكتب السيد رئيس مجلس الوزراء المحترم



Ministry of Interior

إلى / دولة السيد رئيس مجلس الوزراء المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع فائق الاحترام والتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة الدفاع
مكتب الوزير

REPUBLIC OF IRAQ
Ministry of Defence
Office of Minister

العدد: [illegible]
التاريخ: [illegible] / ٢٠٠٦

No.
Date / /2006

سري وشخصي

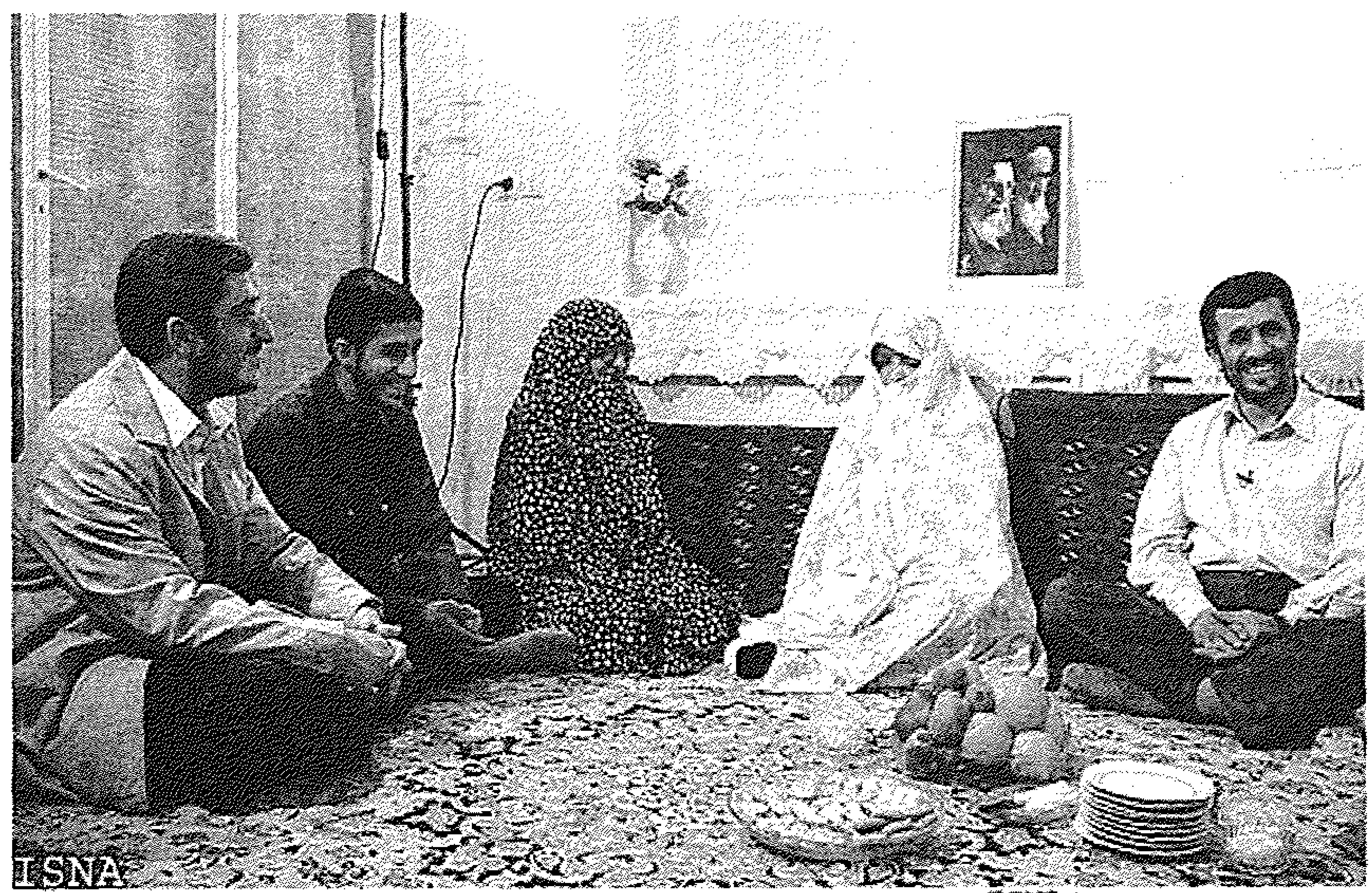
إلى / السيد رئيس مجلس الوزراء المحترم

م / تنسيب

بناءً على توجيهات سيادتكم الموقرة..
تم تنسيب الفريق الأول الركن [illegible] حافظ عبد الرحمن الذي يشغل منصب المستشار العسكري الأقدم لوزير الدفاع كمنسق للعمل بين وزارة الدفاع و[illegible] [illegible].

مع التقدير

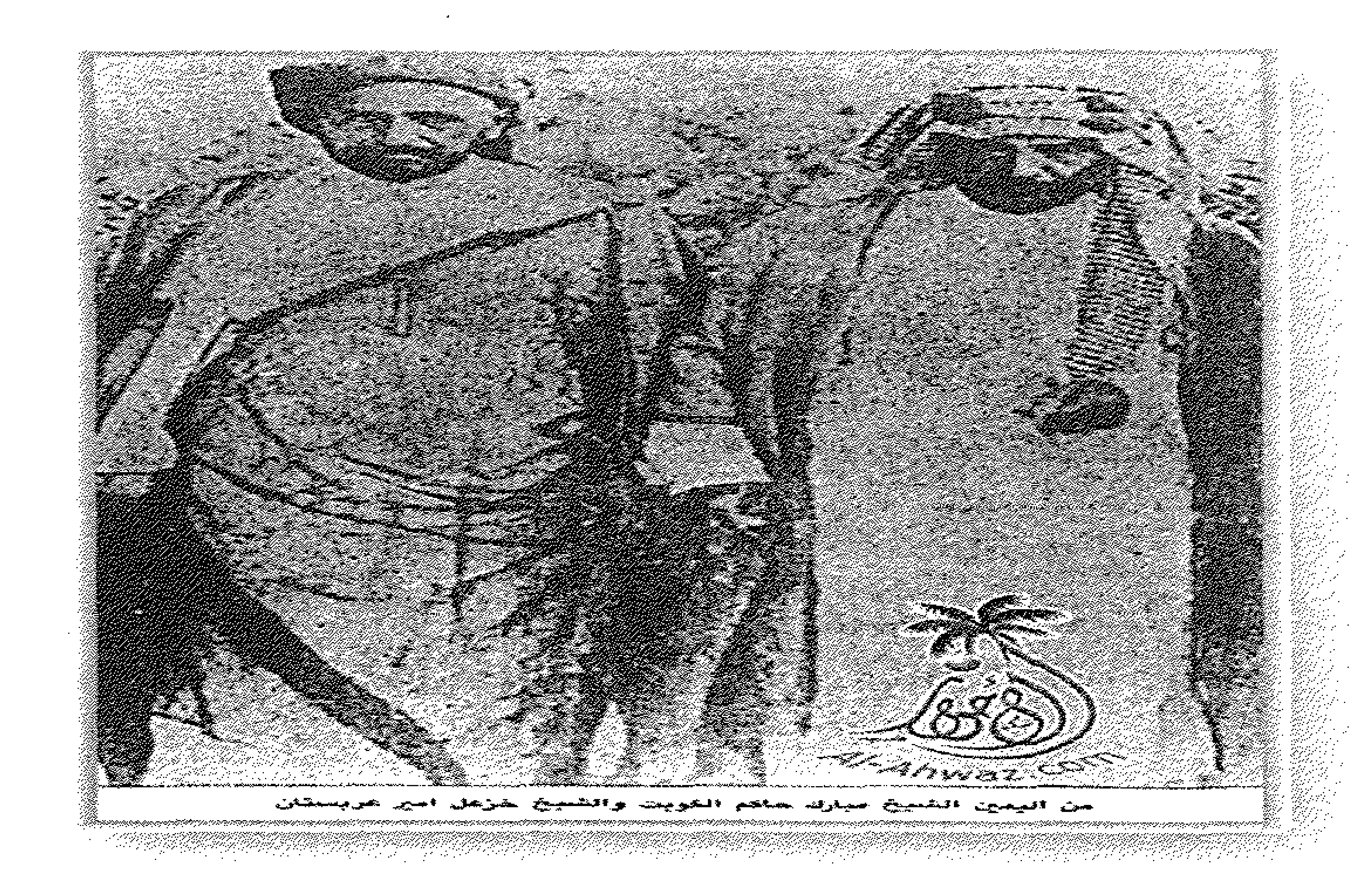
عبد القادر محمد جاسم
وزير الدفاع
[illegible] / ٢٠٠٦



ISNA/PHOTO:PRESIDENT.IR



الشيخ خزعل والسيد طالب النقيب في استعراض جيش الاحواز عند زيارة وفد علماء فلسطين للمحمرة



من اليمين الشيخ مبارك حاكم الكويت والشيخ خزعل امير عربستان

مـــع اقتراب النهايـــة، والعودة من رحلة طويلة فـــى أغوار وأعماق بلاد مـــاوراء النهر بكل أســـاطيره وحكاياته، أعترف بأنهـــا كانت رحلة مضنية وصعبة، ولكنها ممتعه أيضاً بكل أبعادها، وأشبه بالغواية فى الأساطير أو دوامة شاطئ فى نوه .. لايملك الإنسان العودة أو السكون إلا بعد النهاية؟! فى ســباحة فكرية فـــى عمق النفـــس تداعبها حوارات المنطـــق وطبيعة الأحداث، تجذب مداد القلم على الصفحات وكأنها تمليه أو ترغمه بحكم قاضى أو أمر الأمانة والرســـالة .. لتكون بين يديك نوراً إذا اشتد الظلام وولـــى بمهمومه أو آبا .. وحتى تكون للنهايـــة علامة فلم يعد يبقى أمامى إلا كلمات الشـــاعر الفارسى العملاق عمر الخيام مناجياً ربه فى رباعياته الخالدة.

إن لم أكن أخلصت فى طاعتك

فإننـــى أطمـــع فـــى رحمتـــك

وإنمـــا يشفـــع لـــى أننـــى

قد عشت لا أشرك فى وحدتك

الفهرس

رقم الإيداع ٢٨٥٣ / ٢٠١٢
ISBN 978 - 977 - 320 - 185 - 4

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



ممدوح عبد المنعم

المؤلف فى سطور ..

- حاصل على عدة دراسات عسكرية ، وإستراتيجية.
- حاصل على دراسات فى القانون الدولى والفلسفة والشريعة والاقتصاد السياسى والنظم الدولية ونظم الحكم وتاريخ أسيا وأفريقيا
- له ما يزيد عن ١٦٠ بحث سياسى دولى فيما يشبه بانوراما عالمية وإقليمية وقد تم نشرها فى مجلة أخر ساعة المصرية.
- محاضر فى العديد من المنتديات والمؤتمرات السياسية

صدر للكاتب :

١-شخصيات بين الاسطورة والواقع
٢-رياح من الشرق (١) الصين وكوريا واليابان
٣-بانورما عربية (١) السودان
٤-تركيا و البحث عن الذات
٥-ايران...لماذا ؟ نوم الذئاب



تحت الطبع

٦-تعقيب على الفرصة الثانية





هذا الكتاب

ليس دراسة عن إيران ولكنه تحليل عن أهمية اللاعب الإيرانى الذى تراه حقاً لها والدور الغربى المراد منها أن

الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع

التصميم والطباعة
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر